

محمد الطيبر عبد الفادر

# تاريخ الأمة العربية

بسقوط الخِلافة العثمانية

دراسة للقضية العربية في خمسين عامًا

١٨٧٥م / ١٩٢٥م

الناشر

مكتبة وهبة

١٤ شارع الجمهورية - عابدين

تليفون ٩٣٧٤٧٠

الطبعة الأولى

١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م

---

جميع الحقوق محفوظة

---

دار التوفيق للنمذجة  
للطباعة والمطبوعات  
الأنزلي: ٣ صيفان الموصلي  
بجدة - جامعة الرياض



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

« لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ، ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء إلا أن تتقوا منهم تقاة ، ويحذركم الله نفسه ، وإلى الله المصير . »  
« صدق الله العظيم »

\*\*\*

9.

10. 11. 12. 13. 14. 15. 16. 17. 18. 19. 20. 21. 22. 23. 24. 25. 26. 27. 28. 29. 30. 31. 32. 33. 34. 35. 36. 37. 38. 39. 40. 41. 42. 43. 44. 45. 46. 47. 48. 49. 50. 51. 52. 53. 54. 55. 56. 57. 58. 59. 60. 61. 62. 63. 64. 65. 66. 67. 68. 69. 70. 71. 72. 73. 74. 75. 76. 77. 78. 79. 80. 81. 82. 83. 84. 85. 86. 87. 88. 89. 90. 91. 92. 93. 94. 95. 96. 97. 98. 99. 100.

101. 102. 103. 104. 105. 106. 107. 108. 109. 110. 111. 112. 113. 114. 115. 116. 117. 118. 119. 120. 121. 122. 123. 124. 125. 126. 127. 128. 129. 130. 131. 132. 133. 134. 135. 136. 137. 138. 139. 140. 141. 142. 143. 144. 145. 146. 147. 148. 149. 150. 151. 152. 153. 154. 155. 156. 157. 158. 159. 160. 161. 162. 163. 164. 165. 166. 167. 168. 169. 170. 171. 172. 173. 174. 175. 176. 177. 178. 179. 180. 181. 182. 183. 184. 185. 186. 187. 188. 189. 190. 191. 192. 193. 194. 195. 196. 197. 198. 199. 200.

201. 202. 203. 204. 205. 206. 207. 208. 209. 210. 211. 212. 213. 214. 215. 216. 217. 218. 219. 220. 221. 222. 223. 224. 225. 226. 227. 228. 229. 230. 231. 232. 233. 234. 235. 236. 237. 238. 239. 240. 241. 242. 243. 244. 245. 246. 247. 248. 249. 250. 251. 252. 253. 254. 255. 256. 257. 258. 259. 260. 261. 262. 263. 264. 265. 266. 267. 268. 269. 270. 271. 272. 273. 274. 275. 276. 277. 278. 279. 280. 281. 282. 283. 284. 285. 286. 287. 288. 289. 290. 291. 292. 293. 294. 295. 296. 297. 298. 299. 300.

301. 302. 303. 304. 305. 306. 307. 308. 309. 310. 311. 312. 313. 314. 315. 316. 317. 318. 319. 320. 321. 322. 323. 324. 325. 326. 327. 328. 329. 330. 331. 332. 333. 334. 335. 336. 337. 338. 339. 340. 341. 342. 343. 344. 345. 346. 347. 348. 349. 350. 351. 352. 353. 354. 355. 356. 357. 358. 359. 360. 361. 362. 363. 364. 365. 366. 367. 368. 369. 370. 371. 372. 373. 374. 375. 376. 377. 378. 379. 380. 381. 382. 383. 384. 385. 386. 387. 388. 389. 390. 391. 392. 393. 394. 395. 396. 397. 398. 399. 400.

401. 402. 403. 404. 405. 406. 407. 408. 409. 410. 411. 412. 413. 414. 415. 416. 417. 418. 419. 420. 421. 422. 423. 424. 425. 426. 427. 428. 429. 430. 431. 432. 433. 434. 435. 436. 437. 438. 439. 440. 441. 442. 443. 444. 445. 446. 447. 448. 449. 450. 451. 452. 453. 454. 455. 456. 457. 458. 459. 460. 461. 462. 463. 464. 465. 466. 467. 468. 469. 470. 471. 472. 473. 474. 475. 476. 477. 478. 479. 480. 481. 482. 483. 484. 485. 486. 487. 488. 489. 490. 491. 492. 493. 494. 495. 496. 497. 498. 499. 500.

## شكر وتقدير

الحمد لله رب العالمين .. والصلاة والسلام على رسوله الأمين ..  
محمد بن عبد الله الذي أرسله رحمة للعالمين .. بلسان عربى مبين .  
يسعدنى أن أتقدم بالشكر والثناء الى من أسهموا فى تقويم  
هذه الدراسة بالنقد والتعليق واسداء النصح .. وأخص منهم نخبة  
كريمة من علماء الدراسات الانسانية فى جامعة الخرطوم وبعض  
الجامعات العربية الأساتذة : الدكتور يوسف فضل حسن ، والدكتور  
ابراهيم الحارذلو ، والدكتور عثمان سيد أحمد اسماعيل ، والدكتور  
مدثر عبد الرحيم الطيب ، والدكتور تاج السر حران ، والدكتور حسن  
عبد الله الترابى ، والدكتور عبد العزيز كامل .  
ومن الأصدقاء الأستاذ محمد عثمان محمد العوض .  
والاخوة الذين أشرفوا على الطباعة التمهيدية .  
فلهم جميعا تحية تقدير واعزاز .. ولهم من الله حسن المثوبة  
وخير الجزاء .

## المؤلف

\*\*\*



# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## تمهيد

يمتد الوطن العربي عبر مساحات كبيرة فى القارتين الآسيوية والافريقية ولكن الدراسة التى عنيت بها فى هذه الفصول تتناول قضية الأمة العربية متمثلة فى وادى النيل والهلال الخصيب ، خلال الربع الأخير من القرن التاسع عشر والربع الأول من القرن العشرين ، لأن هذه المنطقة كانت قبلة أنظار الدول العربية الطامعة فى اقتسام تركية « الرجل المريض »<sup>(١)</sup> نظرا الى أهميتها الاستراتيجية وما يرتبط باحتلالها من آثار ومزايا فى مجال السياسة الدولية والتنافس على مواقع النفوذ بين الدول الأوروبية الكبرى ، وكانت فى الوقت ذاته تمثل أهم الأقاليم العربية المنصوية تحت لواء الخلافة العثمانية<sup>(٢)</sup> وقد تميزت الفترة موضع البحث ( ١٨٧٥ - ١٩٢٥ ) بأنها شهدت الارهاصات الأولى لميلاد القضية العربية الحديثة كما شهدت نموها ودخولها مرحلتها الحاسمة .

لقد درج بعض الباحثين على الفصل بين القضية العربية فى الهلال الخصيب وما كان يعرف « بالمسألة المصرية » أو « مسألة السودان »<sup>(٣)</sup> وهو فصل ينطوى على عزل للأحداث بعضها عن بعض بحيث تتوارى الصورة الكلية للقضية خلف الجزئيات .

(١) تعبير ساخر أطلقته الدبلوماسية الأوروبية على أندولة العثمانية المحتضرة فى ذلك العصر ..

(٢) على الرغم من أنفراد محمد على بمصر منذ مطلع القرن التاسع عشر فانها ظلت من الوجهة القانونية خاضعة للسيادة العثمانية حتى عام ١٩١٤ (اعلان الحماية البريطانية )

(٣) Mekki Abbas, The Sudan Question ( 1884 - 1951 )  
Faber and Faber, Ltd, London, 1951.

ومهما كانت الدوافع لهذا الفصل ، فإن المسألة واحدة هي قضية « الأمة العربية » بكل مقوماتها الحضارية المتميزة ووحدةها اللغوية وانتمائها الاسلامي . بل هكذا كان الغربيون ينظرون اليها دون أن يسموا الأشياء بأسمائها .

ولعل أكثر الذين يدركون هذه الحقيقة قادة الحركة الصهيونية ، فعندما تحدث دافيد بن جوريون في المؤتمر الصهيوني السابع عشر في « بال » بسويسرا ( يونيو - يوليو ١٩٣١ ) كان يضع هذه الحقيقة نصب عينيه .

قال بن جوريون : « أن الخطر علينا لا يأتي من عرب فلسطين وحدهم ، ولكن علينا أن نفكر في مصر وشمال افريقيا وكافة المسلمين وكل من يتحدث اللغة العربية » (٤) .

\* \* \*

وقد رأيت أن أتناول الموضوع في الصفحات التالية بقدر ما تيسر لي من مصادر أحسب أنها تلقي مزيداً من الضوء على هذه القضية ، ان لم يكن في صورتها الكلية فعلى الأقل في بعض جوانبها .

اننى مدين لمكتبة جامعة الخرطوم والمكتبة البريطانية « المتحف البريطاني » بلندن ومكتبة الكونجرس في واشنطن وقد أثبت في ذيل هذا الكتاب المصادر التي تيسر لي الاطلاع عليها في تلك الدور . لقد أمدت كثيراً من مجموعة الوثائق الرسمية التي نشرها

» Albert M. Hyamson « في مجلدين عام ١٩٣٨ بعنوان :

« The British consulate in Jerusalem in Relation to The Jews of Palestine. »

وهي مجموعة الرسائل المتبادلة بين وزارة الخارجية البريطانية وبعض سفارات بريطانيا وقنصلياتها في الشرق الأوسط حول وضع اليهود ، ويشمل الجزء الأول رسائل الفترة ( ١٨٣٨ - ١٨٦١ ) والجزء الثاني ، الفترة بين عامي ( ١٨٦٢ - ١٩١٤ ) .

---

D. Ben - Gurion, Rebirth. and Destiny of Israel, (٤)  
New - York, 1954, p. 31.

تلقي هذه الرسائل ضوءاً كبيراً على مساعى اليهود في النصف الثاني من القرن التاسع عشر لدى الحكومة البريطانية لتيسر لهم الهجرة الى فلسطين والاستقرار فيها بممارسة الضغط على الدولة العثمانية لأن فلسطين كانت جزءاً من الولايات العربية العثمانية وذلك قبل ظهور دعوة « هرتزل » مؤسس الحركة الصهيونية بنحو خمسين عاماً • كما توضح الرسائل مقاومة الدولة العثمانية لهذا الضغط اليهودي البريطاني لا سيما في عهد السلطان عبد الحميد •

وهناك مجموعة أخرى من الوثائق البريطانية اعتمدت عليها في دراسة فترة ما بعد الحرب ( ١٩١٩ — ١٩٢٥ ) وهي وثائق السياسة البريطانية الخارجية المجموعة الأولى ( ١٩١٩ — ١٩٣٩ ) •

« Documents on British Foreign Policy, First Series 1919 — 1939 Ed. Woodward and Butler, London, 1952 »

وهذه المجموعة حافلة بالمعلومات الهامة عن سياسة الغرب نحو البلاد العربية في الشرق الأوسط وفلسطين بوجه خاص • ومن الوثائق التي أفدت منها مذكرة عن منشأ وعد « بلفور » لم تنشر وهي للكاتب الصهيوني الأرمني « جيمس مالكولم » بعنوان: « Origins of The Balfour Declaration » مؤرخة في يوليو ١٩٤٤ ومحفوظة تحت رقم « Cup 1247c. 28 » في مكتبة المتحف البريطاني • أما عن الحركة الصهيونية فقد استعنت بمذكرات « هرتزل » وكتابه « الدولة اليهودية » ومذكرات « حاييم وايزمان » وبعض مؤلفات أحدهما عام « أشر جنزبرج » وتاريخ « سوكلوف » للحركة الصهيونية ، وبعض مقالات « لوى براندايس » عن اليهودية والصهيونية ، والتاريخ الاجتماعي والديني لليهود للأستاذ « Salo Wittmayer Baron » وتاريخ اليهود للمؤرخ « Heinrich Graetz »

\* \* \*

وفيما يتعلق بأمر فلسطين اعتمدت على بعض التقارير الرسمية لحكومة فلسطين — حكومة الانتداب البريطاني — وتقارير لجان التحقيق التي ألفتها الحكومة البريطانية ووقائع اجتماعات اللجنة الدائمة لشئون الانتداب في جنيف وهي إحدى لجان عصبة الأمم كما أخذت عن

الوثائق الرئيسية فى قضية فلسطين : المجموعة الأولى ( ١٩١٥ - ١٩٤٦ )  
وهى من منشورات جامعة الدول العربية بالقاهرة ( ١٩٥٧ ) ، ووجدت  
كثيرا من المعلومات القيمة فى مذكرات السير « رونالد ستورز »  
وبعض مؤلفاته .

وفى دراسة الحركة العربية وأهدافها بعد الانقلاب العثمانى  
فى عام ١٩٠٨ اعتمدت على قرارات المؤتمر العربى الأول الذى عقد  
فى باريس فى يونيو ١٩١٣ وعلى البيانات الرسمية لحزب اللامركزية  
العثمانى فى القاهرة وعلى أقوال قادة العمل السياسى فى الوطن العربى  
آنذاك التى كانت تنشر فى مجلة « المنار » من أمثال « رفيع العظم »  
« عبد الحميد الزهراوى » والشيخ « محمد رشيد رضا » ومذكرات  
« أسعد داغر » على هامش القضية العربية .

\*\*\*

ولما كانت القضية العربية الحديثة ذات صلة وثيقة بنمو الشعور  
القومى والتراث الحضارى للأمة العربية فقد آثرت أن أستهل هذا  
البحث فى « الفصل الأول » بحديث عن مفهوم « الأمة العربية »  
ومقوماتها والعوامل التى مهدت لظهور « القومية العربية » خلال النصف  
الثانى من القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين .

\*\*\*

وأفردت الفصل الثانى لدراسة القضية العربية ومعالها فى ظل  
الدولة العثمانية ( ١٨٧٥ - ١٩١٤ ) وهذه الفترة تشمل بالتقريب  
حكم السلطان « عبد الحميد الثانى خان » ( ١٨٧٦ - ١٩٠٨ ) كما  
تشمل السنوات الخمس الأولى من حكم الأتراك الاتحاديين « جمعية  
الاتحاد والترقى » وتمتد من سنة ١٩٠٩ الى سنة ١٩١٤ وتتميز هذه  
الفترة بأنها كانت تمثل مرحلة الدعوة الى الإصلاح لدعم الخلافة  
العثمانية وتأكيد وحدتها السياسية وذلك على الرغم من ظهور بعض  
النزعات العنصرية والقومية والطائفية التى لم يكن لها شأن يذكر ،  
ولم يكن لدى قادة الحركة العربية حتى ذلك الوقت سعى حقيقى  
للانفصال عن الخلافة العثمانية أو الثورة عليها بل كان العرب فى



مصر والهلل الخصب يصفون أنفسهم بأنهم « عرب عثمانيون » يعملون على تقوية الدولة بالنقد البنائى والاصلاح السياسى والدينى والاجتماعى .

وعنيت فى هذا الفصل بايضاح سياسة الدولة العثمانية فى عهد خلفاء آل عثمان نحو حماية فلسطين من الهجرة اليهودية الاستيطانية ، ومقابلة هذه السياسة بما أصبح عليه الحال فى عهد جمعية الاتحاد والترقى بين سنتى ١٩١٣ - ١٩١٤ عندما جردت الجمعية الخليفة العثمانى من سلطاته الحقيقية على اثر عزل السلطان عبد الحميد عام ١٩٠٩ ، واتجهت سياستها الى ممالة الصهيونية والتمكين لها فى المناصب القيادية وفتح باب الهجرة اليهودية الى فلسطين والاستيلاء على أرضها عن طريق التملك وهو ما كان محظورا فى عهد الخلفاء العثمانيين منذ عام ١٨٤٠ الى نهاية حكم السلطان عبد الحميد .

\* \* \*

أما سنوات الحرب العالمية الأولى ( ١٩١٤ - ١٩١٨ ) فموضع دراستها الفصل الثالث لأنها تمثل الفترة التى طفح فيها كيل الأتراك الاتحاديين ، ووضحت فيها اتجاهاتهم المعادية للعروبة والاسلام ، وعنفهم فى قمع حركة الاصلاح الناشئة ، واعداد قادة الحركة العربية أفراداً وجماعات فى دمشق وبيروت ، والحكم غيابياً على قادتها فى مصر . ومن ثم شهدت هذه الفترة التحول الخطير فى اتجاه القضية عندما قرر قادة العرب الثورة على حكم الأتراك الاتحاديين والدعوة الى الاستقلال الكامل ولم تآل بريطانيا جهداً فى استغلال هذا الموقف وتوجيهه لتحقيق مآربها ، رافعة شعار استقلال البلاد العربية واحياء الخلافة فى دار العروبة فكانت الخديعة الكبرى التى واجهتها الأمة العربية فى تاريخها الحديث .

\* \* \*

ويعالج الفصل الرابع تصاعد الشعور القومى ضد الغزو الأوروبى وردود الفعل لهذه الخديعة بين عامى ١٩١٩ - ١٩٢٥ عندما ثارت مصر بقيادة «سعد زغلول» «وعبد الرحمن فهمى» (مارس - ابريل ١٩١٩)

وأعلن فيصل قيام الدولة العربية فى سوريا ( مارس ١٩٢٠ ) وثار شعب فلسطين على الزحف الصهيونى المنظم ولكن سرعان ما تحول حلفاء الأمس من أدعياء الصداقة العربية الى أعداء لحركة التحرر العربى فقمعت هذه الثورات كلها بقوة وعنف وظفرت الأمة العربية بقبض الريح بعد أن تمردت على دولة الخلافة العثمانية وساعدت على إسقاطها وحصدت خيبة الأمل .

\* \* \*

ونظراً الى خطورة الحركة الصهيونية وصلتها بوحدة الأمة العربية فى ماضيها وحاضرها ومستقبلها فقد أفردت الفصل الخامس لدراسة الصهيونية الحديثة وما تستند اليه من دعاوى فلسفية ودينية والظروف التى أتاحت للصهيونية أن تنمو من طور الفكرة المنبوذة فى نظر أكثر يهود العالم الى حركة سياسية تسخر صناعات السياسة الدولية لخدمة أهدافها ومطامعها .

\* \* \*

## مقدمة

● رصد مسار القضية في خمسين عاما - تحولات  
سياسية في المنطقة العربية - دراسات حول القضية -  
أبعادها ومقوماتها التاريخية - الصعاب التي تكتنف  
الدراسة - الوجود العربي قبل الاسلام - المد العربي  
بعد الاسلام - مسيرة الاسلام بعد العرب - الأتراك  
العثمانيون - القسطنطينية حاضرة الاسلام - أوروبا أمام  
تحدي العثمانيين - الدولة العثمانية تحتضر - العرب على  
مفترق الطرق - عناصر الصراع الفكري والسياسي -  
انبثاق القضية العربية .

\* \* \*

ليس هذا الكتاب تاريخا للحركة القومية الحديثة في الشرق  
العربي أو ما يسميه الكتاب الغربيون « الشرق الأوسط » ولكنه محاولة  
لدراسة القضية العربية في تلك المنطقة ورصد مسارها خلال خمسين عاما  
كانت حافلة بأعمق التحولات السياسية التي قلبت ميزان القوى في  
المنطقة وكانت لها آثار بعيدة المدى في تشكيل مستقبل الأمة العربية .

لقد تناول عدد كبير من الكتاب والباحثين دراسة القضية العربية  
في مراحلها الزمنية المختلفة ، مع تباين تصوره لأبعاد هذه القضية  
ومقوماتها وجذورها التاريخية فمنهم من تصدى لدراستها باعتبارها  
جزءاً من تاريخ الشرق الأوسط كالأستاذ « برنارد لويس » في كتابه  
« العرب في التاريخ » وكتابه « الشرق الأوسط والغرب » والأستاذ  
« ب . م . هولت » في كتابه « مصر والهلل الخصيب » والأستاذ  
« محمد أنيس » في دراسته عن « الدولة العثمانية والشرق العربي »  
ومن الطبيعي في مثل هذه الدراسة أن تنال القضية نصيبها بالقدر

الذى يتفق ومكانتها فى الفترة التاريخية موضع البحث ومن ثم يغلب على معالجتها الاجاز والاجمال .

وهناك باحثون تناولوا القضية فى اطارها العام دون تركيز على جانب معين من جوانبها كالأستاذ جبرائيل « البعث العربى » وجورج أنطونيوس « يقظة العرب » وأمين سعيد « الثورة العربية الكبرى » والأستاذ محمد بديع شريف وزكى المحاسنى وأحمد عزت عبد الكريم « دراسات تاريخية فى النهضة العربية الحديثة » وغير هؤلاء ولكن هناك من عنى بدراسة بعض جوانب القضية دراسة تقوم على نوع من التخصص والتفصيل أذكر منهم الأستاذ زين نور الدين زين « العلاقات العربية التركية وظهور القومية العربية » وكتابه « ظهور القومية العربية » والأستاذ مكى شببكة « العرب والسياسة البريطانية فى الحرب العالمية الأولى » والأستاذ توفيق على برو « العرب والترك فى العهد الدستورى العثمانى » وذلك فضلا عن عشرات المؤلفات والمقالات التى ظهرت عن القومية العربية بوجه عام وعن « قضية فلسطين » على وجه التحديد .

ولا شك أن القضية العربية موضوع خصب يفتح أمام الباحث آفاقاً رحبة للتأمل والدراسة ولكنها آفاق محفوفة بالصعاب ، لا يتييسر لفرد أن يوفىها حقها لأن القضية تضرب بجذورها فى الماضى القريب والبعيد وتمتد أبعادها عبر الزمان والمكان وتتنوع مصادرها بين وفرة هنا ونُدرة هناك وتتناثر أخبارها بين ثقافات الرواة وضعاف الأسانيد ومن ثم تصبح مهمة الباحث عسيرة لأنه يواجه كل هذه الصعاب مجتمعة .

ان جذور التاريخ العربى قديمة قدم الممالك التى شهدتها الجزيرة العربية منذ عهد معين وسبأ وحمير ( ١٣٠٠ ق.م - ٥٢٥ م ) وعهد الحيرة والغساسنة وحواضر الحجاز ، مكة والمدينة والطائف ، ولكن العرب الذين غيروا وجه الحياة فى الشرق الأوسط وأناروا ظلمات العصور الوسطى بقبس الحضارة الاسلامية ونقلوا تراث الفكر اليونانى الرومانى الى أوروبا واتصل تاريخهم بالعالم المعاصر هم العرب المسلمون الذين

نهلوا من معين الاسلام ثم خرجوا من المدينة المنورة فى هجرة فريدة غيرت مجرى التاريخ فى رقعة فسيحة من العالم ، وبنت حضارة سماها أحد الكتاب الغربيين «المعجزة العربية Le Miracle Arabe»<sup>(١)</sup> مشيرا بصفة خاصة الى عصر الرشيد والمأمون •

غير أن المد العربى ما كاد يبلغ مداه خلال ثلاثة قرون بعد ظهور الاسلام حتى أخذ العرب يتوارون من المسرح السياسى خلف شعوب ودول أخرى شرح الله صدرها للاسلام فحملت رأيته عبر قارات الكرة الأرضية ، وكانت آخر دولة من تلك الدول التى بسطت نفوذها على العالم العربى وارتبط بها مصير الأمة العربية حتى يقظتها الحديثة هى دولة الأتراك العثمانيين أو الخلافة العثمانية التى أضحت مبعث قلق عظيم لسياسة أوروبا منذ أن اتخذت الأستانة « القسطنطينية » حاضرة لها سنة ١٤٥٣ م الى ظهور « المسألة الشرقية » فى القرن التاسع عشر •

وعندما أخذ بناء الدولة العثمانية فى التصدع الداخلى وانهزمت جيوشها أمام الزحف الخارجى ، وتصاعدت المطامع السياسية الأوروبية لاقتسام أراضيها وتسربت الأفكار الغربية الى أقاليمها العربية ، أخذ العرب يبحثون عن ذاتهم ولغتهم وحضارتهم ويتطلعون الى تغيير حاضرم وبناء مستقبلهم ولكنهم لم يجدوا الطريق ممهدا لتحقيق آمالهم • لقد انفرط العقد الذى كان يربطهم تحت راية الخلافة العثمانية وأطلت عليهم دول غربية عنهم ، تفوقهم علما وقوة ودهاء فوقف العرب حائرين أمام هذا التحدى : وقفت كثرتهم مع الدولة العثمانية تشد أزرها وتدعو الى اصلاحها لمواجهة الغزو الأوروبى ، وجنح آخرون الى الانفصال عنها تحت تأثير الأفكار الجديدة داعين الى « دولة قومية » تفرق بين الدين والدنيا<sup>(٢)</sup> وبين العبادة والسياسة ، على غرار ما حدث فى أوروبا ، وانبرت طائفة منهم تمجد الحضارة الجديدة وتتخذ منها

(١) Max Vintejoux. Le Maracle Arabe, Charlot, Paris 1950, pp. 85 - 107. Introduced by Louis Massignon.

(٢) رفيق العظم : عن أسباب قتهتر المسلمين ، المنار م ٧ نوفمبر ١٩٠٤ ص ٦٦٠ - ٦٦١

مثلا أعلى وتتشبه بأهلها حتى فى عجمة اللسان فظهرت الدعوة الى « الاستلتان »<sup>(٣)</sup> واتخاذ العامية لغة مقام العربية الفصحى ، واستجاب آخرون لدعوة « الفرنجة المحدثين » وتحريضهم على اعلان الحرب ضد الدولة العثمانية لقاء وعد كاذب باعادة الخلافة الاسلامية الى مهدها فى الجزيرة العربية وسلالتها المقرشية وبين هؤلاء وهؤلاء كان « فرنجة القرن العشرين » يخططون لابتلاع الوطن العربى بأسره وتدمير الخلافة العثمانية<sup>(٤)</sup> على السواء ، واقامة دولتهم الجديدة على أرض فلسطين تحت علم الصهيونية ومن خلال هذا الصراع السياسى الفكرى العقدى برزت القضية العربية الشائكة فى صورتها الحديثة ، لتحكى قصة أمة عصفت بها رياح الفرقة والمشتات بعد سقوط الخلافة .

أما العوامل التى مهدت لظهور هذه القضية وحددت اتجاهاتها فى خمسين عاما فهى الموضوع الذى تتناوله الفصول التالية بشئ من التفصيل والتحليل .

\* \* \*

(٣) أى استخدام الحروف اللاتينية فى كتابة اللغة العربية .  
(٤) كان لالغاء الخلافة العثمانية فى عام ١٩٢٤ صدى واسع فى العالم العربى والاسلامى ونعناها أحمد شوقى فى قصيدة بعنوان « خلافة الاسلام » :

|                           |                            |
|---------------------------|----------------------------|
| وعنت بين معالم الأفراح    | عادت أغاني العرس رجع نواح  |
| ودفنت عند تلج الصباح      | كفنت فى ليل الزفاف بثوبه   |
| وبكت عليك ممالك ونواح     | ضجت عليك مآذن ومنابر       |
| تبكى عليك بدمع سحاح       | الهند والهة ومصر حزينة     |
| أحسا من الأرض الخلافة باح | والشام تسال والعراق وفارس  |
| موشية بمواهب انفتاح       | هتكوا بأيديهم قلادة مخرهم  |
| ونضوا عن الاعطاف خير وشاح | نزعوا عن الاعناق خير قلادة |

( الشوقيات : دار الكتاب العربى ، بيروت ص ١٠٥ — ١٠٦ —  
لم يذكر تاريخ النشر ) . لكن شيخا من شيوخ مصر كان له رأى آخر فأصدر كتابا ( ١٩٢٥ ) ندب فيه بفكرة الخلافة منكرا صلتها بالاسلام ووصف الصديق أبا بكر رضى الله عنه بأنه كان « أول ملك فى الاسلام » وأن ملكه « قام على أساس القوة والسيف » وأن ذلك كان « أمرا مفهوما للمسلمين حينما كانوا يتأمررون فى السقيفة عمن يولونه أمرهم » .  
على عبد الرازق : الاسلام وأصول الحكم ص ١٨٣ — ١٨٤ ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ( لم يذكر تاريخ النشر ) .  
للاطلاع على تنفيذ هذا الزعم ، راجع هابش ٣٩ بالفصل الاول وانظر : محمد ضياء الدين الرئيس : النظريات السياسية الاسلامية ، القاهرة ١٩٦٠ .

## الفصل الأول

### مقومات الأمة العربيّة

● فكرة القومية ومضمونها — الأمة الإسلامية —  
الوطن العربي القلب النابض للعالم الإسلامي — بين العروبة  
والإسلام — اسراف وغبوض في تعريف القومية العربية —  
التراث الإسلامي ولفة القرآن قوام الأمة العربية — وحدة  
الأمة ووحدة الدولة — تيارات فكرية تشكك في عروبة مصر  
والجزائر — الافتتان بالغرب ونظرية ابن خلدون —  
سبيتا وولكوكس وسلامة موسى ولويس عوض — أتاتورك  
والاستقلال — الإسلام يحطم العنصرية — الأخوة الإسلامية —  
إيمان بالكتب المنزلة من عند الله — الأمة العربية والخلافة  
العثمانية — ظهور القومية في الوطن العربي — الاستشراق  
والتبشير — أصالة الفكر الإسلامي — تحدى الاستشراق —  
الصحافة الإسلامية — العقيد الاجتماعي والبيعة في  
الإسلام — روسو وابن خلدون — برنارد لويس يخطئ  
الطريق — الحرية السياسية في الإسلام — بيعة أبي بكر —  
الكواكبي ونجيب المازوري .

\* \* \*

2

3

4

5

1 2 3 4

1 2 3 4 5



## مقومات الأمة العربية

ان كلمة « القومية » تعبير غربى تلفتته شعوب الشرق الأوسط فيما تلتقت من مؤثرات خلال القرن التاسع عشر وليس هناك اجماع بين الغربيين أنفسهم حول مضمون هذا التعبير • ففى اللغتين الانجليزية والفرنسية — فيما يروى الأستاذ « برنارد لويس » يقصد بكلمة « Nationality » القطر أو الدولة التى ينتمى اليها الفرد أو المواطن<sup>(١)</sup> بينما نجد فى الألمانية كلمة مماثلة تحمل نفس هذا المعنى وكلمة غيرها « Nationaitat » وهى ذات دلالة اجتماعية بشرية أكثر منها سياسية أو قانونية<sup>(٢)</sup> •

وفى القارة الأمريكية والأوروبية يخضع تحديد الذاتية القومية — بوجه عام — للموطن الجغرافى أو القطر ورابطة النسل واللغة المشتركة<sup>(٣)</sup> أما العالم العربى — وهو القلب النابض للعالم الاسلامى — فقد كانت له حتى نهاية القرن التاسع عشر معايير الخاصة فى تحديد ذاتيته وولاء الأفراد المنتمين اليها ، وتتبع هذه المعايير من مفهوم « الأمة الاسلامية » وذلك أن اعتناق الاسلام لا يعنى قبول العقيدة الاسلامية من الزاوية الشخصية فحسب بل يعنى أيضا الانتماء الى الأمة الاسلامية والتمتع بكل ما تحمله عضوية الأمة من تبعات ومسئوليات وجزاء وما تفرضه من عقاب • اننا لا نستطيع أن نتحدث عن وجود « أمة عربية » فى العصر الجاهلى • حقا لقد كانت هناك قبائل عربية تفاخر بأصلها فى أشعارها وتتحدث عن أيامها وأخبارها وتحس احساسا بدائيا بذاتيتها المتميزة عن الأعاجم المحيطين بها من

(١) Bernard Lewis, The Middle East and the West, (١) Bloomington, 1964, pp 70 - 71.

(٢) المصدر نفسه ص ٧١ (٣) المصدر نفسه والصفحة

الفرس والبيزنطيين وتنزع الى الحرية بمعنى عدم الخضوع لأية سلطة مركزية أو أى سلطان غير سلطان القبيلة ولكن هذا الاحساس لم يكن احساساً قومياً لأن بواعثه قبلية توحى بجنوح نحو الفوضى وعدم المسؤولية وهذا يتفق وروح العصر الذى وصف بعصر « الجاهلية » والجاهلية هنا كما يقول الدكتور شوقى ضيف « ليست مشتقة من الجهل الذى هو ضد العلم ونقيضه ، انما هى مشتقة من الجهل بمعنى السفه والغضب والنزق فهى تقابل كلمة الاسلام التى تدل على الخضوع والطاعة لله جل وعز وما ينطوى فيها من سلوك كريم » (٤) .

ومع أن الأجزاء الشمالية من الجزيرة العربية شهدت ظهور بعض الامارات قبل الاسلام كإمارة الغساسنة على تخوم الشام والمناذرة على حدود العراق وكندة فى شمالى نجد فان بعض هذه الامارات كان خاضعاً لنفوذ الدولة البيزنطية وبعضها لنفوذ الفرس ولم تستطع أية واحدة منها أن تصهر القبائل المختلفة داخل الجزيرة العربية فى إطار من الوحدة الثقافية والاجتماعية والسياسية كما فعلت الدولة الاسلامية الناشئة فى المدينة المنورة .

أما الأجزاء الجنوبية من بلاد العرب فقد كانت لها حضاراتها القديمة ودولها وممالكها ، يذكر منها المؤرخون مملكة معين وسبأ ومملكة قتبان والمملكة الأوسانية ومملكة حضرموت (٥) وانتهت آخر مملكة عربية جنوبية — بعد فترة من الضعف والتدخل البيزنطى الفارسى — بالانضمام الى الدولة العربية الاسلامية فى القرن السابع الميلادى ولم تكن تلك الممالك القديمة بأسعد حظاً من الامارات العربية الشمالية فى توحيد العرب والخروج بهم من عزلتهم الجغرافية والسياسية الى رحاب العالم الفسيح .

وكانت مكة فى العصر الجاهلى أهم مدينة عربية ، أصحاب النفوذ فيها سادة قريش : هاشم وأمية ومخزوم وتميم وعدى وجمح وسهم

(٤) شوقى ضيف ، تاريخ الأدب العربى ، العصر الجاهلى ، دار المعارف القاهرة ١٩٦٠ ص ٣٩  
(٥) المصدر نفسه ص ٢٧

وأسد ونوغل وزهرة وكانوا أهل ترف وثراء بفضل ما تدره عليهم تجارة القوافل الرباحة من أرزاق ولهم صلات تجارية واسعة خارج الجزيرة العربية<sup>(٦)</sup> ولكنهم مع ذلك كانوا يمثلون مجتمعا قبليا « لا يعدو اتحاد عشائر ارتبط بعضها ببعض في حلف لغرض سدانة الكعبة من جهة والقيام على تجارة القوافل من جهة أخرى ولا سلطان لعشيرة على عشيرة »<sup>(٧)</sup> .

لم يكن عرب الجاهلية يفتقرون الى الوحدة السياسية فحسب وإنما كانوا يفتقدون كذلك وحدة الهدف والتجانس الثقافي بقدر ما كانوا يعانون من التمزق العقائدى فى ظل الوثنية ، والنظرة المحلية المغلقة فى اطار القبيلة . كان الشعر رصيدهم الثقافى وكان لا يخرج فى أغراضه عن المدح والهجاء وان كانت الفضائل النفسية كالشجاعة والمروءة والكرم من المعانى التى يدور حولها المدح ، وكانوا يؤمنون بوجود علاقة بين الشعر والكهانة والسحر ولهم عناية خاصة بالفراصة والقيافة<sup>(٨)</sup> أى تتبع الأثر فى الأرض ولكن لم تكن لديهم نظرة شاملة الى الحياة والكون وإلى الأسرة البشرية خارج نطاق جزيرتهم ولا الى حياة أخرى غير الحياة الدنيا لأن أكثرهم كانوا وثنيين يؤمنون بقوى الهية كثيرة ، بعضها نبات وبعضها جماد ، فقد اتخذت هذيل من الأصنام « سواعا » وعبدت كلب « ودا » وألهت مذحج « يغوث » واتخذت خيوان « يعوق » وقدمت حمير « نسرأ »<sup>(٩)</sup> . وكان أقدم آلهتهم « مناة » وكانت العرب تسمى « عبد مناة » « وزيد مناة »<sup>(١٠)</sup> ثم اتخذوا « اللات » وهى

(٦) لم تخرج هذه الصلات عن اطار العلاقات التجارية التى كانت تربط الجنوب العربى والمحيط الهندى بشرقى البحر المتوسط وأسواق الهلال الخصيب وعن الرغى من اتساع دائرة هذا النشاط التجارى ، ظل دور العرب فى تاريخ الشرق الأدنى دورا هامشيا .  
راجع :

The Cambridge History of Islam 1 A Co - Ed P. M. Holt  
Cambridge University Press, 1970, pp. 10 , 25 , 26.

(٧) المصدر نفسه ص ٥٢ (٨) المصدر نفسه ص ٨٥

(٩) هشام الكلبى : كتاب الأصنام ، القاهرة ١٩٦٥ ص ١٠ - ١١

(١٠) المصدر نفسه ص ١٣

صخرة مربعة « والعزى » وهى أعظم أصنام قريش يزورونها ويهدون اليها ويتقربون عندها بالذبح وقد أنشد زيد بن عمرو بن نفيل :

تركت اللات والعزى جميعاً      كذلك يفعل الجلد الصبور  
فلا العزى أدين ولا ابنتيها      ولا صنمى بنى غنم أزور  
ولا هبلا أزور وكان رباً      لنا فى الدهر اذ حلمى صغيراً<sup>(١)</sup>

حقاً كانت هناك عناصر تدين باليهودية والنصرانية وكان هناك الحنفاء الذين ساورتهم الشكوك فى دين آبائهم وأخذوا يتطلعون الى دين جديد من أمثال ورقة بن نوفل وأسيد بن عبد العزى وعبيد الله بن جحش وعثمان بن الحويرث ولكن تيار الوثنية كان جارفاً .

وبظهور الاسلام فى القرن السابع الميلادى لم تنته الوثنية فحسب بل تغيرت الأوضاع السياسية والاقتصادية والثقافية داخل الجزيرة العربية كما تغيرت معالم الشرق الأوسط وقيمته الحضارية بعد ذلك بوقت وجيز .

لقد ولدت « الأمة العربية » تحت راية القرآن وأخذت طلائعها تجوب آفاق العالم مبشرة بالعقيدة والقيم الجديدة ، يحدوها فيض زاخر من نور الايمان . وقد أشار الدكتور طه حسين فى تحليله للقومية العربية الى دور الاسلام فى بناء وحدة الأمة العربية حين قال :

« والقومية العربية — اذا أردنا أن نعرف متى تكونت بالمعنى الدقيق لكلمة القومية — ينبغى أن نرد هذا الى ظهور الاسلام فالكون الحقيقى للوحدة العربية بجميع أنواعها وفروعها ، الوحدة السياسية والاقتصادية والاجتماعية واللغوية أيضاً انما هو النبى ﷺ ولا أذكر اليمن القديمة لأنى لا أكاد أعرف من حضارتها ونظمها شيئاً وانما المدينة الأولى التى عرفها التاريخ والتى تكونت فيها النواة الأساسية للقومية العربية هى مدينة « يثرب » بعد أن هاجر النبى اليها مع أصحابه

من قريش • من هذه الوحدة جعل الاتحاد العربى ينمو قليلا قليلا (١٢) » (١٣) •

ويشير الدكتور طه حسين الى أهمية اللغة العربية فى بناء الوحدة القومية فيلاحظ أنه لم يكن للعرب فى الجاهلية رابطته تجمعهم سوى اللغة على اختلاف شديد فى لهجات اللغة (١٤) غير أن الوحدة اللغوية لم تكن فى العصر الجاهلى كاملة لأن الجاهليين لم يتخذوا الكتابة وسيلة لحفظ أشعارهم ونقل ثمره قرائحهم الى الاجيال التالية (١٥) وإنما ظلت لغتهم مسموعة فحسب ولم يتحولوا من أميتهم الكبيرة الى قارئين يتلون الا بعد نزول القرآن ومن ثم أصبحت اللغة العربية مع مسيرة التاريخ الاسلامى لغة مسموعة مكتوبة (١٦) •

ولما كان الأدباء والشعراء مرآة تتجلى فيها أحاسيس الأمة فان الدكتور طه حسين يرى أن الشعر شارك فى تكوين القومية العربية وتقويتها بعد أن كونها القرآن (١٧) وقد عبر الدكتور احمد الحوسى عن رأى شبيه بهذا فى عام ١٩٥٧ عندما ذهب الى أن الفصل فى نشأة الجامعة العربية وفى استهلال الوحدة العربية المنشودة يرجع الى الأدباء قبل أن يرجع الى السياسة ، لأن الأدباء فى رأيه يصرون عن نفوس مبراة من المطامع الشخصية ويعبرون عن آمال الشعب (١٨) •

والحق أن الأمثلة التى سافها الدكتور الحوسى من شعر الأستاذ على الجارم لتأييد وجهة نظره تفيض بنعم شجى وعاطفة دفاقة تتخطى

(١٢) ان طبيعة الوحدة التى يتحدث عنها طه حسين هنا لا تتفق تماما والمفهوم القومى الحديث لأن الأسس التى تستند اليها وحدة الأمة الاسلامية أكثر شمولاً وسماحة من مفهوم القومية الموروثة عن أفكار السياسى الغربى •

(١٣) خطاب الدكتور طه حسين فى مؤتمر الأدباء العرب بانهاضة « المجلة » عدد رقم ١٣ ، القاهرة ، يناير ١٩٥٨ ص ١٠ — ١١

(١٤) المصدر نفسه ص ١٠

(١٥) شوقى ضيف المصدر نفسه ص ١٤٠

(١٦) المصدر نفسه والصفحة

(١٧) « المجلة » ، القاهرة ، يناير ١٩٥٨ ص ١٠ •

(١٨) المجلة عدد رقم (٦) القاهرة ، يونيو ١٩٥٧ ص ٩٤ — ٩٥

الحواجز الجغرافية والحدود السياسية فى العالم العربى الحديث  
لتلتقى بمشاعر العرب فى كل مكان •

فالأستاذ الجارم يخاطب أهل بغداد قائلا :

بغداد يا بلد الرشيد ومنازة المجد التليد  
يا سطر مجد للعربيه خط فى لوح الوجود  
يا راية الاسلام والاسلام خفاق البنود  
يا مغرب الأمل القديم ومشرق الأمل الجديد  
بغداد انا وفد مصر نفيض بالشوق الأكيد  
أهلوك أهـلـونا وأبناء العشيرة والجدود (١٩)

ويخاطب أهل الحجاز :

يا جيرة الحرم المزهو ساكنه سقى العهود الخوالى كل منسكب  
لى بينكم صلة عزت أوأصراها لأنها صلة القرآن والنسب

ويخاطب أهل السودان :

انجزت يوما الى السودان فارعه مودة كصفاء الدر مكنونا  
عهد له قد رعيناه بأعيننا وعروة قد عقدناها بأيدينا  
ظل العروبة والقرآن يجمعنا وسلسل النيل يرويههم ويروينا (٢٠)

واذا جاوزنا أمثلة الدكتور الحوفى من شعر الأستاذ الجارم  
الى مقتطفات أخرى من الشعر العربى الحديث فاننا نجد فى ديوان  
الشاعر العراقى معروف الرصافى والشاعر السودانى أحمد محمد  
صالح مزيدا من النفحات الشعرية التى تتغنى بمآثر العروبة وتمجد  
ماضيها وتعبّر عن وحدتها فالرصافى يرحب بالزعيم التونسى عبد العزيز  
النهضاتى عند قدومه بغداد سنة ١٩٣٥ قائلا (٢١) :

(١٩) ديوان الجارم ، الجزء الثانى مطبعة المعارف بمصر ١٩٣٨  
ص ١٣٩ - ١٤٠  
(٢٠) المجلة ، القاهرة ، يونيو ١٩٥٧ ص ٩٥  
(٢١) ديوان الرصافى الجزء الأول الطبعة السادسة مصر ، ١٩٥٩  
ص ١٣٤ - ١٣٥

أتونس ان فى بغداد قوما  
ويجمعهم واياك انتساب  
ودين أوضحت للناس قبلا  
فنحن على الحقيقة أهل قربي  
وما ضر البعاد اذا تداننت

تترف قلوبهم لك بالوداد  
الى من خص منطقهم بضاد  
نواصح آيه سبل الرشاد  
وان قضت السياسة بالبعاد  
أواصر من لسان واعتقاد

ويرحب بالأديب اللبناني الكبير أمين الريحاني فى عام ١٩٢٢  
بقوله (٢٢) :

ان العراق بعرضه وبطوله  
يهتز مبتهجا بمقدم ضيفه  
بربيب لبنان بريحانيه  
آمين جئت الى العراق لكى ترى  
فأقم به ولك الغنى بفراشه  
وانزل على وادى السلام ممثعا

وبرافديه وباسقات نخيله  
ويش مبتسما بوجه نزيله  
بكبير معشره بفخر قبيله  
ما فيه من غرر العلا وحجوله  
عن قطر مصر وعن موارد نيله  
برغيد عيش تحت ظل نخيله

الى أن يقول :

من أين يرجى للعراق تقدم  
لا خير فى وطن يكون السيف عند  
والرأى عند طريده والعلم عند  
وقد استبد قليله بكثيره

وسبيل ممتلكيه غير سبيله  
جبانه والمال عند بخيله  
غريبه والحكم عند دخيله  
ظلما وذل كثيره لقليله

والأستاذ أحمد محمد صالح تهز مشاعره محنة دمشق فى عام  
١٩٤٥ ومأساة فلسطين فى عام ١٩٤٨ ، فيخاطب دمشق (٢٣) :

صبرا دمشق فكل طرف باكى  
جرح العروبة فيك جرح سائل  
جزعت عمان وروعت بغداد

لما استبيح مع الظلام حماك  
بكت العروبة كلها لبكاك  
واهترت ربي صنعا يوم أساك

(٢٢) المصدر نفسه ص ٤٢٣ — ٤٢٤

(٢٣) أحمد محمد صالح : مع الأحرار ، بيروت ١٩٦٩ الطبعة الاولى  
ص ٩٣ — ٩٤

وسمعت في الحرمين (٢٤) أذنة شاكى  
لما استبد السيف في مفناك  
لما تعفر بالثرى خـداك  
وغدا يلوح مع النجوم سنالك  
في تاج أروع من أمية زاكى  
وازدان بالاسلام عقد حلاك

وقرأت في الخرطوم آيات الأسى  
الزعفران مشيت عليه كآبة  
والروضة الفيحاء روع ركنها  
صبرا دمشق فكل هم زائل  
تتالقن كما عهدتك درة  
في الجاهلية كان عزك باذخا  
ويقول عن فلسطين (٢٥) :

وينعى العـدالة ذاك الخبر  
وجار عليها ذئاب البشر  
قراصنة السوء في المؤتمر  
ولم يرهبوا نابها والظفر  
منها اللهب بدا واستمر  
وكيف الكفاح وفيهم الخور  
وننعم نحن بطلو التمر  
وقولوا لصهيون أين المفر  
وسدوا عليهم طريق الظفر  
قريع الظبى وأخاكم عمر  
وأيامنا الزاهيات المرر  
تراث النبى وذاك الأثر  
نداء فلسطين عند الخطر

مشى يتحدى صروف القدر  
وقالوا فلسطين قد روعت  
لصوص السياسة أهل الدهاء  
أباحوا العرين عرين الليوث  
وما وعد بلفور الا الشرارة  
وقل للعروبة أين السلاح  
اتصلى فلسطين نار السعير  
مكونوا لصهيون سوط العذاب  
خذوهم بك شديد المراس  
وشدوا العرى واذكروا خالدا  
وعهد صلاح وعهد الرشيد  
ونسب لأحمد ان لم تصونوا  
ولستم لعدنان ان لم تلبوا

وبعد .. ان هذه المقتطفات تصور تصويرا صادقا وحدة الشعور  
بين أبناء الأمة العربية ولكنها لا تنهض دليلا على أن الشعر هو منشئ  
القومية العربية بل لعلنا نكون أقرب الى الصواب اذا قلنا ان للشعراء  
نصييا مرموقا فى بناء الوحدة العربية فهم حداتها والمعبرون عنها .

(٢٤) وردت فى الديوان « بيروت » والصحيح « الحرمين » وفتى  
لرواية الدكتور ابراهيم الحارثى .  
(٢٥) المصدر نفسه ص ٩١ - ٩٢ .



على أن هناك جانباً هاماً في أبيات الشعر سالف الذكر إذ أنها تكاد تجمع على رد مقومات الأمة العربية إلى الاسلام ولغة القرآن ، والاسلام ليس عقيدة شخصية فحسب — كما تصوره بعض الأقلام البعيدة عن ادراك طبيعته الشاملة — وإنما هو عقيدة وشريعة ومنهج للحياة وحضارة ومجتمع ، له من المقومات ما يجعله قادراً على التفاعل والتأثير والأخذ والعطاء واستقطاب تجارب الانسانية وثمرات الفكر البشرى والاستجابة لتحديات التغيير دون أن يترخص في قيمه ومعتقداته . وهو في هذا الاطار تراث مشترك لأبناء الأمة العربية على اختلاف نحلهم وملهم وللشعوب الاسلامية على اختلاف ألسنتها وألوانها . ولكن هذا لا يعنى — كما ذكر آخرون — أن الاسلام قد أصبح في نظر الجيل العربى الحديث تراثاً قومياً أكثر منه عقيدة دينية<sup>(٢٦)</sup> . انه عقيدة في المقام الأول وتراث من صنع العقيدة .

وإذا كان العرب قد عزوا بالاسلام وبشروا به في مشارق الأرض ومغاربها ، فإن هذا لا يعنى أن الاسلام دين العرب أو دين الجزيرة العربية كما يزعم كثير من المستشرقين ولكن العرب هم الذين حملوا رسالته وشرفوا بها كما شرفت لغتهم بالقرآن ومن هنا كانت أهمية العلاقة بين العروبة والاسلام وأهمية العالم العربى باعتباره حفيظاً على التراث الاسلامى وقاعدة للدفاع عن لغة القرآن ضد المتربصين بها . لقد حذر عمر بن الخطاب رضى الله عنه من لوثة العصبية العنصرية ومن احتكار الاسلام باسم العروبة قائلاً :

« ان العرب شرفت برسول الله ﷺ ولعل بعضها يلقيها الى آباء كثيرة ، مع ذلك والله لئن جاءت الأعاجم بالأعمال وجئنا بغير عمل فهم أولى بمحمد منا يوم القيامة فلا ينظر رجل الى قرابة وليعمل لما عند الله فان من قصر به عمله لم يسرع به نسبه »<sup>(٢٧)</sup> .

(٢٦) Hisham B. Sharabi, Nationalism and Revolution in the Arab World, D. Van Nostrand Co. Inc., Princeton, New Jersey, 1966 p. 6.

(٢٧) تاريخ الطبرى ، دار المعارف القاهرة ، ١٩٦٣ ، ج ٤ ص ٢١٠

فالتراث الاسلامى واللغة العربية هما قوام الأمة العربية ومع تسرب تيار العلمانية والفكرة القومية بمعناها الأوروبى الحديث الى العالم العربى خلال القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين فان طبيعة الأمة العربية لم يطرأ عليها تغيير جوهري وظل التراث الاسلامى واللغة العربية بمثابة دعامتين أساسيتين للقومية العربية ويبدو هذا واضحا فى المحاولات التى بذلت لتعريف هذه القومية فى العصر الحديث ، فهى فى رأى الدكتور اسحاق موسى الحسينى « جماع المثل العليا المتأصلة فى العرب والتى لا غنى للوجود العربى عنها »<sup>(٢٨)</sup> والقومية العربية فى تعريف الدكتور سيد نوفل هى « رابطة فكرية تضم أبناء الأمة العربية جميعا وتعتمد على مقومات أصيلة فى مقدماتها وحدة اللغة والثقافة والتاريخ والنضال المشترك للحرية والتقدم وآمل المستقبل فى الوحدة الشاملة الكبرى »<sup>(٢٩)</sup> .

أما مؤتمر الأدباء العرب الذى عقد فى القاهرة بين يومى ٩ و ١٥ ديسمبر سنة ١٩٥٧ فيعرف القومية العربية بأنها « حقيقة نابعة من أعماق الذات العربية ومن تفكير كل عربى وشعوره أينما كان منزله وهى تعبير عن شخصية الأمة العربية فى أمانيتها وحاجاتها ومصالحها وما هو قائم بين أبناء العروبة من أواصر التاريخ والموطن والتراث الثقافى واللغة الواحدة والمصير المشترك كما أنها اعراب عن عزم ونضال من أجل حرية الأمة العربية ووحدتها »<sup>(٣٠)</sup> .

هذه المحاولات لتعريف القومية العربية — رغم ما يشتمل عليه بعضها من ألفاظ غامضة — تكاد تجمع على الأسس التى تستند اليها هذه القومية وهى رابطة الفكر والموطن ووحدة اللغة والثقافة والتاريخ والنضال والمصير المشترك ، وهذا عين ما حققه الاسلام للأمة العربية ولكن على مستوى أرفع وعمق حضارى أبعد مما عرفته القوميات

(٢٨) اسحاق موسى الحسينى ، أزمة الفكر العربى ، بيروت ١٩٥٤

ص ٤٣

(٢٩) سيد نوفل ، القومية العربية فى مواجهة الاستعمار الصهيونى

القاهرة ١٩٦٥ ص ٥

(٣٠) المجلة ، القاهرة ، يناير ١٩٥٨ ص ١٨

الحديثة التي نشأت فى أوروبا • وإذا نظرنا الى حياة العرب قبل الاسلام وقد كانت مسرحا للخصام والعدوان والسلب والنهب واذا ذكرنا أرسقراطية قريش فى مكة والعداء المستعرب بين الأوس والخزرج وأرسقراطية الجاليات اليهودية فى يثرب ، واختلاف اللهجات واستهجان الولاء لسلطان غير سلطان القبيلة وتنشئ الأمية والخواء الروحي وتعدد الآلهة وتنوعها لأدركنا أن كل هذه الظواهر ما كانت لتنبئ للعرب مناخا ملائما للوحدة فى أية صورة من صورها •

وهناك من الكتاب العرب من يرى أن القومية العربية مرت فى التاريخ بعدة مراحل تغير خلالها حافظها المثير فالدكتور محمد مندور لا يعترض على أن الاسلام والقرآن كانا الحافظ الأول فى نشر اللغة العربية وتكوين العالم العربى ولكن هذه الوحدة — فى رأيه — ما لبثت أن تفككت مع الزمن تحت وطأة الأحداث وانقسام العالم العربى الى دويلات (٣١) • ويمضى الدكتور مندور قائلا « ثم جاءت الحروب الصليبية فجددت الاحساس بالوحدة الدينية الاسلامية كأساس للقومية العربية ولكنه لم تكد تنقضى الحروب الصليبية وتنسى مأساتها حتى عاد العالم العربى من جديد الى الانقسام » (٣٢) •

ويلاحظ هنا أن الدكتور مندور يخلط بين وحدة الأمة ووحدة الدولة • ان انقسام العالم العربى فيما يسميه الغربيون بالعصور الوسطى ، أو فى العصر الحديث الى دول لا يعنى أن الأمة العربية قد انقسمت الى أمم ، فاستقلال مصر عن الدولة العباسية فى عهد الطولونيين لم يفصل مصر عن الأمة العربية وانما فصلها من الخلافة العباسية وظهور الدول العربية الحديثة ذات السيادة فى القرن العشرين وتعدد حكوماتها لا يعنى انفصاما فى وحدة الأمة العربية التى صاغها الاسلام وأنضجتها تجارب الأيام وأحكمت رابطتها وشائج القربى وصهرتها الآلام والآمال ووحدت لسانها لغة القرآن •

(٣١) المصدر نفسه ص ١٧

(٣٢) المصدر نفسه وانصفحة

لا شك أنه قد ظهرت تيارات فكرية فى وقت ما خلال النصف الأول من القرن العشرين تشكك فى عروبة قطرين من أهم وأكبر أقطار العالم العربى ، وهما مصر والجزائر وهى تيارات تمثل تفكيراً شخصياً غذته مؤثرات أجنبية ولكنها تلاشت بعد أن اقتنع دعاة هذا الاتجاه بالخطأ فى تصورهم . وفى العدد الصادر بتاريخ ٢٣ فبراير ١٩٣٦ من صحيفة « L'Entente » التى أسسها الأستاذ عباس فرحات عام ١٩٣٣ فى الجزائر نشر فرحات مقالته الشهيرة التى جاء فيها : « انتهى لن أموت فى سبيل الوطن الجزائرى لأن هذا الوطن لا وجود له . بحثت عنه فلم أجده . سألت عنه التاريخ والأحياء والأموات وزرت القبور فلم يجبنى أحد . ان الانسان لا يقيم بنيانه على الرياح » (٢٣) وكان عباس فرحات يقود يومئذ دعوة الاندماج فى فرنسا مع زميليه الدكتور ابن جلول والدكتور الأخضرى وردت عليه جماعة العلماء الجزائريين على لسان رئيسها عبد الحميد بن باديس فى مجلة الشهاب فى ابريل سنة ١٩٣٦ : « اننا نحن ففتشنا فى صحف التاريخ وفتشنا فى الحالة الحاضرة فوجدنا الأمة الجزائرية المسلمة متكونة وموجودة كما تكونت ووجدت كل أمم الدنيا ولهذه الأمة تاريخها الحافل بجلال الأعمال ولها وحدتها الدينية واللغوية ولها ثقافتها الخاصة وعوائدها وأخلاقها بما فيها من حسن وقبح شأن كل أمة فى الدنيا . ثم ان هذه الأمة الجزائرية الاسلامية ليست فرنسا ولا تستطيع أن تكون فرنسا لو أرادت بل هى بعيدة عن فرنسا كل البعد فى لغتها وفى أخلاقها وفى عنصرها وفى دينها » (٢٤) .

Jean Lacouture, Cinq Hommes Et La France, (٢٣) Paris, 1961 p. 274.

(٢٤) الشهاب ج ١ م ١٢ ص ٤٥ - ٥٠ ، محرم ١٣٥٥ هـ - ابريل ١٩٣٦ ، مقتطفة فى محاضرة مذكر عبد الرحيم : « بين الاصلية والنبعية - تجربة الاستعمار وانماط التحرر الثقافى فى البلاد الآسيوية والافريقية - ابو ظبى - ٣ مارس ١٩٧٥ ، محاضرات الموسم الثقافى لعام ١٣٩٤/١٣٩٥ هـ ١٩٧٤/١٩٧٥ م دولة الامارات العربية المتحدة ، ص ١٩١ ، عن كتاب : تركى رابع : الشيخ عبد الحميد بن باديس : فلسفته وجهوده فى التربية والتعليم ، الجزائر ١٩٦٩ ص ٢٣٤ .

على أن الرد العملى على عباس فرحات جاء بعد اعلان الثورة الجزائرية فى بداية النصف الثانى من القرن العشرين عندما كانت فرنسا تردد شعار « الجزائر فرنسية » *Algerie Francaise* فريد الشعب الجزائرى الثائر بأن « الجزائر مسلمة » *Algerie Musulmane* ويلاحظ الأستاذ « برنارد لويس » أنهم لم يقولوا « الجزائر جزائرية » أو « الجزائر عربية » وإنما قالوا : « الجزائر مسلمة » (٣٥) .

أما الدكتور طه حسين فكان يؤمن فى سنة ١٩٣٦ بأن مصر جزء من أوروبا فى كل ما يتصل بالحياة العقلية والثقافية ، ويرى أن حياة المصريين المعنوية على اختلاف مظاهرها وألوانها أوروبية خالصة وأنه من السخف الذى ليس بعده سخف اعتبار مصر جزءاً من الشرق (٣٦) . ان مصر فى رأيه تنتمى الى الحضارة الأوروبية حضارة البحر المتوسط .

وجدير بالتنويه أن الفترة التى جهر فيها طه حسين بهذا القول وبآرائه التى ضمنها كتابه « فى الشعر الجاهلى » ( ١٩٢٦ ) (٣٧) إنما كانت فترة اعجاب بالحضارة الغربية وتقليد لها حتى جمح بعنس المستنيرين من أبناء الأمة العربية الى المغالاة فى الدعوة الى قبول معطيات تلك الحضارة بخيرها وشرها ونجد تفسير هذه الظاهرة فى نظرية ابن خلدون التى ذهب فيها الى « أن المغلوب مولع أبداً بالافتداء بالغالب فى شعاره وزيه ونحلته وفى سائر أحواله وعوائده والسبب فى ذلك أن النفس أبداً تعتقد الكمال فيمن غلب عليها وانتقادت اليه » (٣٨) وينبغى ألا نغفل هنا أن العصر الذى كتب فيه طه حسين وعباس فرحات ،

B. Lewis, Op. Cit. p. 95.

(٣٥)

(٣٦) طه حسين : مستقبل الثقافة فى مصر — دار المعارف — القاهرة

١٩٤٤ ص ٣٢

(٣٧) لمزيد من الاحاطة بالمعركة الادبية والازمة السياسية التى اثارها كتاب طه حسين « فى الشعر الجاهلى » انظر : محمد سعيد العريان : حياة الرافعى ، مطبعة الرسالة الطبعة الاولى — ١٣٥٨ هـ ( ١٩٣٩ م ) ص ١٢٦ — ١٣٠

(٣٨) ابن خلدون ( عبد الرحمن ) المقدمة ، تحقيق على عبد الواحد وائى لجنة البيان العربى الطبعة الاولى القاهرة ١٩٥٨ ج ٢ ص ٤٥٠ ، ٤٥١

وظهر فيه كتاب الشيخ على عبد الرازق عن « الاسلام وأصول الحكم » (٣٩)  
كان يمثل ضرورة التسلط الاستعماري الأوروبي على العالم العربي  
والاسلامى .

ولكن الدكتور طه حسين تولى الرد على نفسه مصححا هذه  
الأفكار فى عام ١٩٥٧ عندما قال فى مؤتمر الأدباء العرب فى القاهرة :  
« ومن المحقق أن البلاد التى يتألف منها العالم العربى الحديث لا يمكن  
أن تكون مؤلفة حقا من عناصر عربية خالصة تنسب الى عدنان وقحطان  
وانما هى عربية بلغتها عربية بشعورها وعقلها ووجدانها وعربية بدينها  
سواء أكان هذا الدين اسلاميا أم نصرانيا . وهى عربية بكل هذا . أثرت  
العروبة على غيرها وأصبحت أمة عربية جديدة كونها الاسلام وكونها  
دون اكراه أو ارغام أو عنف » (٤٠) .

ومن الكتاب العرب من لا يؤمن بوجود أمة عربية واحدة ومنهم  
من لا يطمئن الى الحديث عن « الأمة العربية » ويخشى أن تتحول  
« القومية العربية » الى نوع من التأييد للذاتية الاسلامية وهؤلاء  
يحلّمون بأمة عربية مجردة من مقوماتها الاسلامية وتتمتع بحماية أوروبية  
وكان يمثل هذا الاتجاه فى مطلع القرن العشرين نجيب عازورى  
مؤسس « جامعة الوطن العربى » (٤١) فمصر فى رأى عازورى ليست  
قطرا عربيا والقومية التى كان يدعو اليها مصطفى كامل قومية زائفة  
لأنها موالية للاسلام وللدولة العثمانية . هذه الآراء تشبه الى حد ما  
آراء أنطون سعادة ( ١٩٠٤ - ١٩٤٩ ) مؤسس الحزب السورى القومى  
وكان « سعادة » يدعو الى القومية السورية التى اعتبرها دينا جديدا  
يوحد السوريين على اختلاف نزعاتهم ، والعالم العربى فى نظره يمثل  
مجموعة من الأمم لا أمة واحدة وإن كانت لهذه الأمم من روابط الدين

(٣٩) راجع القصة الكاملة لكتاب « الاسلام وأصول الحكم » فى كتاب  
« الاسلام والخلافة فى العصر الحديث » لـ محمد ضياء الدين الرئيس ،  
منشورات العصر الحديث ، الطبعة الأولى ١٣٩٢ هـ ( ١٩٧٢ م ) .

(٤٠) المجلة ، القاهرة ، يناير ١٩٥٨ ص ١٣ - ١٤

(٤١) Albert Hourani, Arabic Thought In the Liberal Age, Oxford University Press, 1962, p. 277.

واللغة ما يدفعها الى العمل للوصول الى اتفاق وتعاون في بعض المسائل السياسية والثقافية والاجتماعية<sup>(٤٢)</sup> وهو يسمى هذه القومية الاقليمية « العروبة الحققة » .

والأستاذ بيير الجميل يؤمن بأن لبنان « مبدأً روحى ورسالة<sup>(٤٣)</sup> وهو — أى لبنان — ينتمى الى العرب والشرق معا » وهو ضرورى للعرب لأنه يفسر للعرب ثقافة العرب وأفكاره وقيمه الروحية . وهو ضرورى للشرق العربى لأن هذا الشرق مدين للبنان بنهضته الفكرية فى القرن التاسع عشر » .

أما سلامة موسى فانه يسخر من اللغة العربية الفصحى ويسخر من الذين « يحترمون القدماء بأشخاصهم وعقائدهم » ومن الثقافة الاقطاعية التى تعنى فى رأيه « تأليف الكتب فى العقائد الدينية والتأليف فى ترجمة معاوية بن أبى سفيان وخالد بن الوليد وحسان بن ثابت » فى الوقت الذى يجب أن يؤلف فيه عن هنرى فوردي<sup>(٤٤)</sup> .

والأستاذ سلامة موسى غاضب على اللغة العربية بوضعها الحاضر وحروفها العربية لأنه يزعم « لن يكون فى بلادنا نهضة علمية ولن ترقى الصناعة الا حين تتخذ الحروف اللاتينية أى لن تستعرب العلوم الا اذا « استلتن » الهجاء العربى »<sup>(٤٥)</sup> ، وهو يرى أن اللغة العربية ليست فقيرة فى التعبير ولكن حروفها هى التى تعجز برسمها الحاضر عن التعبير<sup>(٤٦)</sup> . وهو بالاضافة الى ذلك يؤيد استخدام اللغة العامية دون الفصحى لأن العامية لغة المستقبل .

وهنا لابد من وقفة لنتبين طبيعة هذه الدعوة التى تبناها

(٤٢) K. H. Karpat, Political and Social Thought in the Contemporary Middle East, London, 1968 pp. 77 - 79.

(٤٣) Karpat, Op. Cit. pp. 108 - 109.

(٤٤) سلامة موسى : انبلاغة العصرية واللغة العربية — القاهرة الطبعة الرابعة ١٩٦٤ ص ٨ — ٩ — ١٥٤

(٤٥) المصدر نفسه ، ص ١٦٥ (٤٦) المصدر نفسه ، ص ١٦٨ ( ٣ — نكبة الامة العربية )

سلامة موسى وناجح عنها في ذلك الوقت ، وظاهره فيها لويس عوض<sup>(٤٧)</sup> من بعد ، وذلك نظرا لخطورتها وما قد يبدو عليها في مظهرها من سحر التجديد والابتكار ، ولكن أول ما تعلمه من الذين درسوا تاريخ الدعوة الى اللغة العامية في مصر دراسة احاطة وتجرد وعمق أن سلامة موسى لم يكن من المبكرين في هذا المجال وإنما كان مقلدا وتابعا لمن سبقه من دعاة العامية « والاستلتان » • أما الذين ابتدعوا حملة التشهير بالعربية الفصحى والتأفف منها تمهيدا للقضاء عليها فهم نفر من الغرباء على الوطن العربي واللغة العربية والفترات الاسلامي ، بل نفر ممن تقلدوا بعض المناصب الرسمية في مصر في أوائل عهد الاحتلال البريطاني وعلى رأسهم الدكتور الألماني « Wilhelm Spitta » و « K. Vollers » وكلاهما شغل منصب مدير دار الكتب المصرية ومنهم « J. Seldon Willmore » و « A. Powel » البريطانيين وقد تولوا مناصب قضائية في مصر<sup>(٤٨)</sup> في نهاية القرن التاسع عشر • أما الذي نصح المصريين باستخدام العامية في الكتابة بدلا عن الفصحى لكي يصبحوا مخترعين فهو مهندس الري البريطاني « William Wilcock » في محاضراته التي ألقاها في نادي الأربكية بعنوان « لم لم توجد قوة الاختراع لدى المصريين الآن ( ١٨٩٣ ) » ؟ وزعم في محاضراته أن العامل الأكبر في فقد قوة الاختراع لدى المصريين هو استخدامهم العربية الفصحى<sup>(٤٩)</sup> •

وفي عام ١٩٠١ أصدر القاضي ولمور كتابه « العربية المحكية في مصر » الذي دعا فيه الى كتابة العامية بالحروف اللاتينية وناشد أرباب الصحف أن يبدأوا الكتابة بالعامية واقتراح أن يكون التعليم بالعامية اجباريا<sup>(٥٠)</sup> • وقد تصدى لتفنيد هذه الدعوة بعض المناهين من أبناء

(٤٧) انظر محمود محمد شاكر : « هذه هي القضية » في أباطيل وأسمار — مطبعة المدني ، القاهرة ، الطبعة الثانية ١٩٧٢ ص ١٢٦ — ١٥٠

(٤٨) نفوسة زكريا سعيد ، تاريخ الدعوة الى العامية وآثارها في مصر ، الطبعة الأولى مطبعة دار نشر الثقافة ، الاسكندرية ١٣٨٢ هـ — ١٩٦٤ ، ص ١٧

(٤٩) المصدر نفسه ، ص ١٠٠ (٥٠) المصدر نفسه ، ص ١٠٩



مصر فى ذلك الحين حتى خفت صوتها ولكنها تركت آثارها على بعض من فتن بها ومنهم سلامة موسى الذى أعجب بولكوكس وأيد دعوته الى هجر العربية النصحى وفى ذلك تقول الدكتور نفوسة زكريا سعيد : « فلما يؤس دعاة العامية من الأجانب من نجاح دعوتهم وخمد نشاطهم تبعوا لذلك قام أنصارهم ومن نأثروا بهم من أبناء العربية ببث هذه الدعوة والترويج لها باسم الاصلاح والتجديد فى اللغة العربية وآدابها » (٥١) .

ومن ناحية أخرى يبدو أن بعث هذه الدعوة فى عام ١٩٢٦ والسنوات التى تلتها كان صدى وامتدادا لحركة « الاستلتان » التى قادها مصطفى كمال أتاتورك فى تركيا بعد الغاء الخلافة العثمانية فى سنة ١٩٢٤ وما تبع ذلك من أوامر بالغاء المحاكم الشرعية (٥٢) واحلال الحروف اللاتينية محل الحروف العربية التى حرمت ابتداء من أول نوفمبر سنة ١٩٢٩ (٥٣) وإذا كان الأستاذ ساطع الحصرى يعرف القومية العربية بأنها « اللغة العربية لا أكثر ولا أقل » (٥٤) فان الدعوة الى العامية تعنى نفس القومية العربية من جذورها ، ولكن الحصرى نفسه يشارك الداعين الى هدم القومية العربية — من حيث لا يشعر — عندما يحاول تجريد فكرة القومية العربية من أساسها الاسلامى ويعتبر « الرابطة الاسلامية » احدى العقبات التى كانت تعترض طريق القومية العربية (٥٥) . وفى رأى الحصرى أن العرب اذا تخلوا عن الاسلام فسيظلون عربا (٥٦) وهنا يتولى الأستاذ « هودجكن » الرد على الأستاذ الحصرى قائلا « ان العرب اذا جردوا من القرآن

(٥١) المصدر نفسه ، ص ١٢٢

(٥٢) B. Lewis, The Emergence of Modern Turkey, Oxford University Press, Paperbacks, 2nd Ed. 1968, pp. 272 - 273.

(٥٣) Lewis, Op. Cit. p. 433.

(٥٤) A. Hourani, Op. Cit. p. 313.

(٥٥) ساطع الحصرى ، آراء وأحاديث فى اللغة والأدب — دار العلم للملايين — بيروت ، الطبعة الأولى : ١٩٥٨ ص ١٣٥

(٥٦) A. Hourani, Op. Cit. p. 315.

والاسلام فانهم لن يفقدوا عقيدتهم فحسب بل يفقدون تاريخهم ومجتمعهم وتقاليدهم ولغتهم» (٥٧) .  
وقد ذهب بعض الكتاب العرب الى الاسراف فى رد القومية العربية وأصول الوعي المشترك بين العرب الى العصور القديمة فالدكتور ابراهيم جمعة يعتبر القومية العربية قديمة قدم العرب وأنها أقدم من الدولة العربية التى ظهرت مع الاسلام (٥٨) ويتخذ ابراهيم جمعة الهزيمة التى حاقت بجيش أبرهة «الأصحم» - أو «الأشرم» - ابن الصباح فى عام ( ٥٧٠ م ) دليلا على وجود وعى عربى قومى وقف فى وجه الغزو الأجنبى (٥٩) وهو يشير بذلك الى قصة أصحاب الفيل التى ورد ذكرها فى القرآن الكريم غير أنه لم تكن ثمة صلة للوعي العربى بهذا الحدث لأن هلاك أبرهة وجيشه تم من قبل طير أباييل أرسلها الله سبحانه وتعالى « وأرسل عليهم طيرا أبابيل - ترميهم بحجارة من سجيل - فجعلهم كعصف مأكول » (٦٠) . لم يكن هناك لقاء بين جيش عربى وجيش أجنبى . وانما خرجت قريش - عندما سمعت بقدوم أبرهة - فاعتصمت بالجبال ، بينما تولى عبد المطلب جد النبى ﷺ الرد على أبرهة قائلا « ولكن البيت له رب يحميه ويحرسه » (٦١) . ولئن صح أن انتصار العرب على الفرس فى يوم ذى قار سنة ١٣ ق.هـ ( ٦١٠ م ) كان دلالة على أهمية القيمة العصبية ووجود نوع من وحدة الهدف بين كثرة القبائل العربية (٦٢) فإن اتخاذه دليلا على وجود وعى قومى عربى (٦٣) لا يخلو من مبالغة مفرطة .

E. C. Hodgkin, The Times, London, No . 58036, (٥٧) November, 30, 1970, p. 8.

K. H. Karpat, Op. Cit. p. 48.

Karpat, Op. Cit. p. 48.

(٥٨) (٦٠) الفيل : ٣ - ٥ ، انظر : عبد الله الطيب تفسير جزء عم ، بيروت الطبعة الاولى ، سورة الفيل ص ٤١٧ - ٤٢٠ .

(٦١) المصدر نفسه ص ٤١٩ .  
وراجع ايضا : ابن هشام ، السيرة النبوية ، الطبعة الثانية . مصطفى البابى الحلبي ، مصر ، ١٣٧٥ هـ ( ١٩٥٥ م ) ج ١ ص ٥٢ - ٥٣ .  
(٦٢) عمر فروخ - تاريخ الجاهلية ، دار العلم للملايين ، بيروت

Karpat, Op. Cit., p. 48.

١٩٦٤ ص ١٤٥

(٦٣)

ويورد الدكتور سيد نوفل رأيا مشابها لرأى الدكتور ابراهيم جمعة حول هذا الموضوع فيقول :

« ان أصول الوحدة العربية والوعى العربى المشترك تعود الى التاريخ القديم عندما نمت تلك الأصول قبيل الاسلام فى الاجتماع تحت علم النضال ضد المطامع الأجنبية الفارسية والرومانية وفى توحيد اللهجات اللغوية ونمو الأسواق والتبادل التجارى » (٦٤) .

لقد جرت الأحداث التى استند اليها ابراهيم جمعة وسيد نوفل فى تأييد وجهة نظرهما فى وقت كان العرب يفتقرون فيه الى الوعى القومى والوحدة الداخلية ولم تقم لهم بعد دولة تنمى الوحدة القومية وترعاها ولعل الرابطة التى كانت تجمع القبائل فى ذلك الحين ازاء العالم المحيط بهم لا تعدو شعورا بالاستعلاء والتفوق العنصرى بينما حطم الاسلام العنصرية وأقام مكانها الاخوة الاسلامية التى تؤمن بالكتب المنزلة من عند الله جميعها ولا تفرق بين البشر بسبب اللون أو السلالة ولا تفاضل بينهم الا بالتقوى وصالح العمل :

« قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربه لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون » (٦٥) .

وفضلا عن ذلك لم يعرف العرب الوعى التاريخى قبل الاسلام . كانت لهم معرفة بالأنساب وبالمعارك القبلية التى سموها « أيام العرب » ولكن هذه الأحداث كانت معزولة بعضها عن بعض . أما الوعى التاريخى فقد أخذوه عن القرآن بما أعطاهم من تصور شامل لقصة الانسان على الأرض وللتاريخ الدينى للبشرية (٦٦) ويمكن القول انه منذ ذلك

(٦٤) سيد نوفل ، مرجع سابق ص ١٠

(٦٥) البقرة : ١٣٦

J. F. Schacht, 'The Arab Nation, Paths and Obstacles to Fulfilment 14th. Annual conference on Middle Eastern Affairs, May 5 - 7, 1960 Middle East Institute, Washington, D. C. 1961, pp. 19 - 20.

الوقت أخذ العرب يتمتعون بدرجة عالية من الوعي التاريخي وفي رأى « شاخت » أن العرب لم يصبح لهم تاريخ مشترك الا بعد الفتح الاسلامية (٦٧) .

لقد ولدت الأمة العربية بظهور الاسلام ونمت في رحابه ولكنها أخذت تستجيب لبوادر الوعي القومى الحديث منذ نهاية القرن التاسع عشر وذلك بعد أن شهدت في تاريخها الطويل ضروباً من الصعاب وعاشت عصوراً من القوة والضعف وذاقت ألواناً من نشوة النصر ومرار الهزيمة ولكنها ظلت صامدة متميزة بخصائصها لم تذبل ولم تنسدر وما كان استيعابها في إطار الدولة العثمانية في القرن السادس عشر والقرن السابع عشر بداية لنهايتها وانما كان فاتحة لمشاركتها في دولة الخلافة الاسلامية التي صانت وحدة العالم العربى والاسلامى واستقلاله زهاء أربعة قرون (١٥١٤ - ١٩٠٨) (٦٨) وحملت أمانة الدفاع عن فلسطين وحمايتها من المطامع اليهودية خلال النصف الثانى من القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين . وحتى في عصور ضعفها كانت الدولة العثمانية - بحق - الملاذ السياسى للشعوب الاسلامية المتطلعة الى العون في جهادها ضد الاستعمار . تطلعت اليها حركة المقاومة الجزائرية ضد الفرنسيين بعد احتلالهم الجزائر واستغااثت بها تونس كما تطلعت اليها شعوب القوقاز في نضالها ضد مطامع القيصرية الروسية في القرن التاسع عشر (٦٩) واتجهت اليها مصر لانقاذها من التدخل البريطانى ولكن الدولة عجزت عن الاستجابة للنداء لأنها بلغت من الكبر عتياً ووقعت تحت التهديد الأوروبى .

وعندما انفتحت الدولة العثمانية على العالم الغربى وهبت عليها رياح التغيير في القرن التاسع عشر ، عاشت معها الأمة العربية هذه

Schacht, op. cit., p. 20.

(٦٧)

(٦٨) يوافق هذا التاريخ ( ١٩٠٨ ) ثورة الشبان الاتراك التي قضت على الخلافة العثمانية من الوجهة العملية وان كان الغاء الخلافة رسمياً تم في مارس سنة ١٩٢٤ ، عندما سبق آخر خليفة عثمانى الى المنفى .

Arnold Toynbee, A Study of History, Oxford (٦٩)

University Press, London, 1969 Vol. 8 pp. 962 - 963.

التجربة فشهدت سوريا في النصف الثاني من ذلك القرن نشاط بعثات التبشير الأوروبية والأمريكية كما شهد وادي النيل جهود محمد علي باشا في مجالات الزراعة والتعليم والترجمة وتثريب<sup>(٧٠)</sup> الحياة المصرية وأخذت أذهان العرب تتفتح لا على علوم العرب وتقدمه المادي والعلمي فحسب بل على وأفهم الآلئيم وعلى شكل ماضيهم وأمجادهم الغابرة وفي الوقت ذاته شرعت الدول الاستعمارية الغربية في ابتلاع الأقاليم العربية العثمانية اقليما تلو الآخر فعززت فرنسا احتلالها للجزائر<sup>(٧١)</sup> باعلان الحماية على تونس في مايو سنة ١٨٨١ بحجة المحافظة على الأمن ، ويروى « ولفرد بلنت » ان الاذن لم تكن في حاجة الى من يحافظ عليه<sup>(٧٢)</sup> وانسردت بريطانيا باحتلال مصر ( ١٨٨٢ ) وضرب الثورة العربية ، واحتلال السودان ( ١٨٩٦ - ١٨٩٩ ) وذهبت ليبيا ضحية للاحتلال الايطالي ( ١٩١٢ ) ، وهكذا اقترن اللقاء القاري بين العالم العربي والعربي بالمواجهة السياسية والعسكرية للاحتلال - أي اقترن التحدي الحضاري بالتحدي الحضري والسياسي - فحدثت اليقظة القومية هي الاستجابة لتلك التحديات • ان مؤرخي الحركة العربية في العصر الحديث يكادون يتفقون على أن الفكرة القومية بمعناها الحديث لم تظهر لدى العرب الا بعد منتصف القرن التاسع عشر نتيجة لعدد من المؤثرات والعوامل كالالتقاء بين شعوب الشرق الاوسط والغرب وتسرب الأفكار السياسية الغربية الى العالم العربي ونشاط المبشرين والمستشرقين الغربيين وعنايتهم بدراسة اللغة العربية وتاريخ العرب والاسلام ونمو العلاقات التجارية والسياحية بين أوروبا والبلاد العربية وظهور الصحافة وتنبيه سكان العالم العربي الى وجود عالم جديد يفوقهم علما وقوة وثراء في وقت كان العرب يعانون فيه من الجهل والفقر والضعف •

ويعزو الأستاذ جورج أنطونيوس بداية هذه اليقظة في سوريا

(٧٠) ترجمة لكلمة « Westernisation » .

(٧١) احتلت الجزائر في سنة ١٨٣٠

(٧٢) W. S. Blunt, Secret History of the English Occupation of Egypt, U. K., 1907 pp. 122 - 123.

الى نشاط البعثات التبشيرية الكاثوليكية « والمسيحية »<sup>(٧٣)</sup> التي أسست المدارس وجلبت المطابع وساعدت على ظهور الجمعيات الأدبية خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر . ووجدت تلك الجمعيات في بعث الأدب العربي أساسا صالحا لبناء المستقبل وارساء الحياة العربية على قواعد جديدة من الاخاء والتراث الأدبي المشترك . ومن الشخصيات العربية التي تبنت هذا الاتجاه الأستاذ ناصيف اليازجي (١٨٠٠ - ١٨٧١) وبطرس البستاني (١٨١٩ - ١٨٨٣) وقد عرف اليازجي بامتلاك ناصية اللغة العربية حتى استعان به المبشرون الأمريكيان في اخراج كتبهم باللغة العربية لطلاب المدارس التبشيرية وكان اليازجي يرى في بعث الأدب العربي الطريق الأوضح لاشاعة روح التسامح ونبذ التعصب . أما الأستاذ البستاني فكان ضليعا في اللغة العربية ويجيد عددا من اللغات الأجنبية منها العبرية والارمنية واللاتينية والآرامية . وأول جمعية ألفها هذان الأديبان - وتعتبر الأولى في العالم العربي كله - هي جمعية الآداب والعلوم ( ١٨٤٧ ) وكانت تضم بعض المبشرين الأمريكيان من أمثال « كونيلىوس فاندايك » و « ايلي سميث » . ثم ظهرت الجمعية الشرقية التي ألفها اليسوعيون في عام ١٨٥٠ برئاسة الأب « هنري دي برونيير » وفي سنة ١٨٥٧ أسست الجمعية السورية العلمية التي أعيد تكوينها في عام ١٨٦٨ بعد أن توقفت نشاطها فترة من الزمن وكانت تدعو الى تقدم البلاد والاعتزاز بالتراث العربي ويرى « أنطونيوس » في هذه الجمعية أول مظهر للوعي الوطني الجماعي ومهد حركة سياسية جديدة<sup>(٧٤)</sup> وان كان أول جهد منظم في حركة العرب القومية يرجع في رأيه الى سنة ١٨٧٥ حين ألفت جمعية سرية في بيروت تضم خمسة أشخاص من خريجي الكلية السورية البروتستانتية وأنشأت لها فروعاً في دمشق وطرابلس الشام وصيدا وكان من أعضائها الدكتور فارس نمر ولم يمض على تأسيس هذه الجمعية بضع سنوات حتى

(٧٣) ترجمة لكلمة «Prespyterian» وهي صفة لكنيسة بروتستانتية

(٧٤) جورج أنطونيوس ، يقظة العرب ، تعريب ناصر الدين الأسد واحسان عباس ، دار العلم للملايين بيروت ١٩٦٦ ص ١١٨ - ١٢٠

ظهرت منشورات سرية في بيروت تندد بحكم الأتراك وتحرض العرب على الثورة ويرى « ليونارد شتاين » أن حركة القومية العربية ولدت في منتصف القرن التاسع عشر بجهود عدد ضئيل من السوريين واللبنانيين وكانت كثرتهم من النصارى لبناء نهضة أدبية عربية وتذكير العرب بتراثهم الثقافي وأن الكلية السورية — الجامعة الأمريكية فيما بعد — لعبت — تحت اشراف المبشرين الأمريكان — دورا هاما في ظهور هذه النهضة<sup>(٧٥)</sup> وفي رأى « شتاين » أن علاقة هذه المؤسسة بنشأة الحركة القومية في سوريا كانت من العوامل التي جعلت وزارة الخارجية الأمريكية في واشنطن لا تعطف كثيرا على الحركة الصهيونية في سنة ١٩١٧<sup>(٧٦)</sup> ولعله يشير بذلك الى معارضة « روبرت لانسنج » وزير الخارجية الأمريكية الذي نصح الرئيس الأمريكى « ويلسون » ألا يؤيد وعد « بلفور » ( انظر الفصل الثالث ) .

ان الحديث عن بعض الجمعيات التي ظهرت في سوريا في النصف الثانى من القرن التاسع عشر باعتبارها طلائع البعث القومى للأمة العربية في العصر الحديث لا يخلو من مبالغة بل لعله لا يستند الا على قدر ضئيل من الحقيقة اذ يلاحظ أن هذه الجمعيات ظهرت في وقت قريب من عهد الاضطرابات الطائفية التي شهدتها سوريا وبخاصة لبنان بين عامى ١٨٤٥ و ١٨٦٠ وقد ذكر أنطونيوس أن هذه الفتن اندلعت بعد انسحاب ابراهيم باشا من سوريا اثر تدخل الدول الأوروبية الذي انتهى بانتزاع سوريا من محمد على ومنحه ولاية مصر بالتوارث ( معاهدة لندن ١٨٤٠ ) وأضاف أنطونيوس أن فرنسا وبريطانيا كان لهما ضلع في فتنة لبنان عام ١٨٤٥ عندما ظهرت فرنسا الموارنة ووقفت بريطانيا مع الدروز كما ذكر أن الدول الأوروبية اتخذت اضطرابات سنة ١٨٦٠ في لبنان ذريعة للتدخل في شئون سوريا<sup>(٧٧)</sup>

Leonard Stein, The Balfour Declaration, London, (٧٥)  
1961 pp. 86 - 87.

Stein, Op. Cit., pp. 87 - 593 - 594. (٧٦)

(٧٧) أنطونيوس ، المصدر نفسه ص ١٢٢ — ١٢٤

ومع أن ظهور الجمعيات التي أشار إليها أنطونيوس اقترن بنشاط الهيئات التبشيرية الأمريكية فإن ظهورها في تلك الفترة وفي الأقليم السوري بالذات أمر يسترعى النظر ويحتاج إلى تفسير . وأقرب التفسير إلى الذهن أن الدعوة إلى اتخاذ الأدب وسيلة لنيل التعصب والخلاف الطائفي كانت تعبيراً عن حالة الفلق السائد في بعض أجزاء الأقليم السوري نتيجة خلاصات عقائدية تبناها الاستعمار الفرنسي والبريطاني وعمل على تغذيتها لضعاف سلطة الحكومة العثمانية وإحراز المزيد من التدخل في شئونها وكانت المنافسة حادة بين بريطانيا وفرنسا على مواقع النفوذ في الأراضي السورية بعد إخراج محمد علي منها واستغلال الاستعمار للفن أو إثارتها يذكّرنا بفتنة الاسكندرية الشهيرة ( ١١ يونيو ١٨٨٢ ) التي كان البادئ بالعدوان فيها أحد الرعايا البريطانيين من أهل مالطة والتي استتار شرها وذهب ضحيتها مئات الأبرياء<sup>(٧٨)</sup> . وقد أشارت بعض أصابع الاتهام فيها إلى أن الفتنه كانت مدبرة<sup>(٧٩)</sup> وسواء أثبتت انتهمه أم لم تثبت فإن نيران مدفعية الأسطول البريطاني قصفت مدينة الاسكندرية في الحادي عشر من شهر يوليو ١٨٨٢ ايذاناً ببدء الاحتلال البريطاني لمصر أي بعد ثلاثين يوماً من مذبحه الاسكندرية وقد « أراد الانجليز أن يمزوا هذه المأساة إلى عرابي »<sup>(٨٠)</sup> وهذا انجاء يصعب قبوله لأن مدبري المأساة إذا ثبت أنها مدبرة — لأبد من أن يكونوا من الذين لهم مصلحة في قمع الثورة العربية أو تبرير التدخل البريطاني المسلح في مصر أو الأمرين معا ولن يكون أحمد عرابي هو صاحب هذه المصلحة بأي حال من الأحوال ، وبما أن الثورة العربية قد قمعت فعلاً بمدافع الأسطول البريطاني واستغلت فتنة الاسكندرية لتبرير

(٧٨) مكي شبكة ، تاريخ شعوب وادي النيل ، نقل عن عبد الرحمن الرافعي ، بيروت ١٩٦٥ ، ص ٦١٧

(٧٩) محمود الخفيف ، أحمد عرابي ، كتاب الهلال العدد ٢٤٥ يونيه ١٩٧١ ص ٢٠٨ — ٢٠٩

(٨٠) محمود الخفيف المصدر نفسه ص ٢٢٣



الاحتلال فان ذلك أدعى لترجيح القول بأن الفتنة كانت من تدبير الغزاة الطامعين فى احتلال مصر •

ان هذه التأملات فى صلة الجمعيات الأدبية السورية بنشأة الحركة القومية العربية لا تعنى أن تلك الجمعيات لم تسهم بأى قدر فى نمو الحركة اذ لا شك فى أنها ساعدت على جعل اللغة العربية والتراث الاسلامى موضع اهتمام عدد قليل من أبناء سوريا وظل هذا العدد يزداد حتى امتدت آثاره الفكرية ونشاطه الاعلامى فيما بعد الى وادى النيل ، عندما ظهرت صحيفة « الأهرام » فى الاسكندرية سنة ١٨٧٦ لمؤسسيها سليم وبشارة تقلا وفى القاهرة سنة ١٨٩٨ ، وانتقلت « المقتطف » أقدم المجلات العربية الأدبية والعلمية من بيروت الى القاهرة سنة ١٨٨٤ لصاحبها يعقوب صروف وفارس نمر وظهرت « مصر » لأديب اسحاق سنة ١٨٧٧ وأسس جورجى زيدان<sup>(٨١)</sup> « الهلال » فى القاهرة سنة ١٨٩٢ وأصدر نجيب الحداد وأمين الحداد وعبدى بدران « لسان العرب » سنة ١٨٩٤ فى الاسكندرية وبعثت ادارة « المقتطف » و « المقطم » خليل ثابت وليبيب جريدينى لتأسيس صحيفة « السودان » فى الخرطوم سنة ١٩٠٤<sup>(٨٢)</sup> •

غير أن الأستاذ أنطونيوس يذكر أن الهيئات التبشيرية الأجنبية كانت تهدف الى توجيه المولاء الفكرى للجيل العربى الجديد نحو الثقافات الأوروبية المختلفة لاسيما الثقافة الفرنسية<sup>(٨٣)</sup> حتى ظهر جيل من المتعلمين يألّفون اللغة الفرنسية والانجليزية والروسية أكثر مما يألّفون لغتهم الأصلية بل أصبح التعليم العربى التبشيرى أداة من

(٨١) جورجى زيدان ( ١٨٦١ — ١٩١٤ ) من عرب حوران . نشأ فى بيروت وهاجر الى مصر وكان محررا فى جريدة الزمان ثم مترجما مع الحملة البريطانية النيلية الى السودان • اشتهر بمؤلفاته التاريخية عن الاسلام وأصدر عددا كبيرا من الروايات التاريخية ( عن المنار ج ٨ م ١٧ ص ٦٣٦ ، يونيو ١٩١٤ ) •

(٨٢) محمد صالحه وسميح معلى : تاريخ الصحافة العربية ، عمان ١٩٦٦ ص ١٠٩ — ١٤٢

(٨٣) أنطونيوس : المصدر نفسه ص ١٦٥

أدوات التغلغل السياسى وبهذا أفسد ما قام به المصلحون العرب من أتراب البستاني الذين كانوا أول من وقف فى وجه الخلافات الطائفية<sup>(٨٤)</sup> .

ويرى آخرون أن نشاط المبشرين الأجانب فى سوريا فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر كان عائقا ليقظة العرب من حيث أنه أثار شكوك الأكثرية العظمى من السكان المسلمين الذين وقفوا بعيدا عن المؤسسات التعليمية التى أنشأها المبشرون ومن حيث أنه ساعد على اذكاء نار العداوة بين الطوائف المختلفة مما استلزم فى بعض الأحيان تدخل قناصل الدول الأجنبية<sup>(٨٥)</sup> .

غير أن المستشرقين والمبشرين الذين عنوا بالدراسات العربية الاسلامية أسهموا — من ناحية أخرى — فى يقظة الأمة العربية ، مع ما عرف عن بعضهم من اسراف وغلو فى عداوتهم للاسلام وقيمه وتراثه الحضارى ، كالأب « هنرى لامانس » و « سير وليام موير » ( ١٨١٩ — ١٩٠٥ ) « ويوليوس ولهاوزن » ، يقابل ذلك المعتدلون منهم الذين اتسمت دراساتهم الاسلامية بقدر كبير من الهدوء والعمق كالأستاذ « هـ. ر. جب » « وبرنارد لويس » ولكن مجرد صدور أحكام هؤلاء وأمثالهم على الاسلام وتاريخه ، من موقع التبشير السافر والمستتر ، أو بدافع الهوى السياسى والتشيع الدينى لأبناء ملتهم أو من موقع الاستعلاء والصلف الحضارى<sup>(٨٦)</sup> ، كل ذلك يوجب النظر فى أعمالهم بكثير من الحذر واليقظة .

(٨٤) أنطونيوس : المصدر نفسه ص ١٦٦

(٨٥) Zeine, N. Zeine, The Emergence of Arab Nationalism Beirut, Khayats, 1966 pp. 46 - 47.

(٨٦) راجع : Edward W. Said, Orientalism, Routledge and Kegan Paul, London, 1978, pp. 236 — 237 .

وراجع أيضا : عبد اللطيف الطيباوى : المستشرقون الناطقون بالانجليزية ومدى اقترابهم من حقيقة الاسلام والقومية العربية ، ملحق كتاب : محمد البهى ، الفكر الاسلامى الحديث وصلاته بالاستعمار الغربى ، القاهرة ١٩٦٨ ، ص ٥٧٩ — ٦١٤

لقد بدأت حركة الاستشراق الأوروبي منذ وقت مبكر وربما تعود الى القرن الثانى عشر الميلادى عندما كان العلماء الأوروبيون يزورون الجامعات العربية فى اسبانيا ويعتبر الأستاذ « Alfred of Bath » أول من حمل لواء الدراسات العربية فى الغرب<sup>(٨٧)</sup> وبدأت الحركة فى بريطانيا فى القرن السابع عشر باعداد القواميس العربية وكتب النحو وتحريير المخطوطات وترجمة القرآن ثم فتحت الحملة الفرنسية الى مصر المجال لزيارة الشرق ومن ثم بدأت حركة الاستشراق العلمى على أيدي العلماء الفرنسيين الذين رافقوا الحملة الفرنسية وعلى رأسهم « Silvestre de Sacy » ثم أقبل علماء أوروبا على الدراسات الشرقية من مختلف الأقطار . فمنهم الفرنسيون والألمان والبريطانيون والايطاليون والهولنديون والروس وغيرهم ونذكر من هؤلاء على سبيل المثال « كارل بروكلمان » و « أول. بروفنسال » و « س. ه. بيكر » و « أ. س. تريتون » و « ت. نولدكه » و « ر. ليفى » و « أ. ح. آربرى » و « د. س. مرجليوث » و « ب. لويس » و « لوى ماسينون » . وكان من هؤلاء المستشرقين من أظهر إعجابه بالحضارة الاسلامية وسكن الى الحياة فى البلاد العربية كالأستاذ « B. W. Lane » ( ١٨٧٦ — ١٨٠١ ) الذى زار مصر واتخذها دار اقامة وعرف بالأستاذ الأكبر للدراسات العربية وسمى « منصور أفندى »<sup>(٨٨)</sup> ومنهم « ولفرد بلنت » ( ١٨٤٠ — ١٩٢٢ ) صديق « محمد عبده » ونصير الثورة العربية وهو مؤلف « التاريخ السرى للاحتلال البريطانى فى مصر » وكتاب « عبد القادر الجزائرى بطل الثورة الجزائرية » فى القرن التاسع عشر وقد استقر فى القاهرة واتخذ الزى المصرى وأصبح لا يتكلم غير العربية<sup>(٨٩)</sup> .

كانت الاستجابة لتعصب غلاة المستشرقين وأسلوبهم فى تناول القضايا الاسلامية تجاه الحركة القومية الحديثة فى العالم العربى الى

Bernard Lewis, British Contributions to Arabic (٨٧)  
Studies, London, 1941, p. 12.

Lewis, op. cit. pp 21 - 23.

(٨٨)

Lewis, op. cit., p. 27.

(٨٩)

استلهم الاسلام عقيدة وثقافة وحضارة<sup>(٩٠)</sup> والتصدى للدفاع عن النفس وعن الكيان الثقافى والحضارى والروحى للأمة العربية والاسلامية .  
وظهر هذا الموقف الدفاعى بوضوح فى نهاية القرن التاسع عشر فى رد السيد « جمال الدين الأفغانى » على محاضرة « أرنست رينان » التى ألقاها فى السوربون فى مارس ١٨٨٣ عن « الاسلام والعلم » كما تجلى فى مقالات « العروة الوثقى » التى أصدرها الأفغانى ومحمد عبده فى باريس من ( ١٣ مارس الى أكتوبر ١٨٨٤ ) وسار مصطفى كامل فى نفس الاتجاه كما تشهد بذلك خطبه التى ألقاها فى زيارته للأقطار الأوروبية وجريدته الأسبوعية « العالم الاسلامى » التى أصدرها فى أول مارس سنة ١٩٠٥ .

هذه الروح الدفاعية التى أثارها تحامل المستشرقين نلمسها على صفحات « العروة الوثقى » « المنار » وفى حملة الدفاع عن الاسلام التى ظهرت فى النصف الأول من القرن العشرين فى مؤلفات محمد حسين هيكل وطه حسين وعباس محمود العقاد وأحمد أمين وتوفيق الحكيم ومصطفى صادق الرافعى ومجلة « الرسالة » للأستاذ أحمد حسن الزيات .  
وقد كانت هذه الحملة الدفاعية لازمة فى حينها لا لأنها تولت الرد فحسب على مفتريات دافعها المتعصب الأعمى لبعض المستشرقين وجهلهم بحقائق الاسلام ولكن لأنها أعادت لشبان الأمة العربية الذين لم يكن لهم المام كاف بتاريخ أمتهم وهزتهم تلك المفتريات ، أعادت اليهم الثقة بأنفسهم وببلادهم وبتراثهم الحضارى .

على أن تحدى المستشرقين كان له نوع آخر من ردود الفعل وأعنى به اقبال الصفوة الواعية من أبناء البلاد العربية على دراسة الحضارة الاسلامية والتراث العربى دراسة فاحصة ناقدة تستخدم أساليب البحث العلمى الحديث وأدواته وتهدف الى التقويم الموضوعى للحضارة العربية الاسلامية لا تكفى برصد هفوات المستشرقين وتعصبهم ولا تغمض عيونها عن واقعها المرير لتتغنى بأمجاد الماضى فى نشوة

E. I. J. Rosenthal, Islam in the Modern National State, Cambridge University Press, 1965, p. 5. (٩٠)

ذهنية عاطفية ولكنها تشخص العلل التي أصابت الأمة العربية والاسلامية وتدرس عوامل تخلفها الاقتصادي والاجتماعي وتضع الأسس القويمة التي تحقق لأمتهم الانطلاق المعافى والوحدة المنشودة والتقدم والرخاء بعد عصور من الجمود والتفريق والضعف • هذا الاتجاه الجديد نحو قضية التجديد في العالم العربي لا شك أنه أحد نتائج تحديات « الاستشراق » وهو من شأنه أن يدفع أبناء الأمة العربية والاسلامية الى « طرح مشكلة الاسلام والعلم بحيث لا نصبح نبحت في الآيات الكريمة هل ذكر فيها شيء عن غزو الفضاء أو تحليل الذرة وإنما نتساءل هل في روحها ما يعطل حركة العلم أو على العكس ما يشجعها وينميها » (٩١) •

أما الصحافة فأنها لعبت دورا هاما في ايقاظ الشعور الوطني وتحقيق نوع من التجانس الفكري بين أبناء البلاد العربية في وادي النيل واليهلال الخصيب بل امتدت آثار بعض الصحف الى كافة أطراف الوطن العربي وبعض أجزاء العالم الاسلامي كاليهند • وقد ذكرنا ظرما من أخبار الصحف التي أسسها في مصر المهاجرون من أبناء الاقليم السوري • وفي سوريا نفسها ظهر عدد كبير من الصحف الأدبية والسياسية خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر أذكر منها — على سبيل المثال لا الحصر — « حديقة الأخبار » ( ١٨٥٨ ) في بيروت لخليل الخوري و « نفير سوريا » ( ١٨٦٠ ) لبطرس البستاني و « الجنينة » ( ١٨٧١ ) لسليم البستاني و « النجاح » ( ١٨٧١ ) للقس لويس صابونجي و « لسان الحال » ( ١٨٧٧ ) لخليل سركيس و « الشهباء » ( ١٨٧٧ ) لعبد الرحمن الكواكبي وهاشم العطار في دمشق و « المقتطف » ( ١٨٧٦ ) — قبل انتقالها الى مصر — ليعقوب صروف وفارس نمر وفي مطلع القرن العشرين ( ١٩٠٨ ) ظهرت صحيفة

---

(٩١) مالك بن نبي : انتاج المستشرقين وأثره في الفكر الاسلامي الحديث ، دار الارشاد للطباعة ، بيروت ١٩٦٩ ، ص ٢٦

« الاتحاد العثماني » للشيخ أحمد حسن طبارة و « الاخاء العثماني »  
( ١٩١١ ) لمحمد شاکر الطیب<sup>(٩٢)</sup> .

وهناك صحف أخرى كان لها أثر أكبر فى بعث الوعي العربى والاسلامى ومقاومة الاحتلال البريطانى فى مصر • ويحدثنا الأستاذ عبد الرحمن الرافعى عن بعض هذه الصحف وميولها فيقول « ان الصحافة فى مصر فى نهاية القرن التاسع عشر كانت اما موالية للاحتلال وتؤيده واما معارضة فى خوف وتردد خشية المصادرة والتعطيل وكانت جريدة «الأهرام» و « الوطن » ( لميخائيل عبد السيد ) تنحوان هذا النحو من المعارضة ثم حمل لواءها « المؤيد » ( للشيخ على يوسف ) فى رفق وهودة • ووصف الرافعى ظهور جريدة المؤيد ( ديسمبر ١٨٨٩ ) بأنه « كان من الحوادث المهمة فى عهد وزارة رياض باشا وكانت سياسة تلك الجريدة وطنية اسلامية بعثت الروح الوطنية وأحييت الصلات بين الأمم الشرقية ونبعت الرأى العام فى مصر الى تعرف حقائق الحالة السياسية التى وصلت اليها فى عهد الاحتلال »<sup>(٩٣)</sup> ويمضى الأستاذ الرافعى قائلاً « أما الصحيفة الوحيدة التى كانت تهاجم الاحتلال فى شجاعة وقوة فهي « العروة الوثقى » ( ١٨٨٤ ) وكانت أول صحيفة قاومت الاحتلال فى عهده الأول »<sup>(٩٤)</sup> .

لم تكن « العروة الوثقى » تقاوم الاحتلال البريطانى فحسب ولكنها كانت تحمل تعاليم الأفغانى وآراءه التى تندد بحكم الفرد وتتحدث عن الحكم الدستورى الذى « تأتى به الأمة فتملكه على شرط الأمانة والخضوع لقانونها الأساسى وتؤكد للحاكم أن المتاج سيبقى فى رأسه مادام محافظاً أميناً على صون الدستور • أما اذا حنث بقسمه أو خان دستور الأمة فاما أن يبقى رأسه بلا تاج أو تاجه بلا رأس »<sup>(٩٥)</sup>

(٩٢) محمد صالحه وسميح معلى ، مصدر سلف ذكره ، ص ١١٣ — ١٢٠

(٩٣) عبد الرحمن الرافعى : مصر والسودان فى أوائل عهد الاحتلال : القاهرة ١٩٦٦ الطبعة الثانية ص ٢٠٢ — ٢١٣ — ٢١٤

(٩٤) الرافعى ، المصدر نفسه ص ٢١٤

(٩٥) نقلاً عن مكى شبكية ، تاريخ شعوب وادى النيل ص ٥٦٣

لقد كانت تعاليم الأفغانى ضد الحكم الفردى باعتباره منافياً للإسلام لأن الحاكم الإسلامى يستمد سلطته من شعبه ولا يحكم الا برضائه ولكل فرد حق التعبير عن رأيه<sup>(٩٦)</sup> . ونظرا لخطورة هذه الآراء حظرت سلطات الاحتلال البريطانى دخول العروة الوثقى فى الهند<sup>(٩٧)</sup> ومصر . ومن الصحف الوطنية التى عارضت الاحتلال مجلة « الأستاذ » للسيد عبد الله النديم التى ظهرت فى أغسطس سنة ١٨٩٢ واتهمها لورد كرومر — زورا<sup>(٩٨)</sup> بالتعصب فأوقفها فى سنة ١٨٩٣ وأبعد مؤسسها عن مصر .

ومن المجلات التى حملت رسالة « العروة الوثقى » وسارت فى طريقها مجلة « المنار » التى أسسها الشيخ محمد رشيد رضا وهى شبيهة « بالعروة الوثقى » فى اتجاهاتها ولكنها تبدى اهتماما أكبر بالإصلاح الاجتماعى والاقتصادى والدينى . بدأت جريدة يومية — صدر العدد الأول منها فى ١٧ مارس ١٨٩٨ — ثم أصبحت شهرية وكانت السلطات العثمانية تمنع دخولها أراضى الدولة العثمانية بل صدرت أوامر الى والى بيروت ومتصرف طرابلس باحراق العدد الثانى من السنة الأولى<sup>(٩٩)</sup> . وكان من كتاب المنار الشيخ محمد عبده وعبد الرحمن الكواكبي وقد شهد محمد عبده بأثر المنار فى تونس عندما زارها فى سنة ١٩٠٣ والمنار هى المجلة التى نشرت مقالات « أم القرى » للكواكبي وحملت لواء المعارضة ضد السلطان عبد الحميد وضد الأتراك الاتحاديين فيما بعد ونددت باتجاهاتهم المعادية للعروبة والإسلام . وكانت « المنار » من أولى المجلات التى نبهت العرب الى خطر الصهيونية منذ عام ١٩١٤ ونشرت ترجمة للبرنامج الصهيونى وعلقت عليه بقولها :

« لو لم ينشر من هذا الكتاب الصهيونى الا هذه الفصول لكنت

W. S. Blunt, Op. Cit. pp. 123 - 124. (٩٦)

Encyclopaedia of Islam, New Ed. Leiden Vol. (٩٧)  
2 p. 418.

(٩٨) عبد الرحمن الرافعى : المصدر نفسه ص ٢١٣ — ٢١٤

(٩٩) أحمد العدوى : رشيد رضا الامام المجاهد ، القاهرة ١٩٦٤

ص ١٤١

( ٤ — نكبة الأمة العربية )

من يعتبر من العرب الفلسطينيين وغيرهم عبرة وبيانا لمقاصد هؤلاء الصهيونيين وليعلم من لم يكن يعلم دين هذه الأمة وتاريخها أن الصهيونيين اذا تم لهم ما يريدون فانهم لا يبقون فى أرض الميعاد التى يؤسسون ملكهم الجديد فيها مسلما ولا نصرانيا<sup>(١٠٠)</sup> .

أما اتجاه « المقطم » فكان مواليا للاحتلال البريطانى مما دفع طلاب احدى المدارس الى القيام بمظاهرة أمام دار هذه المجلة وكان يقود المظاهرة طالب فى الثامنة عشر من عمره يسمى مصطفى كامل<sup>(١٠١)</sup> وقد تجسدت فى شخص هذا الشاب آمال مصر الفتية فى التحرر من الاحتلال البريطانى وبناء الوحدة الاسلامية وقام باصدار عدد من الصحف تعبر عن فلسفته واتجاهاته السياسية منها « اللواء » و « العالم الاسلامى » .

لقد وصف بعض الأساتذة الغربيين حركة الصحافة العربية فى نهاية القرن التاسع عشر بأنها حركة اعلامية قوية ذات طابع سياسى عربى واسلامى وأن الأفكار التى كان يرددوها أولئك الصحفيون عن الحرية والاخاء والمساواة لم تكن الا صدى لمبادئ الثورة الفرنسية ولآراء « روسو » و « مونتسكيو » و « فولتير » و « هوجو » و « مائتريني »<sup>(١٠٢)</sup> هذا الرأى تشبيه برأى الأستاذ « برنارد لويس » فى أفكار الأدباء العثمانيين فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر وعلى رأسهم « نامق كمال » — فقد كان هذا الصحفى الأديب من دعاة الوحدة الاسلامية والتجديد . ومع اعجابه بالحضارة الأوروبية لم يكن يؤيد تقليدها بل كان يرى أن أفضل ما حققته الحضارة الغربية مقتبس من الحضارة الاسلامية أو له ما يضاويه فى حضارة الاسلام . وكان « نامق كمال » لا يرى فى القانون الطبيعى الذى تحدث عنه

(١٠٠) المنار مجلد ١٧ ص ٧١٧ — ٧١٨ ، ٢٢ أغسطس ١٩١٤ .  
A. Goldschmidt, The Egyptian Nationalist Party, (١٠١)  
in Political and Social Change in Modern Egypt, Edited by P. M. Holt O. U. P. London 1968 p. 310.  
F. Gabrieli, The Arab Revival, London 1961, (١٠٢)  
pp. 46 - 47.



« مونتسكيو » شيئاً يختلف فى محتواه عن الأحكام العادلة الرشيدة للشريعة الإسلامية ويرى فى فكرة « سيادة الشعب » نظيرها فى الشريعة الإسلامية أى « البيعة » (١٠٣) ، غير أن الأستاذ «برنارد لويس» يعتبر نظرية « نامق كمال » السياسية مستمدة — بصفة أساسية — من « روسو » و « مونتسكيو » (١٠٤) .

ان فكرة « العقد الاجتماعى » و « سيادة الأمة » و « الحقوق السياسية » التى تمثل محور نظريات روسو (١٠٥) تشبه الى حد ما فكرة البيعة عند فقهاء المسلمين ، غير أن « العقد » الذى تحدث عنه روسو كان مجرد افتراض (١٠٦) وأن القضايا التى أثارها هو وغيره من الكتاب الغربيين فى مجال الفكر السياسى لا تخرج عن اطار الأفكار والنظريات التى تدور حول ما سماه ابن خلدون « السياسة العقلية » وذلك فى عرضه المرائع لآراء الفقهاء حول ماهية « الخلافة » و « الامامة » و « الملك » اذ يقول :

« لما كانت حقيقة الملك أنه الاجتماع الضرورى للبشر ومقتضاه التغلب والقهر للذين هما من آثار الغضب والحيوانية كانت أحكام صاحبه فى الغالب جائرة عن الحق مجحفة بمن تحت يده من الخلق فى أحوال دنياهم لحمله اياهم فى الغالب على ما ليس فى طوقهم من أغراضه وشهواته ويختلف ذلك باختلاف المقاصد من الخلف والسلف فتعسر طاعته لذلك » (١٠٧) الى أن يقول :

« فوجب أن يرجع فى ذلك الى قوانين سياسية مفروضة يسلمها

B. Lewis, The Emergence of Modern Turkey (١٠٣)  
O. U. P. Paperbacks, 1968, pp. 142 - 143 - 173.

Jean Jacques Rousseau - The Social Contract and (١٠٤)  
Discourses, London : J. M. Dent and Sons Ltd. 1952.

Translated by G. D. H. Cole, pp. 11, 15, 20 - 27.

(١٠٥) محمد ضياء الدين الرئيس ، النظريات السياسية الإسلامية ،  
القاهرة ١٩٦٠ ، الطبعة الثالثة ص ١٦٧

(١٠٦) ابن خلدون : المقدمة ، المطبعة الادبية ، بيروت ، الطبعة  
الثالثة ١٩٠٠ م ص ١٩٠

(١٠٧) المصدر نفسه والصفحة

الكافة وينقادون الى أحكامها ..... فاذا كانت هذه القوانين مفروضة من العقلاء وأكابر الدولة وبصرائها (١٠٨) كانت سياسة عقلية واذا كانت مفروضة من الله بشارع يقررها ويشعرها كانت سياسة دينية نافعة في الحياة الدنيا وفي الآخرة وذلك أن الخلق ليس المقصود بهم دنياهم فقط فانها كلها عبث وباطل اذ غايتها الموت والفناء ... فالمقصود بهم انما هو دينهم المفضى بهم الى السعادة في آخرتهم صراط الله الذي له ما في السموات وما في الأرض ، فجاءت الشرائع بحملهم على ذلك في جميع أحوالهم من عبادة ومعاملة حتى في الملك الذي هو طبيعي للاجتماع » •

ثم يستطرد ابن خلدون الى بيان خصائص كل من أحكام السياسة والأحكام الشرعية وبيان معنى الخلافة ومعنى الملك فيقول :

« وأحكام السياسة انما تطلع على مصالح الدنيا فقط » يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا « (١٠٩) ، ومقصود الشارع بالناس صلاح آخرتهم فوجب بمقتضى الشرائع حمل الكافة على الأحكام الشرعية في أحوال دنياهم وآخرتهم وكان هذا الحكم لأهل الشريعة وهم الأنبياء ومن قام فيه مقامهم من الخلفاء •

فقد تبين لك من ذلك معنى الخلافة وأن الملك الطبيعي هو حمل الكافة على مقتضى الغرض والشهوة ، والسياسي هو حمل الكافة على مقتضى النظر العقل في جلب المصالح الدنيوية ودفع المضار ، والخلافة هي حمل الكافة على مقتضى النظر الشرعي في مصالحهم الأخروية والدنيوية الراجعة اليها ، اذ أحوال الدنيا ترجع كلها عند الشارع الى اعتبارها بمصالح الآخرة فهي في الحقيقة ، خلافة عن صاحب الشرع في حراسة الدين وسياسة الدنيا به « (١١٠) انتهى •

(١٠٨) وقياسا على ذلك يمكن أن نضيف الى هؤلاء ، ممثلي الأمة في المجالس النيابية والتشريعية المنبثقة من النظم الدستورية في الدول العلمانية الحديثة « المؤلف » •

(١٠٩) الروم : ٧

(١١٠) المصدر نفسه ص ١٩٠ ، ١٩١

ان « البيعة » و « الخلافة » تجربة عرفها المسلمون ومارسوها في واقع حياتهم السياسية ، تجربة مستخلصة من عقيدتهم ومن فهمهم لتلك العقيدة ، مارسوها يوم بايعوا أبا بكر الصديق رضى الله عنه في فجر الدعوة الاسلامية فقبل البيعة على عهد وموثق ونهض الصديق خطيبا يبين طبيعة هذا العقد ويحدد مسئولياته ، قائلا :

« أما بعد ، أيها الناس .. فاني قد وليت عليكم ولست بخيركم فان أحسنت فأعينوني وان أسأت فقوموني • الصدق أمانة والكذب خيانة • والضعيف فيكم قوى عندي حتى أريح عليه حقه ان شاء الله والقوى فيكم ضعيف عندي حتى آخذ الحق منه ان شاء الله » الى أن قال « أطيعوني ما أطعت الله ورسوله ، فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم » (١١١) •

ان أبا بكر رضى الله عنه لم يستمد السلطة من جمهور المسلمين فحسب وانما أخذ على نفسه عهدا بالنهج الذي اختطه لنفسه وأشهدهم عليه مذكرا اياهم بحقوقهم في الرقابة عليه تأييدا اذا أحسن وتقويما اذا أخطأ (١١٢) • انها مسئولية تتفق وطبيعة السيادة في المجتمع الاسلامي وهي سيادة فريدة في نوعها ، تقترب فيها سيادة الأمة بسيادة القانون أو شريعة الاسلام اقترانا لا انفصام له (١١٣) •

ولعل هذا ما دفع « نامق كمال » - وهو يتحدث في اطار الفكر السياسي الاسلامي - الى القول بأن الواجب الاول للدولة تحقيق العدالة ، والعدالة لا تعنى اسعاد رعاياها فحسب بل تعنى أيضا مراعاة حقوقهم السياسية وتأمينها بوضع النظم الملائمة لهذا الغرض (١١٤) ولكن الأستاذ « برنارد لويس » يزعم أن « الحرية » بمنعها

(١١١) ابن هشام ، السيرة النبوية ، تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ١٣٥٥ هـ - ١٩٣٦ م ج ٤ ص ٣١١  
(١١٢) راجع محمد ضياء الدين الرئيس ، مصدر سلف ذكره ص ٣٤٠  
(١١٣) B. Lewis, Islam in History, London, 1973, p. 275  
(١١٤) Lewis, op. cit. p. 267.

الاسلامى فكرة قانونية ليس لها مدلول سياسى ويقول ان كلمة « حر » و « حرية » فى اللغة العربية تشير الى مركز الانسان الحر فى مقابل العبد فهى اذن — فى رأيه — كلمة تخلو من أى معنى سياسى أو اجتماعى<sup>(١١٥)</sup> واستنادا الى ذلك يقرر الأستاذ « لويس » أن آراء « نامق كمال » حول الحرية السياسية فى الاسلام لا تمثل تطورا طبيعيا للأفكار الاسلامية التقليدية — كما يصورها « كمال » وانما هى — فى زعم لويس — أفكار مستوردة من أوروبا ومن ترجمة النصوص الأوروبية وبفعل هذا التأثير الأوروبى يتحول مفهوم « العدالة » الى حرية وتصبح الشورى مرادفة للنظم النيابية<sup>(١١٦)</sup> !! ولا يخفى ما ينطوى عليه مثل هذا التعليق من سخرية واستخفاف بأصالة الفكر الاسلامى وهى سخرية لا تخطئها العين فى تضاعيف ما يكتبه المستشرقون عن الاسلام ولكن الأستاذ « برنارد لويس » فى هذا المقام جاوز كل ما عرف عنه من تثبت وقدرة على التحليل والتمحيص ، فأثر أن يبحث عن أكبر تجربة فى ممارسة الحرية السياسية عرفها التاريخ الاسلامى ، بين معاجم اللغة وثنايا الكلمات ومدلول الألفاظ !! وبدلا عن استخلاص المعانى من واقع الأحداث التى أثبتتها التاريخ أخذ يستنطق المعاجم اللغوية ليثبت أن ما حدث فعلا لا يتفق مع ما ورد فى المعاجم لفظا !! ولعل مبعث هذه الهمة عند الأستاذ « برنارد لويس » أنه أخطأ المدخل الى فهم الحرية السياسية فى الاسلام فأخذ يبحث عنها تحت لفظ « حر » و « حرية » ولم يفتن الى أن الحرية فى الاسلام انما تنبثق عن التوحيد الذى يحرر المرء من كل معبود سوى الله سبحانه وتعالى<sup>(١١٧)</sup> .

ان الكتاب الغربيين والمستشرقين منهم بوجه خاص يجدون صعوبة كبيرة فى تقبل الأصالة التى اتسم بها التراث الاسلامى ويصفون من

Lewis, op. cit. p. 275.

(١١٥)

B. Lewis. The Emergence of Modern

(١١٦)

Turkey, p. 142

(١١٧) راجع محاضرة د. حسن عبد الله الترابى عن الدولة الاسلامية

المعاصرة مجلة « الأمة » عدد ١٧ — السنة الثانية ، جمادى الاولى ١٤٠٢ هـ ص ١٠ الدوحة ، قطر .

يوجه أنظارهم الى تلك الأصالة بأنهم يلتصمون المعاذير للإسلام عن طريق الدفاع الرومانتيكي<sup>(١١٨)</sup> .

وما يثير الدهشة حقا أن كثيرا من هؤلاء العلماء الغربيين لا يرون غضاظة فيما يكتبه بعضهم عن الإسلام وتاريخه وما يصدرونه من أحكام تتسم بالنظرة الذاتية<sup>(١١٩)</sup> ولكنهم يجدون كثيرا من المآخذ عندما يتصدى أحد للرد عليهم ، انهم لا يجدون في أفكار الأفغانى ومحمد عبده ونامق كمال ومحمد رشيد رضا الا صدى لأفكار الكتاب الفرنسيين الذين مهدوا للثورة الفرنسية ، وحتى مكانة الأفغانى ومحمد عبده تصبح موضع شك كبير عند بعضهم « لم يكن الأفغانى فى حياته محط أنظار المفكرين ورجال السياسة بقدر ما كان موضع مراقبة أقلام المخابرات ورجال الأمن الذين كانت مهمتهم تتبع نشاط المخربين ومثيرى الفتن »<sup>(١٢٠)</sup> .

هكذا يزعم الأستاذ « ايلى خدورى » .

ويعيد الأستاذ « خدورى » فى كتابه حديثا نشرته — على حد قوله — صحيفة التايمز بلندن عندما أخرج الأفغانى من مصر عام ١٨٧٩

(١١٨) لقد سوغ برنارد لويس نفسه أن يصف المسلمين الذين هاجروا الى المدينة مسالمين ، وكفار قريش يلاحقونهم بالادى والعدوان ، وصفهم بأنهم قطاع طرق ( كذا ) ووصف قريشا يوم خرجت «بجدها وجدها وحديدها» لحرب المسلمين فى « أحد » وصفها بأنها فعنت ذلك دفعا للخطر المتصاعد من قبل هؤلاء الذين اتخذوا من النهب موردا للرزق ( يعنى المسلمين ) .

انظر B. Lewis , The Arabs in History, Hutchinson University Library, London, 1950, pp. 44 - 45.

وانظر خبر غزوة أحد فى : السيرة النبوية لابن هشام ، مصدر سلف ذكره ج ٣ ص ٦٤ وما بعدها .

(١١٩) Elie Kedouri, Afghani and Abduh, London, 1966, p. 4.

(١٢٠) من الروايات التى اتخذها خدورى مثلا لتأييد طعنه فى عقيدة الأفغانى الرواية التى زعم أنها نقلت عن محمد الخزومى السورى الذى نسب اليه أنه قال : انه سمع الأفغانى فى استانبول يقول أن الإسلام والمسيحية واليهودية متفقة فى الأهداف والمبدأ :

خدورى المصدر نفسه ص ١٥ — ١٦ . — راجع حقيقة ما قاله الأفغانى فى هذا الصدد فى كتاب محمود أبو رية ، جمال الدين الأفغانى ، دار المعارف بمصر ١٩٦١ ص ٦٣ — ٦٧ .

وصفته فيه - أى الأفغانى - بأنه رجل يدعى « جماد » الدين - هكذا وردت - وهو أفغانى ينحدر من سلالة مشكوك فى أمرها وأنه بعد ذلك بسبع سنوات أى بعد عام ١٨٧٩ لم يكن يعرف لدى كرومر ، المعتمد البريطانى فى مصر الا بأنه محرر لصحيفة هدامة تصدر فى باريس اسمها العروة الوثقى وقد منعتها السلطات البريطانية من دخول مصر والهند » • والفكرة التى يريد الأستاذ « خدورى » أن يثبتها فى كتابه ، أن الأفغانى كان رجلا مشكوكا فى عقيدته (١٢١) يبطن غير ما يقول وأنه كان مجهولا فى عصره وينتمى الى طائفة المخربين ومثبرى المقتن وأنه كان على الأرجح عميلا لروسيا بل يرى الأستاذ « خدورى » أن شهرة الأفغانى لا تنبع من عظمة فى شخصه وانما هى نتيجة لما روجه عنه أتباعه ومريدوه فيما بعد (١٢٢) •

ولكن الشيخ محمد عبده يوضح لنا فى مقدمته لكتاب « رسالة فى ابطال مذهب الدهريين » كيف حرقت أقوال الأفغانى وكيف عانى من كيد القنصل البريطانى حتى أخرجه من مصر ، اذ يقول : « عظم أمر الرجل - أى الأفغانى - فى نفوس طلاب العلوم واستجزلوا فوائده الأخذ عنه وأعجبوا بدينه وأدبه وانطلقت الألسن بالثناء عليه ، ولكن تمكن الحاسدون من نسبة ما أودعته كتب الفلاسفة الى رأى هذا الرجل وأذاعوا ذلك بين العامة ثم أيدهم أخلاط من الناس على مذاهب مختلفة كانوا يطرقون مجلسه فيسمعون ما لا يفهمون ثم يحرفون فى النقل منه ولا يشعرون غير أن هذا كله لم يؤثر فى مقام الرجل من نفوس العقلاء العارفين بحاله ولم يزل شأنه فى ارتفاع والقلوب عليه فى اجتماع الى أن تولى خديوية مصر حضرة خديويها الحالى توفيق باشا وكان السيد من المؤيدين لمقاصده الناشرين لمحامده الا أن بعض المندسين ومنهم « مستر فيفان » قنصل انكلترا الجنرال سعى فيه لدى الجانب الخديوى ونقل المفسدون عنه ما الله يعلم أنه برىء منه حتى غير قلب

Kedourie, op. cit., pp. 4 - 5.

(١٢١)

(١٢٢) الأفغانى : رسالة فى ابطال مذهب الدهريين ، بيروت ١٣٠٣ هـ المقدمة .

الخدوي عليه فأصدر أمره بإخراجه من القطر المصرى هو وتابعه أبو تراب ففارق مصر الى البلاد الهندية سنة ١٢٩٦ هـ وأقام بحيدر آباد الدكن وفيها كتب هذه الرسالة فى نفى مذهب الدهريين « (١٢٣) » .

ان حملة التشهير التى قادتها صحيفة التايمز البريطانية ضد الأفغانى فى سنة ١٨٧٩ واستند اليها « خدورى » فى كتابه سنة ١٩٦٦ ينبغى أن ينظر اليها فى ضوء الظروف السياسية التى أملتها وهى ظروف كانت الحكومة البريطانية تحارب الأفغانى وتطارده فيها ، لا لأنه كان من مثيرى الفتن ولكن لأنها كانت تخشى نفوذه فى العالم العربى والاسلامى ولأنها كانت تعلم أثر دعوته فى إلغاء امتياز شركة التبغ البريطانية فى ايران عام ( ١٨٩١ / ٩٢ ) والخطاب الذى أرسله الى رئيس المجتهدين فى ذلك القطر حتى أصدر فتوى بتحريم شرب الدخان وبيعه (١٢٤) وقد وصفت الأستاذة « N. Keddie » الحركة الشعبية التى أدت الى إلغاء امتياز الشركة المذكورة بأنها أول حركة شعبية ناجحة فى تاريخ ايران (١٢٥) . كذلك كانت الحكومة البريطانية تخشى نفوذ صحيفة « المعروة الوثقى » وما تمثله من خطر على مصالحها فى الهند والشرق وآمالها فى تركة الرجل المريض . واذا صح — كما يزعم خدورى — أن الأفغانى لم يكن معروفا فى عصره وهو زعيم يعوزه الدليل ، فان محاربة صحيفة « المعروة الوثقى » والحظر الذى ضرب عليها ومعاقبة من تثبت عليه تهمة حيازتها (١٢٦) كل ذلك يشير الى أن الحكومة البريطانية لم ترد له أن يعرف .

أما الأستاذ « هولت » فيرى أن التاريخ الحقيقى للقومية العربية بمعناها الحديث يبدأ بما كتبه الكواكبي ونجيب عازورى (١٢٧) ونشاطهما

- (١٢٣) انظر محمود أبو رية ، المصدر نفسه ص ٣٠ — ٢١  
 (١٢٤) Niki Keddie, Religion and Rebellion in Iran, The Tobacco Protest of 1891 / 92, Frank Cass and Co. Ltd. London, 1966, pp. 18 - 19.  
 (١٢٥) Encyclopaedia of Islam, New Ed. Leiden, London, 1965 Vol. 2 p. 418, ( Djamel Al Din Al Afghani )  
 (١٢٦) P. M. Holt, Egypt and the Fertile Crescent Longmans, 1966, p. 257.  
 (١٢٧) أنطونيوس ، المصدر نفسه ص ١٧٣

ومما يثير الدهشة أن يضع الأستاذ « هولت » آراء الكواكبي ونجيب عازوري على قدم المساواة من حيث الأهمية ، لأن هذا الحكم إذا صدق من بعض الوجوه على الكواكبي فإنه لا يصدق على نجيب عازوري بل يضافى على آراء هذا الكاتب أهمية لا تتفق وحقيقة ما كان يدعو اليه ، لأن دعوة عازوري كما وصفها أنطونيوس « أثارت شيئاً من الاهتمام فى أوروبا فى ذلك الوقت ( ١٩٠٤ — ١٩٠٧ ) ولكن أثرها فى الحركة العربية نفسها كان ضئيلاً ، وبغض النظر عن قيمة حركة عازوري فإن ظهورها فى عاصمة أجنبية وبلغه أجنبية كان أمراً فى ذاته يدعو الى شلها والحد منها » (١٢٨) •

أسس عازوري فى سنة ١٩٠٤ الجمعية التى سماها « جامعة الوطن العربى » وأعلن أن هدفها تحرير الشام والعراق من السيطرة التركية وأصدرت الجمعية عدة نداءات عنيفة تدعو الى الثورة ، كما أصدر فى سنة ١٩٠٥ كتاباً باللغة الفرنسية سماه « يقظة الأمة العربية » ومجلة شهرية فى سنة ١٩٠٧ باسم « الاستقلال العربى » •

كان عازوري يدعو الى تأسيس امبراطورية عربية تشمل الجزيرة العربية والهلال الخصيب وتستثنى مصر بوجه خاص لأن المصريين فى رأيه — لا ينتمون الى العرب واقترح أن يختار رئيس هذه الامبراطورية من أفراد الأسرة الخديوية على أن يمارس سلطته السياسية فى حدود الجزيرة العربية وحدها وتكون له سلطة روحية على جميع المسلمين •

ومن الجلى أن نظرة عازوري الى العروبة ينقصها كثير من التحقيق والدقة لأنه لا يرى فى العروبة غير وحدة العنصر العربى وقد انتهت هذه الوحدة — اذا صح أنها قد وجدت من قبل — منذ القرن السابع الميلادى عندما خرج العرب من جاهليتهم ومن جزيرتهم يحملون مشعل الاسلام فانضوت تحت لوائهم شعوب لم تربطها بالعرب صلة قرابة أو رحم ولكنها تعربت باتخاذها لغة القرآن وبانتمائها الى مجتمع الاسلام •

\*\*\*



## الفصل الثاني

### عرب عثمانيون

● عرب وأتراك في ظل الإسلام — بل عرب  
عثمانيون — أسطورة الاستعمار التركي — تربص الدول  
القريبة بالخلافة العثمانية — السلطان عبد الحميد المفترى  
عليه — الفوائت المحيطة بدولة العثمانية — عبد الحميد  
والخلافة العربية — عبد الحميد والوحدة الإسلامية —  
الخلافة العثمانية ملاذ الأقطار العربية والإسلامية — ضعف  
مركز الخلافة — الدعوة إلى الإصلاح — العرب لا يفكرون في  
الانفصال — دعاة الإصلاح — الأتقاني — محمد عبده —  
رشيد رضا — الكواكبي والاستبداد — رشيد رضا وأسمد  
داغر يؤكدان الوحدة العربية العثمانية — سوء العلاقات  
العربية التركية في عهد تركيا الفتاة — بوادر الانفصال —  
ظهور الجمعيات الإصلاحية والسياسية — المؤتمر العربي  
الأول — الدعوة الطورانية — كتاب « قوم جديد » — التهجيم  
على الإسلام — جمال باشا السفاح — وضوح الاتجاه العربي  
نحو الاستقلال — جمعية الاتحاد والترقي تكتنر عن نابها —  
طبيعة الجمعية ودور اليهود فيها — وزراء صهيونيون —  
الجمعية وبرنارد لويس — الجمعية تفتح الهجرة اليهودية إلى  
فلسطين — مصر العثمانية — الاحتلال البريطاني — دنشواي  
— مصطفى كامل — الخلافة العثمانية ع ضد مصر — نذر الحرب  
— تشديد قبضة الاحتلال — نحو الخديعة .

\* \* \*



## عرب عثمانيون

لم تكن كلمة « عرب » معروفة في القرن التاسع عشر بالمعنى الذي نعرفه اليوم ولم تكن تطلق — بوجه عام — إلا على بدو الصحراء أو السكان الذين يقيمون خارج المدن في الشرق الأوسط<sup>(١)</sup> ومن ثم لم تكن هناك قضية عربية في السياسة الدولية آنذاك وبالمثل كانت كلمة « أتراك » لا تتردد على الألسن إلا نادرا ويقصد بها البدو من التركمان أو الفلاحين في قرى الأناضول • وحتى كلمة « عثمانيين » لم تكن تحمل معنى قوميا وإنما كانت في مدلولها شبيهة بكلمة عباسيين أو أمويين أو سلاجقة • أما الأتراك فكان تعريفهم لأنفسهم أنهم مسلمون ، ولاؤهم للإسلام وليبيت « آل عثمان »<sup>(٢)</sup> وكذلك من نسميهم اليوم « العرب » لم يكونوا يصفون أنفسهم بأنهم عرب إزاء الأتراك ، وإذا كان لابد من أن نطلق عليهم هذه الصفة فهم « عرب عثمانيون » لأن البلاد العربية انضوت تحت لواء الدولة العثمانية منذ مطلع القرن السادس عشر عندما سقطت سوريا في يد السلطان سليم في موقعة « مرج دابق » ( ٢٤ أغسطس ١٥١٦ ) وتبعها مصر في ٢٣ يناير ١٥١٧ وألقيت الخطب في اليوم التالي في مساجد القاهرة باسم السلطان العثماني<sup>(٣)</sup> ومن هناك امتد سلطان العثمانيين الى بقية أجزاء العالم العربي ، الحجاز واليمن والعراق<sup>(٤)</sup> •

(١) Z. N. Zein, The Emergence of Arab Nationalism, (١) Beirut, Khayats, 1966 p. 38.

راجع التطور التاريخي لكلمة عرب في الجاهلية والإسلام ، عمر فروخ : تاريخ الجاهلية بيروت ١٩٦٤ ، ص ٣٨ — ٤٢

(٢) B. Lewis, The Emergence of Modern Turkey, (٢) Oxford University Press Paper Backs, 2nd Ed. 1968, pp. 1—2.

(٣) P.M. Holt, Egypt and the Fertile Crescent, Longmans, London, 1966 pp. 38 - 40.

(٤) انظر تفاصيل الفتح العثماني في الشرق العربي في كتاب محمد انيس : الدولة العثمانية والشرق العربي ( ١٥١٤ — ١٩١٤ ) مكتبة الأنجلو المصرية القاهرة ص ١٠٨ — ١٣٩ ( غير مؤرخ ) •

لم يكن ثمة نزاع بين العثمانيين وسكان الأقاليم العربية لأن العثمانيين انما أخذوا السلطة من المماليك في الشرق العربي • ولم يكن العثمانيون في نظر العرب غزاة فاتحين بل كانوا اخوة لهم في العقيدة ، وحماة لدار الاسلام • كانت حروب الدولة العثمانية في نظر المسلمين — عربا أم أتراكا — جهادا في سبيل الله وكان العرب لا يرون الدولة العثمانية دولة أجنبية وانما كان اعتقادهم أنها دولتهم فهي دولة الاسلام<sup>(٥)</sup> وعاصمتها « اسلامبول »<sup>(٦)</sup> وكان هذا هو الشعور السائد الى نهاية القرن التاسع عشر وحتى بداية القرن العشرين لم يكن العرب يلقون بالا الى أن الدولة العثمانية تركية بقدر ما كان يهمهم أنها اسلامية • ويفند الأستاذ زين نور الدين زين الزعم القائل بأن العرب ظلوا عاجزين تحت رحمة الأتراك أربعة قرون كما ينفي ما يردده بعض المؤرخين بأن الأتراك استنزفوا خيرات البلاد العربية وثروتها أو أن العرب لم يكن يسمح لهم بحمل السلاح أو الخدمة في الجيش العثماني بل يرى زين أن العرب كانوا شركاء في الدولة دون تمييز ، شركاء في الحقوق والواجبات<sup>(٧)</sup> وأن حكم العثمانيين كان حماية للعالم العربي والاسلامي ضد التدخل الأجنبي مدى أربعة قرون ، تمتعت خلالها الولايات العربية بقدر وافر من الحكم الذاتي عدا السنوات الأخيرة من حكم السلطان عبد الحميد وفترة حكم الأتراك الاتحاديين دعاة الجامعة الطورانية •

ومع ذلك كانت الدولة العثمانية مثقلة بمشاكلها الداخلية والخارجية خلال الربع الأخير من القرن التاسع عشر وهي مشاكل سياسية واقتصادية وعسكرية تمثلت في ضعف المركز المالي للدولة ورهن مواردها للادائين الأوروبيين وثورات شعوب البلقان وتسلب الدول الأوروبية الكبرى الذي أدى الى سقوط تونس في قبضة الحماية الفرنسية ( ١٨٨١ ) واحتلال مصر بمدافع الأسطول البريطاني ( ١٨٨٢ ) كذلك كانت مسألة الاصلاح الدستوري من أهم المسائل التي شغلت الأذهان ويعتبر اعلان

(٥) توفيق علي برو ، العرب والترك في العهد الدستوري العثماني القاهرة ١٩٦٠ ص ١٤

(٦) أي مدينة الاسلام

(٧)

دستور أحمد مدحت باشا في ٢٣ ديسمبر سنة ١٨٧٦<sup>(٨)</sup> بداية لعهد الإصلاح المنشود ، أو هكذا يقول بعض الذين أرخوا لهذه الفترة ، كما يقولون ان الأقاليم العربية العثمانية كانت تتطلع الى المشاركة في هذا الإصلاح والى التمتع بقدر أكبر من الحرية في ادارة شؤونها الداخلية ، ولكن السلطان عبد الحميد كان له رأى في طبيعة هذا الإصلاح ودوافعه ، بل يذهب بعض المؤرخين الأوروبيين الى القول بأن عبد الحميد قبل اعلان دستور مدحت باشا لتجنب التدخل الأوروبي في شؤون دولته<sup>(٩)</sup> . ومهما تكن دوافع اصدار الدستور فانه ألغى في ١٤ فبراير عام ١٨٧٨ وحل البرلمان الذي كان يضم ١٣٠ نائبا<sup>(١٠)</sup> ، منهم ١٨ نائبا يمثلون الأقاليم العربية ولم يدع الى الانعقاد الا بعد ثلاثين عاما ( ١٩٠٨ ) . وخلال هذه الفترة التي عرفت عند الكتاب والمؤرخين الغربيين « بالاستبداد الحميدي » حكم السلطان عبد الحميد بيد حازمة ، في ظروف كانت الأخطار تحيط فيها بالدولة العثمانية من كل جانب .

ويحدثنا السلطان عبد الحميد في مذكراته عن الغوائل التي أحاطت بالدولة في ذلك الوقت والمكائد التي كانت الدول الأوروبية الكبرى تدبرها ضده ، طمعا في الأسلاب التي تنتظرهم بعد انهيار دولة الخلافة الاسلامية ، كما يحدثنا عن بعض المسؤولين في حكومته بل رؤساء وزرائه ممن كانت تقف خلفهم دول أجنبية تغذيهم بالمال الحرام لتحقيق مآربها: « كنت أعلم أن السر عسكر عوني باشا قد أخذ من الانجليز أموالا . ان رجلا من رجال الدولة يأخذ مالا من دولة أخرى لابد وأن يكون قد قدم لها خدمات . يعنى هذا أيضا أن خلق المرحوم عمى السلطان عبد العزيز وتولية السلطان مراد العرش بدله ، لم يكن حقدا فقط من حسين عوني باشا ولكنه مرضاة لرغبة دولة أخرى أيضا »<sup>(١١)</sup> .

(٨) Robert Devereux, The First Ottoman Constitutional Period, Baltimore, 1963, p. 15.

Devereux, op. cit. p. 21. (٩)

Devereux, op. cit. p. 261. (١٠)

(١١) مذكرات السلطان عبد الحميد ، ترجمة محمد حرب عبد الحميد ، دار الانصار القاهرة ١٩٧٨ ص ٣٩

ويستطرد السلطان عبد الحميد قائلا :

« مدحت باشا أيضا مثل حسين عوني باشا اتبع سياسة مؤيدة للانجليز وكان دائما يفصح عن ثقته في الانجليز » (١٣) .

« لم يهزنى شيء فى حياتى هذا ضخما قدر شخص يرتفع الى مقام قيادة الجيش أو الى مقام الصدارة العظمى — رئاسة مجلس الوزراء — ويقبل نقودا من دولة أجنبية » (١٣) .

« كانت الغوائل تحيط بالدولة فى ذلك الوقت • كنا فى حالة حرب مع الصرب والجبل الأسود ، والروس على وشك اعلان الحرب ، والدول الأجنبية التى اجتمعت فى الترسانة كانوا مؤيدين للروس ، يطلبون اعطاء الأرض للصرب والجبل الأسود والاعتراف باستقلال بلغاريا تحت اسم الاستقلال الذاتى » (١٤) .

« قال مدحت باشا : ان الانجليز والفرنسيين سيقومون معنا مؤيدين لنا • واذا بى فى نفس الوقت أتلقى عن طريق موظف خاص من السفارة الانجليزية رسالة من سالسبورى وزير الخارجية الانجليزية يقول لى بصراحة انه فى حالة قبولنا الحرب ضد روسيا فانهم لن يستطيعوا تقديم عون لنا » (١٥) .

« انجلترا كانت دائبة على تسيير الفتن عن طريق الماسونية وكان مدحت باشا لم يكتف باثارة ما أثار من مشاكل فهو من ناحية يريد خلق أزمة فى السراى ومن ناحية أخرى يريد الزج بالبلاد فى أتون الحرب • أعمال كهذه يمكن أن تؤدى — معاذ الله — الى تقويض الدولة من أساسها • كان الملك العثمانى يهتز من أساسه بناء على هذا كله ، كنت أرى أن الصدر الأعظم يؤيد الانجليز ويتعاون معهم سواء بدافع من ماسونيته أو بدافع من أسباب أخرى خاصة جدا به ولم أعد

(١٣) المصدر نفسه ص ٤١

(١٢) المصدر نفسه ص ٤٠

(١٥) نفس المصدر والصفحة

(١٤) نفس المصدر والصفحة .

أحتمل ، فاستندت الى صلاحياتى فى القانون الأساسى وعزلته  
— أى مدحت باشا — عن الصدارة العظمى وأبعدته خارج  
الحدود» (١٦) .

ومع أن طلاب الإصلاح من العرب فى العهد الحميدى لم يفكروا  
فى مسألة الخلافة العربية فإن السلطان عبد الحميد كانت تساوره  
الوساوس خشية أن يتجه قادة العرب الى احياء الخلافة فى بلادهم ،  
حتى صارت حكومته تمنع نشر أى كتاب من كتب الكلام أو العقائد  
أو الحديث أو التفسير يرد فيه ذكر الخلافة (١٧) وأخذ فى الوقت ذاته  
يدعو الى فكرة الجامعة الاسلامية لتقوية مركزه (١٨) ازاء تدخل الدول  
الأوروبية لاحباط أية مساعى لاهياء خلافة عربية وتودد الى قادة العرب  
بالكرم والهدايا النفسية (١٩) ويرى بعض الباحثين أنه لم يكن هناك  
ما يبرر مخاوف السلطان عبد الحميد من العرب رغم ظهور منشورات  
عدائية فى عام ١٨٨٠ فى بيروت لأن ما حملته تلك المنشورات لا يمثل  
رأى الكثرة الساحقة من العرب الذين ظلوا على ولائهم واخلاصهم  
للدولة العثمانية حتى بعد زوال عهد السلطان عبد الحميد .

ولكن لا بد أن نذكر هنا أن خشية السلطان عبد الحميد من فكرة  
احياء الخلافة فى الأقطار العربية كان لها ما يؤيدها لا سيما اذا كان  
مصدر الفكرة السلطات الانجليزية الحاكمة فى لندن أو فى القاهرة .  
وكأنه — رحمه الله — كان يدرك بالحدس ، الخديعة الكبرى الكامنة  
خلف فكرة تتبناها بريطانيا لاهياء الخلافة العربية ، وهو عين ما تحقق  
عندما تجرع العرب خيبة الأمل بعد الوعود الكاذبة التى قطعت فيما بعد  
لشريف مكة الحسين بن على ، على لسان ماكماهون وكان حصاها

(١٦) المصدر نفسه ص ٤٣ — ٤٤

(١٧) المنار ، المسألة العربية ج ١ مجلد ٢٠ ، ٣٠ يوليو ١٩١٧ ص ٤٢

(١٨) لم تكن دعوة السلطان عبد الحميد لفكرة الجامعة الاسلامية  
نفاقا كما تزعم بعض المصادر وإنما كانت دعوة صادقة منبثقة عن ايمانه  
وبحثه الجاد عن صيغة لتوحيد كل المسلمين لمواجهة الخطر الأجنبى الذى  
كانت تمثله كل من روسيا وانجلترا ( راجع : محمد حرب عبد الحميد فى  
مذكرات السلطان عبد الحميد ص ٩ ) .

Zein, op. cit. p. 5.

(١٩)

( ٥ — نكبة الامة العربية )

ذهاب الخلافة العثمانية وخذلان القضية العربية حتى فى صورتها العلمانية !!

أما مصر التى شغلت بالتدخل «البريطانى - الفرنسى» فانت نتيجة فى محنتها نحو السلطان العثمانى لانقاذها من التسلط الاستعمارى الأوروبى •

غير أن الدولة العثمانية واجهت - فى الربع الأخير من القرن التاسع - ثورة مسلحة على أحد ولادة السلطان العثمانى ، استقلت بالجزء الجنوبى من وادى النيل وهى الثورة المهدية فى السودان (٢٠) ( ١٨٨١ - ١٨٩٨ ) وقد كانت ثورة لها طابعها الإسلامى الخاص الذى يميزها عن الحركات القومية التى عرفت فى القرن التاسع عشر ولعلنا نلمس جانبا من طبيعتها فى نص الرسالة التى وجهها الخليفة عبد الله التعايشى ( خليفة المهدي ) الى السلطان عبد الحميد وجاء فيها :

« ومع كونك تدعى أنك سلطان الاسلام القائم بتأييد سنة خير الأنام فمالك معرضا عن اجابة داعى الله الى الآن ومقرا رعبك على محاربة حزب الله المؤمنين مع أهل الكفر والعدوان » (٢١) •

وقد يقال ان ظهور منشورات بيروت ( ١٨٨٠ ) وبوادر العداء التى ظهرت فى لبنان فى نهاية القرن التاسع عشر ضد الدولة العثمانية كانت بداية لحركة قومية تهدف الى الاستقلال عن السيادة العثمانية ولكن المؤرخين يؤكدون أن أثر المنشورات البيروتية كان ضعيفا على الجماهير وأن الحركة الانفصالية فى لبنان كانت بواعتها طائفية ولا يمكن اعتبارها حركة قومية عربية ضد حكم الأتراك (٢٢) ومع ذلك فان هذه الحركة التى قام بها بعض الشباب فى لبنان منذ عام ١٨٧٦ انتهت بالفشل الكامل بين عامى ١٨٨٢ و ١٨٨٣ (٢٣) •

(٢٠) لم يكن السودان تابعا تبعية مباشرة للدولة العثمانية ولكنه كان جزءا من ولاية محمد على بمقتضى تسويات عامى ١٨٤٠ - ١٨٤١  
(٢١) مكى شبكية ، تاريخ شعوب وادى النيل بيروت ١٩٦٥ ص ٧١٢  
Zein, op. cit. pp. 41 - 42 - 46 - 47.  
(٢٢)  
P. M. Holt, op. cit. p. 256.  
(٢٣)



فحديث بعض الكتاب العرب المعاصرين عن سيطرة الأتراك على العالم العربى باسم الوحدة الاسلامية ووحدة الخلافة واعتبار ذلك نفاقا ، والحديث عن احتقار الأتراك للجنس العربى(\*) (٢٤) ، هذا الحديث تدحضه حقائق التاريخ بل هو نوع من الافتراض الذى يعوزه الدليل أو نوع من التأثير بحملة جائرة على الدولة العثمانية تزعمتها أقلام بعض الكتاب والمؤرخين الغربيين ومن اقتفى سيرتهم لدوافع سياسية أو مذهبية . وفى رأى الأستاذ هولت أن القصة التى تصف حكم الأتراك فى العالم العربى بأنه كان عهد شقاء واضطهاد للعرب المغلوبين على أمرهم لا تعدو أن تكون أسطورة ربما كان العامل الأكبر فى ظهورها حكم جمال باشا فى سوريا خلال الحرب العالمية الأولى (٢٥) .

لا شك أن العلاقة قد ساءت بين العرب وجمعية الاتحاد والترقى خلال الفترة ١٩٠٩ — ١٩١٦ ولكن لا يجوز أن يتخذ ذلك دليلا على سوء العلاقات «العربية — التركية» مدى أربعة قرون ، أولا لأن فترة حكم جمعية الاتحاد والترقى (١٩٠٩ — ١٩١٨) تعتبر قصيرة للغاية بالقياس الى عمر الدولة العثمانية ، وثانيا لأن عهد هذه الجمعية كان نشازا فى تاريخ العلاقات بين العرب والأتراك . كذلك لا يجوز أن تتخذ معاملة عثمان رفقى وأضرابه من الشراكسة للجنود المصريين قبيل الثورة العرباية دليلا على غطرسة دولة الخلافة العثمانية واحتقارها للعرب . ان هذا لا يعنى أن الأقاليم العربية كانت راضية عن أسلوب الحكم العثمانى فى العهد الحميدى لأنها كانت تحس بما ينطوى عليه

(\*) لم تخل العلاقات العربية التركية فى مطلع القرن العشرين وربما قبل ذلك بقليل من بعض مظاهر الاحتقار للعرب من قبل بعض العنصريين الأتراك ، وقد تكون للفكرة الطورانية أثر فى ذلك ولكن ما يشير اليه أغلب الكتاب فى هذا الصدد انما كان فى المقام الأول ناجما عن تصرفات جمعية الاتحاد والترقى .

انظر : محمد عزه دروزة ، نشأة الحركة العربية الحديثة صيدا — بيروت ، منشورات المطبعة المصرية الحديثة ، ١٩٧١ ، ص ٢٩٥ — ٢٩٦ .

(٢٤) محمد مندور ، مؤتمر الأدباء العرب ، القاهرة ديسمبر ١٩٥٧  
المجلة عدد رقم ١٣ ، يناير ١٩٥٨ ص ١٧ — ١٨ .

(٢٥) P. M. Holt, op. cit. p. 256.

هذا الحكم من مواطن الضعف ولكن سبيلها الى معالجة الضعف ثم  
تكن الثورة أو الانفصال بل الدعوة الى الإصلاح وإلى المساواة في  
الحقوق بين العرب والأتراك • ان الكتلة الغالبة من سكان العالم  
العربي لم تكن تفكر في الاستقلال • أما قادة العمل السياسي وأكثرهم  
من تلاميذ الأفغانى فكانوا يدعون الى تقوية الدولة العثمانية عن طريق  
الإصلاح الإدارى والمركزية وتصحيح العقائد والاعتصام بالرابطة  
الإسلامية والاسترشاد بتعاليم الإسلام النقية من الشوائب ومن أشهر  
هؤلاء المصلحين الشيخ محمد عبده ( ١٨٤٩ - ١٩٠٥ ) وعبد الرحمن  
الكواكبي ( ١٨٤٩ - ١٩٢٠ ) ومحمد رشيد رضا ( ١٨٦٥ - ١٩٣٥ ) •

ويجدر بنا هنا أن نقف قليلا لنتبين طبيعة ما كان يدعو اليه هؤلاء  
المصلحون وما يدعو اليه أستاذهم جمال الدين الأفغانى •

ويحدثنا الشيخ محمد عبده عن أستاذه الأفغانى قائلا :

« أما مذهب الرجل فحنيفى حنفى وهو ان لم يكن فى عقيدته مقلدا  
لكنه لم يفارق السنة الصحيحة مع ميل الى مذهب السادة الصوفية  
رضى الله عنهم وله مثابرة شديدة على أداء الفرائض فى مذهب •  
أما مقصده السياسى الذى وجه اليه أفكاره وأخذ على نفسه السعى اليه  
مدة حياته وكل ما أصابه من البلاء أصابه فى سبيله فهو انهاض دولة  
اسلامية من ضعفها وتنبيهها للقيام على شئونها فيعود للإسلام شأنه  
وللدين الحنيفى مجده ويدخل فى هذا تنكيس دولة بريطانيا فى  
الأقطار المشرقية وتقليص ظلها عن رؤوس الطوائف الاسلامية وله فى  
عداوة الانجليز شئون يطول بيانها • أما منزلته من العلم وغزارة المعارف  
فليس يحدها قلمى الا بنوع من الاشارة اليها • كل موضوع يلقي اليه  
يدخل للبحث فيه كأنه صنع يديه فيأتى على أطرافه ويحيط بجميع  
أكنافه » (٣٦) •

كان الأفغانى الرائد الأول لحركة تحرير الوطن الاسلامى من

(٢٦) مقدمة محمد عبده : رسالة فى ابطال مذهب الدهريين بيروت

١٣٠٣ هـ ص ٩

الاحتلال الأجنبي ومؤسس الحركة الإسلامية المفاوئة للاستعمار الغربى وهو الداعى الى فكرة الجامعة الاسلامية التى تهدف الى توحيد العالم الاسلامى واصلاح أوضاعه السياسية والاجتماعية وبث الوعى بين أبنائه وارشادهم الى حقائق دينهم وذلك استعدادا لتحرير دار الاسلام من الغزو الأجنبى<sup>(٢٧)</sup> وهو غزو حربى سياسى فكرى فى آن واحد ومن ثم كانت حملته على الحكام المسلمين فى عصره الذين وقفوا فى وجه الاصلاح أو تعاونوا مع سلطات الاحتلال الأجنبى •

وكان مبعث المحن التى واجهها فى مصر والآستانة وايران والهند دعوته الى التحرر السياسى الشامل والاصلاح الجذرى والنهضة الفكرية للشعوب الاسلامية ولم تكن الحرب التى شنتها ضده صحف الاستعمار الغربى فى ذلك الوقت سوى رد فعل لهذا النشاط الفياض الذى قام به الأفغانى فى عصر اتسم بالركود والاستسلام لسلطان الغرب • واذا كانت المنية قد عاجلته قبل أن يرى ثمرة غرسه فقد حمل الدعوة تلامذته من بعده وكان من أبرز هؤلاء الشيخ محمد عبده • ان الاصلاح فى رأى الشيخ محمد عبده يقتضى تحرير العقل من قيود التقليد وتفهم المسلمين لحقائق دينهم ولطبيعة الحضارة المادية على السواء وكانت مجلة العروة الوثقى<sup>(٢٨)</sup> أقوى منبر لبث الآراء الاصلاحية التى كان يبشر بها الأفغانى ومحمد عبده فى العالم العربى والاسلامى • ولقد وجه الشيخ محمد عبده باعتباره محررا للعروة الوثقى نداء الى العلماء لاهياء الرابطة الاسلامية وتدارك الخلاف حتى يكون كل مسجد وكل مدرسة مهبطا لروح حياة الموحدة ودعا العلماء والخطباء والأئمة والوعاظ فى جميع أنحاء الأرض للارتباط بعضهم ببعض والأخذ بأيدي العامة « الى حيث يرشدتهم التنزيل وصحيح الأثر حتى يتمكنوا بذلك من شد أزr الدين وحفظه من قوارع العدوان

(٢٧) راجع : محمود أبو رية ، جمال الدين الافغانى ، دار المعارف بمصر ١٩٦١ و .  
Encyclopaedia of Islam, New Ed. Vol. 2, pp. 416 - 418.  
(٢٨) أصدرها الافغانى فى باريس فى ٥ جادى الاولى سنة ١٣٠١ هـ / ١٣ ، ١٨٨٤ وصدر منها ثمانية عشر عددا فقط .

والقيام بحاجات الأمة اذا عرض حادث الخلل وتطرق الأجانب للتدخل فيها « (٢٩) » .

واصلاح الأمة فى رأى محمد عبده « انما يكون برجعها الى قواعد دينها والأخذ بأحكامه على ما كان فى بدايته وارشاد العامة بمواعظه الواقية بتطهير القلوب وتهذيب الأخلاق وانتقاد نيران الغيرة وجمع الكلمة وبيع الأرواح لشرف الأمة » (٣٠) .

أما الأستاذ عبد الرحمن الكواكبي فهو من دعاة الوحدة الاسلامية والنهضة العربية ولكنه لا يرى فى سلاطين آل عثمان القدوة الحسنة للمسلمين لأنهم - فى رأيه - وضعوا مصلحتهم فوق مصلحة الاسلام . اتسمت مقالات الكواكبي « أم القرى » و « طبائع الاستبداد » بالدعوة الى اصلاح العالم الاسلامى والنهضة العربية عن طريق العلم وبث الوعى بين الجماهير ومحاربة جمود الفقهاء ويبدو أن الكواكبي قد تأثر وهو يكتب عن طبائع الاستبداد بالصرامة التى مارس بها السلطان عبد الحميد سلطاته . وهو يعرف الاستبداد بأنه التصرف فى الشئون المشتركة بمقتضى الهوى ويذكر شيئاً عن أسبابه وأعراضه ثم يتحدث عن الحرية السياسية فى الاسلام قائلاً « ثم جاء الاسلام بالحكمة والعزم مادماً للتشريك بالكلية ومحكماً لقواعد الحرية السياسية المتوسطة بين الديمقراطية والارستقراطية فأسس التوحيد وأظهر للوجود حكومة كحكومة الخلفاء الراشدين التى لم يسمح الزمان بمثال لها بين البشر وهذا القرآن الكريم مشحون بتعاليم أمارة الاستبداد واحياء العدل والتساوى حتى فى القصص منه » (٣١) .

ويدل كتاب الكواكبي عن الاستبداد على سعة اطلاعه واحاطته بما كتبه الغربيون فى مجال العلوم السياسية والاقتصادية وهو لا يقبل

---

(٢٩) العروة الوثقى : دار البستانى ، القاهرة ١٩٥٧ ص ١  
(٣٠) العروة الوثقى : العدد الثالث ، باريس ٢٧ مارس ١٨٨٤ ص ٣  
(٣١) عبد الرحمن الكواكبي : طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد ، مطبعة الدستور العثمانى بشارع محمد على بمصر ص ٢١ - ٢٢  
( لم يذكر تاريخ النشر ) .

كل ما كتبه الغربيون عن الاستبداد ولكنه يناقش آراءهم ويفند بعضها استنادا الى ثقافته الاسلامية •

وفى كتابه « أم القرى » عرض الكواكبي آراءه فى الإصلاح وفى نقد سياسة الدولة العثمانية وسلطانيتها فى صورة حوار أجراه المؤلف على ألسنة عدد من الشخصيات التقت فى مؤتمر تخيله الكواكبي وجعل مقره مكة المكرمة وسمى ذلك المؤتمر « جمعية أم القرى » • ويشير من هذا الحوار تأثر الكواكبي بما قرأ من مؤلفات ومصادر غربية واشتباهه منها ولعل هذا ما دفع بعض المؤرخين والكتاب المحدثين الغربيين الى تصوير آراء الكواكبي بانها صدى لأفكار الخائب الايدلسى « Alfieri Vittorio » وولفرد بلنت المؤرخ البريطانى<sup>(٣٢)</sup> •

ويشير برنارد لويس الى الكتاب الذى وضعه الفيرى عن الاستبداد ( Della Tirannide ) وترجمه الى اللغة التركية عبد الله جودت ونشر فى جنيف لأول مرة سنة ١٨٩٨ وأعيدت طباعته فى القاهرة سنة ١٩١٩ ، قائلا : ان هذا الكتاب كان — فيما يبدو — أساس أفكار الكواكبي التى ظهرت فى كتابه « طبائع الاستبداد »<sup>(٣٣)</sup> غير أن هذه الآراء عن الكواكبي يجب أن تؤخذ بحذر كبير لاسيما عندما تصدر من كاتب يجاوز حدود النقد الموضوعى ليطعن فى أخلاق الكواكبي ووطنيته بغير دليل كالأستاذ خدورى الذى يرد « طبائع الاستبداد » الى الفيرى وينسب « أم القرى » الى « بلنت » ثم لا يفت عند هذا الحد وإنما يثير غبارا حول وطنية الكواكبي للايحاء بأنه كان عميلا للخديو عباس الثانى وعميلا لايطاليا لأن الكواكبي — كما زعم خدورى — زار الصومال

P.M. Holt, op. cit. p. 257.

(٣٢)

وانظر أيضا Sylvia Haim , Arab Nationalism, An Anthology University of California Press, Berkeley, Los Angeles, 1962, pp. 25 — 27 .

B. Lewis, Islam in History, Alcove Press Ltd. (٣٣)  
London 1973 p. 279.

بالاتفاق مع إيطاليا<sup>(٣٤)</sup> ويقول خدورى انه استقى معلوماته عن هذه الزيارة من رسالة وجهها السيد رشيد رضا الى جورج أنطونيوس فى ١٠ يناير سنة ١٩٣٥ وأن هذه الرسالة موجودة فى أوراق أنطونيوس المحفوظة فى دار الوثائق الاسرائيلية<sup>(٣٥)</sup> .

حقا كان الكواكبي يرى أن للعرب دورا خاصا فى حركة البعث الاسلامى<sup>(٣٦)</sup> وفى ذلك يقول « فهذه هى الأسباب التى جعلت جمعية أم القرى تعتبر العرب هم الوسيلة الوحيدة لجمع الكلمة الدينية بل الكلمة الشرقية »<sup>(٣٧)</sup> .

ويلاحظ أن الكواكبي يتحدث عن جزيرة العرب وأهلها بالنظر الى ما يسميه « السياسة الدينية » ولكن خدورى يزعم أن دعوة الكواكبي الى خلافة عربية ربما كانت دعاية سياسية لعباس حلمى الثانى وطموحه للاستئثار بحكم البلاد العربية<sup>(٣٨)</sup> وأن الكواكبي لهذا السبب كان عميلا للخدوي ، غير أن السيد رشيد رضا أبان لنا حقيقة موقف الخديو عباس حلمى بقوله « الا أن المفسدين كانوا يتهمون خديوى مصر عباس حلمى باشا بذلك فكان يسمع لهم لأن مصر بلاد عربية غنية بالمال والرجال وقد تصدى رأس حكومتها الأخيرة « محمد على باشا » لحرب الدولة العثمانية فقهرها واستولى على سورية والحجاز وتوغل فى الأناضول ولولا الانكليزية لاستولى على سائر ممتلكاتها ، ولكن عباس حلمى لم يكن ليطمع بمثل ما طمع به جده الأعلى ولا بمثل ما كان يطمع به جده الأدنى « اسماعيل باشا » من الاستقلال السياسى بمصر والسودان فقط لمكان الاحتلال الانكليزى الذى جعل السلطة الفعلية فى مصر بيد انكلتره دونه ولهذا كان الموسوسون والجواسيس يزعمون أنه على اتفاق

Elie Kedouri, Egypt and the Caliphate 1915 - 52, (٢٤)  
in the Chatham House Version and other Middle Eastern Studies,  
London, 1970 p. 195 .

Kedouri, op. cit. p. 424 (53) (٣٥)

(٣٦) عبد الرحمن الكواكبي — أم القرى : حلب ١٩٥٩ ص ٢١٧ — ٢١٨

(٣٧) المصدر نفسه ص ٢٢٢

Kedouri, op. cit. p. 195. (٣٨)

مع الانكليز في هذا الأمر وكان كثير من المصريين وغيرهم يصدق ذلك ومنهم من لم يرجع عن هذا التصديق الا بعد نشر كتاب « عباس حلمي الثاني » للمورد كرومر اذ صرح فيه بأن حياة عباس مع الاحتلال كانت حياة خلاف وشقاق » (٣٩) .

وقد رأينا أن الكواكبي تحدث في « طبائع الاستبداد » عن الحرية السياسية في الاسلام وعن حكومة الخلفاء الراشدين وعما جاء في القرآن من أمر بالعدل واجتناب للظلم ، فاذا أضفنا الى ذلك أن البيعة والشورى من المبادئ الأساسية في الفقه الدستوري وأن الامامة في رأى فقهاء المسلمين « عقد حقيقي » مبني على الرضا (٤٠) ، فأننا ندرك أن الكواكبي كان في غنى عن الاستعانة بالكاتب الإيطالي لرفض الاستبداد بوجه خاص .

أما آراء السيد محمد رشيد رضا الحسيني فقد عبر عنها في مجلته « المنار » وهو من المؤمنين بصلاحية الاسلام نظاما للحياة ولكنه يرى أن الاسلام في حاجة الى بحث جديد ولعله من الطريف أن نستمع الى رأى الشيخ رضا في الاصلاح الذي بدأ باسم التنظيمات في الدولة العثمانية منذ عهد السلطان محمود الثاني ( ١٨٠٨ — ١٨٣٩ ) الى عهد السلطان عبد الحميد الثاني ( ١٨٧٦ — ١٩٠٩ ) لأن السيد رشيد رضا كان من أعلام الفكر العربي الاسلامي في عصره وأحد قادة الحركة العربية الذين أخلصوا للدولة العثمانية ومحمضوها للنصح ثم ثاروا عليها بعد اليأس منها . انه أحد مؤسسي جمعية الشورى العثمانية — وهي أول جمعية سياسية تأسست في نهاية القرن التاسع عشر في الآستانة — وأحد الأعضاء المؤسسين لحزب اللامركزية الادارية العثماني في مصر عام ١٩١٢ . وفكرة التنظيمات التي تبنتها الدول الأوروبية في القرن التاسع عشر تهدف الى تنظيم الجيش ونظم الادارة والحكم في الدولة العثمانية على أسس غربية والخروج عن التنظيم الاسلامي للدولة

(٣٩) المنار ج ١ م ٢٠ ، ٣٠ يوليو ١٩١٧ ص ٣٧

(٤٠) محمد ضياء الدين الرئيس : النظريات السياسية الاسلامية الطبعة الثالثة مكتبة الانجلو المصرية القاهرة ١٩٦٠ ص ١٦٥ — ١٦٦ .

والمجتمع وتوجيه المجتمع نحو التشكيل العلماني ومركزية السلطة في القسطنطينية والولايات (٤١) .

ان اصلاح التنظيمات في رأى رشيد رضا كان اصلاحا شكليا عني بالمظهر دون الجوهر ، فعد السلطان محمود مصلحا بتغيير الزى الرسمي ونظام الجندية والسلطان عبد الحميد مصلحا بانشاء نظارة العدلية ومصطفى رشيد باشا مصلحا بادخال الدولة في سلك الدول الأوروبية ومدحت باشا وأعوانه مصلحين باقتباس القوانين الغربية ومحمد على باشا وأحفاده مصلحين بفرنجة البلاد المصرية ولم تتوجه همه واحد الى اصلاح الأخلاق والعادات وجمع الكلمة التي فرقتهما المذاهب واللغات « فما زاد الأمة ذلك الاصلاح الصورى الا ضروبا من الفساد وأن ما تم لم يكن علاجا لهذه الأمة وان كان أكثره ضروريا ، فالأمة بعد هذه المعالجات لم تزد الا مرضا وذلا وفقرا وضعفا وفسادا واسرافا في النفاق وكان ما أدخل فيها من علوم الأمم القوية وقوانينها وآدابها كالجسم الغريب الذي يدخل البنية فيفسد مزاجها لأنه لم يكن على حسب استعدادها وحاجتها بل تقليدا صوريا أو عارضا وقتياً» (٤٢) .

ومن الطريف حقا أن يكون نقد السيد رشيد رضا لاصلاح الذى تم في عهد التنظيمات شبيها بنقد نامق كمال ( ١٨٤٠ - ١٨٨٨ ) وأثرابه . فالتنظيمات في رأى نامق كمال كانت عملا شكليا لارضاء الغرب ومظهرا ليست وراءه ثمرة حقيقية وهو يأخذ على سياسة عهد التنظيمات أنهم أغفلوا القوانين الاسلامية ونقلوا الى تركيا صورة ممسوخة من قوانين الغرب لا هي غربية ولا هي اسلامية وليس لها أثر وتركزت للسلطان سلطاته المطلقة دون قيد ويستطرد نامق كمال قائلا ان التنظيمات تحدثت عن صيانة الأرواح والممتلكات والحرية الشخصية ولكنها لم تذكر حرية الرأى وسيادة الشعب وحكم الشورى ولو أنها فعلت ذلك لاتخذت صورة ميثاق أساسى من أجل خلافة اسلامية ويقول أتراب نامق كمال

(٤١) محمد أنيس : مرجع سابق ص ٢١٣

(٤٢) المنار ج ١ م ١٧ ، ديسمبر ٢٨ سنة ١٩١٣ ص ٣ - ٤



أن التنظيمات أخذت من الشعب الحقوق التي كفلتها له الشريعة الإسلامية ولم تعطه شيئاً من الحقوق التي تكفلها نظم الحكم الأوروبية وأن سياسة التنظيمات فتحو البلاد للتدخل الأجنبي وأصافوا إلى الاستبداد الداخلى الاستغلال الخارجى (٤٣) .

لم تكن الدعوة إلى الإصلاح في العهد الحميدى قاصرة على رجال السياسة وحملة الأعلام في الأقاليم العربية وإنما كانت جهاداً مشتركاً بين هؤلاء وبين دعاة الإصلاح من الأتراك أنفسهم وفي هذا يقول السيد رشيد رضا « ولكن أهل الرأي وحملة الأعلام من العرب لم يقصروا في التعاون مع أمثالهم من الترك على السعى لإصلاح حال الدولة والقضاء على الاستبداد الحميدى فلما أسس شبان الترك جمعية الاتحاد والترقى ونشروها في الولايات دخل فيها كثيرون من شبان العرب وكانت شعبها في سورية أعظم منها في غيرها وأسس بعض العرب جمعية أخرى كجمعية الاتحاد بعد ضعف شأن هذه في مصر وسورية وهي جمعية الشورى العثمانية وأدخلوا في لجناتها المركزية أشهر رجال الاتحاديين الذين كانوا في مصر وغيرهم من العثمانيين فكان هم طلاب الإصلاح من العرب في عهد عبد الحميد هو هم طلاب الإصلاح من الترك (٤٤) » .

وحتى المؤتمر العربى الأول الذى عقد في باريس في شهر يونيو عام ١٩١٣ في عهد الأتراك الاتحاديين لم يطلب الاستقلال عن الدولة العثمانية وإنما حصر مطالبه في الإصلاح الإدارى وذلك على الرغم من أن الشبان الذين تولوا أمر عقد هذا المؤتمر كانوا من المتأثرين بالتفكير « العلمانى » وهم عونى عبد الهادى وندرة مطران وعبد الغنى العريسي وشكرى غانم وجميل معلوف ومحمد محمصانى وشارل دباس وجميل مردم (٤٥) . وقد وصف السيد رشيد رضا هذا المؤتمر بأنه أول مؤتمر

(٤٣) B. Lewic, The Emergence of Modern Turkey. (٤٣)  
O.U.P. 1968 , pp. 170 - 172 .

(٤٤) المنار : المسألة العربية ج ١ م ٢٠ ، ٣٠ يوليو ١٩١٧ ص ٤٠ .

(٤٥) مقدمة الشيخ رشيد رضا لكتاب المؤتمر العربى الاول ، مطبعة  
البسفور القاهرة ١٩١٣ وايضاً : Zein, op. cit. p. 186.

عربي عرف كثيرا من الأمم الغربية بالتاريخ الجديد الذي دخل فيه العرب العثمانيون<sup>(٤٦)</sup> .

عقد المؤتمر جلساته بين يومي ١٣ و ١٨ رجب سنة ١٣٣١ هـ ( ١٨ — ٢٣ يونيو ١٩١٣ ) في قاعة الجمعية الجغرافية في باريس وكان رئيس المؤتمر السيد عبد الحميد الزهراوي ( مندوب حماة ) . وقد وصفت رسالة المؤتمر بأنها تمثل « تطلعات طبقة المتنورين لطرح رداء الخمول والأخذ بأسباب الحياة للافادة من القوى والخصائص التي خص الله بها رافعي معالم العمران من سكان جزيرة العرب من عمومته في العراق وما بين النهرين ووادي الأردن وسهول الشام وجبالها وسواحلها ونجودها »<sup>(٤٧)</sup> وفي الحديث عن الأهداف وصف المؤتمر بأنه « وسيلة لحفظ كيان الأمة العربية وازالة العقبات عن طريق ارتقائها حتى يتسنى لها التهجز بأدوات الحضارة والانتفاع بتجارب العلم فتقوى بذلك ويقوى مجموع الدول العثمانية بقوتها »<sup>(٤٨)</sup> ومن أهدافه أيضا « اصلاح أمور بلادنا على قاعدة اللامركزية . ومن المسائل التي طرحت للبحث الحياة الوطنية ومناهضة الاحتلال وحقوق العرب في المملكة العثمانية وضرورة الاصلاح على قاعدة اللامركزية والمهاجرة من سوريا واليهما » .

وفي حديث لرئيس المؤتمر السيد الزهراوي مع محرر صحيفة الطان الفرنسية قال انه يتحدث بلسان العرب العثمانيين باعتبارهم أهم عنصر في الدولة ويؤكد السيد الزهراوي أن المؤتمر ليست له صفة دينية وأنهم لا يريدون الانفصال عن تركيا بل على العكس يطالبون بتحسين حالة الدولة والعنصر العربي معا لحفظ صرح الدولة من السقوط<sup>(٤٩)</sup> وردا على سؤال آخر أجاب السيد الزهراوي أنهم لا يتمسكون بالوحدة السياسية من أجل الرابطة الدينية بل رغبة منهم

(٤٦) رشيد رضا المصدر نفسه .

(٤٧) كتاب المؤتمر العربي الاول ص ٣ .

(٤٨) المصدر نفسه ص ٥ .

(٤٩) المصدر نفسه ١٩ .

« فى ايجاد مجموع عثمانى قوى يرتقى فيه مجموعنا العربى »<sup>(٥٠)</sup> وعندما سئل عما اذا كان هذا رأى يوافق رأى الشعب ، أجاب بأنه يترجم عن رأى « الفئة المتنورة » وبما أن هذه الفئة المتنورة استطاعت أن ترى هذا رأى من غير أن يكون ذلك ما يمس مبادئها الدينية فلا أرى هناك مانعا يمنع الشعب من التوصل الى فهم هذه الحقيقة » •

اننا نلمح فى حديث السيد الزهراوى اتجاهها علمانيا مشوبا بكثير من الحذر •

لقد اتخذ المؤتمر العربى فى باريس عددا من القرارات ، منها المطالبة باصلاحات جذرية وعاجلة فى الدولة العثمانية وبال حقوق السياسية للعرب بصورة تمكنهم من المشاركة فى ادارة الدولة وادخال نظام لا مركزى ملائم فى كل ولاية عربية والاعتراف باللغة العربية لغة رسمية فى البلاد العربية •

على أن المؤتمر العربى الأول لم يكن بداية العمل العربى المنظم للمطالبة بالاصلاح واللامركزية فقد سبقه عدد من الجمعيات التى ظهرت فى القسطنطينية وبعض أجزاء العالم العربى خلال الفترة ( ١٩٠٨ — ١٩١٣ ) منها جمعية الاخاء العربى العثمانى والمنندى الأدبى ( ١٩٠٩ ) والعلم الأخضر والجمعية القحطانية ( ١٩٠٩ ) وجمعية بيروت الاصلاحية والنادى الوطنى العلمى فى بغداد وجمعية البصرة الاصلاحية والجمعية العربية الفتاة ( ١٩١١ ) وحزب اللامركزية الادارية العثمانى فى مصر ( ١٩١٢ ) ومن بعد ، جمعية العهد التى أسسها عزيز على المصرى فى عام ١٩١٤ وكانت عضويتها للعسكريين وحدهم ومن بين الجمعيات سالفة الذكر تعتبر الجمعية العربية الفتاة وحزب اللامركزية الادارية العثمانى أهمها على الاطلاق<sup>(٥١)</sup> •

تأسست جمعية « الفتاة » عام ١٩٠٩ فى باريس وكانت تحمل اسم جمعية الناطقين بالضاد ثم غير اسمها الى الجمعية العربية الفتاة •

(٥٠) المصدر نفسه ص ٢٠ •

Zein op. cit. pp. 93 - 96 .

(٥١)

كان المؤسسون لها الطلبة العرب ومنهم الأستاذ توفيق الناطور الذي أدلى بحديث الى الأستاذ زين نور الدين قائلاً ان كل هدف هذه الجمعية كان الحصول على المساواة التامة فى الحقوق والواجبات بين العرب والأتراك فى نطاق الامبراطورية التى يرومونها أن تتكون من قوميتين تركية وعربية<sup>(٥٢)</sup> .

أما حزب اللامركزية الادارية العثمانى فكان أكثر الأحزاب العربية تنظيماً والصوت المعبر بحق — كما يقول الأستاذ زين نور الدين عن الأمانى العربية • وخير من يحدثنا عن هذا الحزب وأهدافه الأستاذ رشيد رضا لأنه من أقطابه البارزين وأحد أعضائه المؤسسين • يقول السيد رشيد رضا : ان هذا الحزب تألف فى مصر فى عام ١٩١٢ بعلم الحكومة العثمانية لمطالبة الدولة العثمانية بتغيير شكل ادارتها فى المملكة كلها وان كان جميع مؤسسيه من العرب السوريين وجدير بالذكر أن حزب اللامركزية هو الذى نظم المؤتمر العربى الأول وأسند أمر المؤتمر الى السيد عبد الحميد الزهراوى واسكندر بك عمون<sup>(٥٣)</sup> . وأن ما دفع بعض أهل الغيرة « على تأسيس حزب اللامركزية صوت سمعوه من باريس تذكر فيه فرنسا حقها فى سورية ، فهرع هؤلاء الغيورون الى رؤوف باشا المعتمد — القومسيير — العثمانى فى مصر وكاشفوه بخوفهم على سورية أن تغير عليها فرنسا كما أغارت ايطاليا على طرابلس ( ليبيا ) وألفوا من أنفسهم لجنة للسعى الى الدفاع عن سورية وطلبوا منه أن يكتب الى الباب العالى بذلك يطلبون منه المساعدة على الاستعداد للدفاع الوطنى عن البلاد ولكن المعتمد لم يجبههم الى طلبهم »<sup>(٥٤)</sup> ويستطرد السيد رشيد رضا قائلاً : ان حزب اللامركزية عثمانى محض ليس فى برنامجه ولا فى بياناته كلمة واحدة تدعو الى الجنسية العربية أو تنفر من الجنسية التركية وانما هو يدعو جميع العثمانيين الى مطالبة

Zein op. cit. p. 94.

(٥٢) المنار مجلد ١٧ ج ٣ ، ٣٠ ربيع الأول ١٣٣٢ هـ / ٢٥ يناير ١٩١٤ ص ٢٣٤ — ٢٣٥

(٥٤) المنار ج ٥ م ١٧ — ٢٥ أبريل ١٩١٤ ص ٣٩٥ — ٣٩٦

الحكومة بالادارة اللامركزية بالطرق المشروعة القانونية • نعم ان فكرته قد انتشرت في العرب لأن المؤسسين له من العرب ولم يقدروا على نشر دعوتهم في غير الشعب العربي<sup>(٥٥)</sup> • وقد تقدم الحزب بمشروع الى جمعية الاتحاد والترقي يشتمل على ضروب الاصلاح التي ينشدها الحزب كانشاء مدارس حكومية لتدريس اللغة العربية في دمشق وبيروت واتخاذ العربية لغة رسمية في الولايات العربية وغير ذلك

ان اتفاق ظهور هذه الجمعيات الاصلاحية والأحزاب السياسية والعسكرية مع فترة حكم الأتراك الاتحاديين له دلالاته العميقة وهي أن معالم القضية العربية أخذت تتضح في صورة العمل الجماعي المنظم ولكنها لم تأخذ بعد طابع الحركة الاستقلالية أو الانفصالية حتى عام ١٩١٦ وينفى السيد رشيد رضا عن العرب تهمة العمل للانفصال عن تركيا في ذلك الوقت في شيء من التفصيل ويوضح الأسباب التي دعت العرب الى المحافظة على وحدة الدولة العثمانية وهي أسباب تختلف كل الاختلاف عن الأسباب التي كانت تتذرع بها بريطانيا للمحافظة على تماسك الدولة العثمانية وحمايتها • وفي ذلك يقول السيد رشيد رضا : « كان الترك يتهمون العرب بالميل الى الاستقلال دونهم والسعى لذلك وأنه لا يمنعهم منه الا ضعفهم وعجزهم أمام قوة الترك وقد ذكرت في مقالات « العرب والترك » التي كتبتها في الآستانة ونشرتها في جرائدها ثم في المنار أنني لا أعرف لهذه التهمة أصلا الا ما كان من اقتراء جواسيس السلطان عبد الحميد وطلاب المنافع عنده أو استغلال أوهامه بل أقول ان هذه التهمة لم تكن معقولة في عهد السلطان عبد الحميد لأن النهوض بأمر الاستقلال اما أن يكون من جانب الأمة بما تتوصل به اليه من الجمعيات السياسية والعصابات المسلحة ولم تتصد الأمة العربية لذلك البتة واما أن يكون من جانب الأمراء المستقلين بالادارة في بعض الأقطار أو من دونهم من الزعماء أصحاب العصبية ولم نعلم أن أحدا

من أمراء جزيرة العرب أو من الزعماء فى الولايات العربية العثمانية كان مظنة أو موضعاً لهذه التهمة» (٥٦) •

« وأما كبراء العرب فى ولايات سورية والعراق من العلماء والوجهاء فقد كانوا أشد تعصباً للترك من الترك أنفسهم (٥٧) • تلك حال كبراء البلاد وخاصتها والعامّة تبع لهم لم يسمع لأحد منهم نبأ ظاهرة ولا دعوة خفية الى عداوة الترك أو القيام عليهم أو الاستعداد لتأسيس حكومة عربية تستقل فى البلاد اللهم الا ما كان قد قيل من أن شيعة الماسون كانت تسعى لجعل الأمير عبد القادر خديوياً لسورية» (٥٨) •

ويمضى السيد رشيد رضا متحدثاً عن أسباب عدم تصدى العرب لانشاء دولة مستقلة لهم فى ذلك الوقت : « تبين مما شرحناه من الحقائق أن عدم تصدى العرب لانشاء دولة جديدة لم يكن سببه الخوف من قوة الدولة (العثمانية) كما كان يتوهم الترك ، فان العرب أقوى من اليونان والبلغار وغيرهما من الشعوب التى انفصلت عن السلطنة العثمانية وصارت دولا مستقلة ولم يكن سببه تفرق العرب وتعذر اتفاق أمرائهم وزعمائهم كما يتوهم الكثيرون منهم وانما كان السبب الصحيح لسكون العرب وسكونهم عن طلب استقلالهم وتجديد دولة لهم هو الاسلام وأوروبية • دين الاسلام وسياسة دول أوروبية سببان مستقلان أو سبب واحد مركب لكل من جزئيه تأثير خاص فى صرف العرب العثمانيين عن السعى للاستقلال والحق أن الباعث الأخير لاعتراف أكثر المسلمين بخلافة سلاطين الترك هو كونهم أمسوا حصناً لبقية البلاد الاسلامية فى وجه أوروبية» (٥٩) •

ويؤيد الأستاذ أسعد داغر ما ذهب اليه السيد رشيد رضا من

---

(٥٦) المنار ج ١ م ٢ — ١١ شوال ١٣٣٥ هـ / ٣٠ يوليو ١٩١٧ ص ٣٦ — ٣٧

(٥٧) المصدر نفسه ص ٣٨

(٥٨) المنار : المصدر نفسه والصفحة •

(٥٩) المصدر نفسه ص ٤١ — ٤٢

أن قادة الحركة العربية لم يفكروا — قبل أن يطفح كيل الأتراك الاتحاديين — فى الانسلاخ عن الدولة العثمانية قائلًا :

« لم يكن شبان المنتدى الأدبى فى أول الأمر يفكرون فى الانسلاخ عن السلطة العثمانية بل كان غرضهم تقويتها بتقوية العرب الذين يؤلفون أكثرية سكانها والقيام بالاصلاحات اللازمة لرفع شأنها ودرء الأخطار المحدقة بها بالتعاون التام بين العنصر التركى الحاكم والعناصر العثمانية الأخرى ولا سيما العرب ، وكان هذا رأى رأى عزيز على ( عزيز المصرى ) وحزب العهد وجمعية العربية الفتاة وسائر الأحزاب والجمعيات السرية . أما حزب اللامركزية والجمعيات الإصلاحية فى بيروت والبصرة فكانت مطالبها تنحصر فى توسيع اختصاصات الولايات على قاعدة اللامركزية ولكن هذه الآراء كانت تتبدل على نسبة التبدل الذى رافق السياسة التركية فى السنوات التى سبقت الحرب العالمية الأولى وأستطيع أن أجزم الآن بأنه لم يكن بين العرب يوم اعلان تلك الحرب من فكر فى الانتفاض على الترك أو الاساءة اليهم بل كان تفكيرهم كله منصباً على محاولة منعهم من الاشتراك فيها والتعاون معهم على اجتناب ويلاتها ودرء أخطارها » (٦٠) .

غير أن سياسة جمعية الاتحاد والترقى — لاسيما بعد وقوعها تحت تأثير الدعوة الطورانية — ساعدت على تقوية الشعور بالذاتية العربية . والدعوة الطورانية التى اعتنقها قادة الأتراك الاتحاديين تهدف الى احياء العصبية التركية والجمع بين العناصر التركية التترية والشعوب المنتمية اليها كالشعب البلغارى وشعوب القوقاز وبعث النزعة العسكرية فى الأتراك . لم يكن قادة جمعية الاتحاد والترقى متأثرين بهذه الدعوة الطورانية فحسب بل كانوا يؤيدونها ويقدمون لها الاعانات المالية « وتسمى اعانات المليّة التركية » وكان كبار قادة الاتحاديين أعضاء

---

(٦٠) أسعد داغر : مذكراتى على هامش القضية العربية ، الطبعة الأولى القاهرة ١٩٥٩ ص ٧٠ — ٧١

( ٦ — نكبة الامة العربية )

منتهم اليها» (٦١) ومن هذه القاعدة استمدوا سياسة تترك الشعوب العربية والشعوب العثمانية الأخرى •

ويحدثنا المراسل الخاص لشركة سنترال نيوز في عام ١٩١٦ عن الحركة الطورانية قائلا « في خلال بضع السنوات الأخيرة بدت في بلاد تركيا طلائع حركة جديدة تعرف بنهضة « بنى طوران » أو الطورانية الحديثة وغرضها هدم المدنية الإسلامية واحياء العصبية التركية على أنقاضها والجمع بين العناصر التركية التتارية والشعوب المنتمة اليها ومنها الأمة البلغارية • أما القائمون بهذه الحركة فهم قوم مشهورون بعدايتهم للاسلام وتعصبهم عليه وكثيرا ما يجاهرون بأقوالهم وكتاباتهم بذلك الكره بحجة أن الاسلام يسعى لقتل العصبية القومية ويحول دون نشوء المدنية التركية ولذلك فهم يسعون لجعل الجنسية التركية مستقلة عن الاسلام كل الاستقلال • ومما يقولونه أيضا ان الاسلام لا محل له في المدنية ولا يمكن أن يعيش طويلا الا اذا أدخلت عليه تنقيحات عديدة تلائم المذاهب التركية القومية • ولهذه النهضة وجهتان احدهما أدبية والأخرى سياسية • فغاية النوجه الأولى تمجيد الشعوب الطورانية ونشر تاريخها المجيد ، وغاية النوجه الثانية القضاء على العصبية العربية • فجنيكيزخان هو في نظرهم نموذج الملوك ورجال السياسية فكل مملكة ينشئونها يجب أن تقوم على المثال الذي رسمه • وأما العرب في نظرهم فهم مصيبة على الأتراك ولذلك يجب القضاء عليهم أو ادماجهم في العنصر التركي حتى ينسى العالم تاريخهم وتقاليدهم • أما لغتهم فلا بد من محوها واحلال اللغة التركية محلها في كل صقع وناد » (٦٢)

لم تكن الحركة الطورانية تحمل في طياتها بذور العداء للعرب فحسب بل كانت جسورة على الطعن في الاسلام والكيد له كما يشهد بذلك كتاب « قوم جديد » مؤلفه عبيد الله أفندي الذي عينته جمعية

(٦١) المنار مجلد ١٩ ج ٤ ، ٢٨ سبتمبر ١٩١٦ ص ٢٣٥ — ٢٣٦

(٦٢) المصدر نفسه ص ٢٣٥ ، عن الأهرام الصادرة بتاريخ ١٤

سبتمبر ١٩١٦



الاتحاد والترقي مدرسا في جامع أيا صوفيا « وجعلوا حوله الجلاوزة والشرطة ( البوليس والضابطة ) يحمونه من اعتداء المسلمين عليه » (٦٣) . وقد قامت مجلة المنار بترجمة أجزاء من كتاب « قوم جديد » وذكرت أن الكتاب يحرف القرآن وجعل الصيام والصلاة والحج والزكاة دين القديماء المسلمين وعبر عنهم بكلمتي « قوم عتيق » وصرح بعدم جواز العمل بكتب فقه الأئمة الأربعة وفي مقابل ذلك بين الكتاب أركان دين « قوم جديد » وهي العقل وكلمة الشهادة والأخلاق الحسنة والجهاد مالا وبدنا والسعي لاعداد لوازم الحرب بالاتحاد تحت راية الخلافة الاسلامية العثمانية . والاشارة في كتاب « قوم جديد » الى الجهاد تحت راية الخلافة الاسلامية في عهد الأتراك الاتحاديين تثير العجب لأن جمعية الاتحاد والترقي فضلا عما كان يحيط بها من شبهاة فيما يتعلق بصله قادتها باليهودية العالمية لم يكن يربطها بالخلافة الاسلامية سوى الاحتفاظ بخليفة رمزي لا يملك حولا ولا قوة .

كانت سياسة تنريك الأقاليم العربية واهياء العصبية الطورانية والكيد للاسلام ومساندة الصهيونية لتحقيق أطماعها في فلسطين عوامل أساسية في تحويل اتجاه القضية العربية على عهد الأتراك الاتحاديين نحو الاستقلال ، وساعد على ذلك الهزات العنيفة التي أصابت الدولة العثمانية في ذلك العهد بين عامي (١٩٠٨ و ١٩١٣) والتي بدأت بمحاولة السلطان عبد الحميد استرداد مركزه والقضاء على جمعية الاتحاد والترقي ولكن محاولته لم تنجح وانتهت بعزله ونفيه في ابريل سنة ١٩٠٩ وخلفه الأمير رشاد « محمد الخامس » ولكن السلطة الحقيقية ظلت في أيدي زعماء الاتحاديين .

وخلال سنوات الحرب ( ١٩١٤ — ١٩١٨ ) أثمرت سياسة البطش والارهاب التي اتبعها أحمد جمال باشا حاكم سوريا وكانت ثمرتها الأولى ثورة الشريف حسين على الدولة العثمانية واتجاه العرب في

الهلال الخصيب الى الاستقلال التام • وكان ذلك أخطر تحول فى المنطقة العربية منذ أن هبت عليها رياح الوعى السياسى فى نهاية القرن التاسع عشر • ودخلت القضية العربية مرحلة جديدة ، لم يعد العرب فيها عرب عثمانيين وانما أصبحوا يتطلعون الى استعادة مركزهم القيادى فى العالم الاسلامى عن طريق تحقيق الاستقلال التام والوحدة الشاملة •

لقد ثار العرب على الأتراك الاتحاديين بعد أن استنفدوا كل وسائل التعاون فى سبيل الاصلاح مع جمعية الاتحاد والترقى وفى ذلك يقول السيد رشيد رضا ان طلاب الاصلاح من العرب والترك كانوا « يشتغلون متعاونين والمواصلات بين جمعياتهم لا تنقطع ولا سيما جمعية الاتحاد والترقى فى أوروبا وجمعية الشورى العثمانية بمصر • ظلوا على ذلك الى أن ظفروا باعادة الدستور فظن العرب كما ظن غيرهم من الأجناس الذين تتألف منهم المملكة العثمانية أنهم فازوا بما جاهدوا فى سبيله الى أن قلب لهم المتغلبون على جمعية الاتحاد والترقى وعلى الدولة ظهر المجن وأوقعوهم فى هوة اليأس من الدولة » (٦٤) •

« وهوة اليأس من الدولة » هى التى دفعت الشريف حسين ابن على وقادة الحركة العربية فى سوريا الى الوقوع فى فخ الوعود البريطانية التى بدأت بمراسلات « حسين — ماكماهون » ، دون أن يعلموا أنهم مساقون الى أكبر خديعة فى تاريخهم الحديث •

وقبل أن ندخل فى الحديث عن طبيعة هذه الخديعة وأبعادها يجدر بنا أن نذكر شيئاً عن سياسة جمعية الاتحاد والترقى التى دفعت العرب الى الثورة ، وعن مصر التى ظلت منعزلة عن الثورة العربية فى الهلال الخصيب لأنها كانت تخوض معركة أخرى ضد الاحتلال البريطانى الذى ابتليت به منذ عام ١٨٨٢ •

كانت جمعية الاتحاد والترقى صاحبة السلطة الحقيقية فى الدولة

---

(٦٤) المنار مجلد ٢٠، ج ١/٣٠ يوليو ١٩١٧ ص ٤٠ — ٤١

العثمانية بين عامي (١٩٠٨ و ١٩١٨) وهي الفترة التي نشطت فيها الجمعيات والأحزاب السياسية العربية داعية الى الإصلاح ولا مركزية الادارة ، وخلال هذه الفترة اتسم حكم جمعية الاتحاد والترقي بالعنف والقضاء على الحريات ونفى زعماء المعارضة وأدت سياستهم الداخلية والخارجية آخر الأمر الى تحطيم الدولة العثمانية وهزيمتها في عام ١٩١٨ مع حليفها ألمانيا وتقسيم أقاليمها بين الغزاة المنتصرين .

لقد كانت جمعية الاتحاد والترقي موضع شبهات منذ وقت مبكر اذ اتهمت بأنها جمعية يهودية وأن أعضاءها لم يكونوا أتراكا ولا مسلمين غير أن الأستاذ برنارد لويس<sup>(٦٥)</sup> ، العالم اليهودي الشهير يعترض على هذه التهم ويدافع عن جمعية الاتحاد والترقي ولا يخفى اعجابه بها لأنها مهدت الطريق لتركيا الحديثة ، تركيا العلمانية الكمالية<sup>(٦٦)</sup> . يقول الأستاذ لويس « لا يبدو أن هناك دليلا قط — في كل ما كتب باللغة التركية عن الشبان الأتراك — أن اليهود لعبوا أى دور له أهمية في مجالس الاتحاديين قبل الثورة أو بعدها ولا ما يثبت أن دور الماسونية كانت أكثر من أماكن استخدمها الضباط الاتحاديون من وقت الآخر لعقد اجتماعاتهم السرية»<sup>(٦٧)</sup> وثورة الشبان الأتراك في رأس لويس — ثورة وطنية قام بها أتراك مسلمون لانقاذ الامبراطورية العثمانية من الأخطار المحدقة بها . ومع ذلك فان الأستاذ لويس لم ينف أن اليهود لعبوا دورا في مجالس الاتحاديين ولكنه يصف هذا الدور بأنه ليس بذى أهمية . ويبدو أن الأستاذ لويس لا يقيم وزنا كبيرا للتقارير المعاصرة التي كانت ترد من الآستانة حول طبيعة النفوذ الصهيوني على حركة تركيا الفتاة ومن هذه التقارير ما يرويه فيليب جريفز مراسل صحيفة النايمز البريطانية في القسطنطينية قبيل نشوب الحرب العالمية الأولى اذ يقول :

(٦٥) الأستاذ برنارد لويس احد المستشرقين اليهود الذين أسهموا بنصيب وافر في دراسة التاريخ والحضارة الاسلامية . شغل منصب رئيس شعبة التاريخ وكرسى الأستاذية لتاريخ الشرق الأوسط في جامعة لندن . من مؤلفاته « العرب في التاريخ » و « ظهور تركيا الحديثة » و « الشرق الأوسط والغرب » و « الاسلام في التاريخ » .

(٦٦) نسبة الى كمال أتاتورك .

(٦٧)

B. Lewis, op. cit. p. 212 .

«ان اليهود نشطوا فى العهد الجديد (عهد تركيا الفتاة) وأصبحوا أداة اتصال هامة بين النظام الجديد ( نظام الاتحاديين ) وألمانيا وكان مركزهم الرئيسى فى سالونيكاً وهى فى الوقت ذاته مركز نشاط جمعية الاتحاد والترقى» (٦٨) .

ويقول جريفز فى موضع آخر « ان الحكومة البريطانية علمت فى نهاية عام ١٩١٦ أن ألمانيا كانت تتجه الى كسب تأييد الصهيونيين مقابل عروض معينة تقدمها لهم كما ترددت أقوال مؤداها أن طلعت باشا ، الصدر الأعظم فى تركيا ( هو أحد دعائم جمعية الاتحاد والترقى ) اتصل بصهيونيين بارزين من الألمان والمحايديين لنفس الغرض» (٦٩) .

ومن التقارير التى تحدثت عن علاقة جمعية الاتحاد والترقى بالصهيونية ما تلقتة مجلة المنار فى القاهرة من مراسل خاص شهد الأحداث التى قصت على آخر محاولة لاعادة الحياة الدستورية الى الدولة العثمانية فى سنة ١٩١٣ نتيجة للانقلاب الذى قاده أنور بك فى مطلع ذلك العام فقد ذكر مراسل المنار فى تقريره أسماء الوزراء الذين تم تعيينهم فى وزارة محمود شوكت الصدر الأعظم وهى الوزارة التى جاءت الى الحكم عن طريق انقلاب أنور بك وضمت ثلاثة من الوزراء وصفهم التقرير على النحو التالى (٧٠) : « بساريا » أو « باتراريا أفندى » ناظر المنفعة ( أى وزير الأشغال ) وكان رئيس تحرير « جون تورك - تركيا الفتاة » ومراقبا لما يكتب فيها من قبل الجمعية « وجون تورك » جريدة صهيونية . « نسيم مازلياح » ، ناظر التجارة والزراعة ومبعوث أزمير الاسرائيلى سابقا ومفوض الجمعية الصهيونية ، أما الوزير الثالث الذى وصف بأنه صهيونى فهو « جاويد بك » وزير المالية .

وعلقت مجلة المنار على هذا التقرير بقولها « ومما جاء مصدقا

Philip Graves, Briton and Turk, London, 1941. (٦٨) p. 137 .

Philip Graves, Palestine, The Land of Three Faiths, (٦٩) London, 1923 pp. 41 - 42 .

(٧٠) المنار ج ٢ مجلد ١٦ فبراير ١٩١٣ ص ١٥٦ - ١٥٧

لسوء ظننا فى الجمعية ( الاتحاد والترقى ) أنها جعلت فى وزارتها الجديدة ثلاثة وزراء من حزب اليهود الصهيونيين وجعلت فى أيديهم نظارة النافعة ونظارة الزراعة والتجارة أى ينابيع الثروة فى البلاد»<sup>(٧١)</sup> .

أما اذا نظرنا الى سياسة جمعية الاتحاد والترقى نحو الهجرة اليهودية الى فلسطين غى ضوء الوثائق الرسمية فاننا نجدها سياسة موالية للصهيونية ، بينما كانت السياسة التى درج السلاطين العثمانيون على اتباعها منذ عام ١٨٤٠ وحتى عزل السلطان عبد الحميد فى عام ١٩٠٩ على أيدى ضباط الاتحاديين لا تساووم ولا تتردد فى حماية فلسطين من الهجرة اليهودية ، مع السماح لليهود بزيارتها لأداء شعائهم الدينية . ولعله من المفيد أن نقارن بين سياسة السلاطين العثمانيين وسياسة جمعية الاتحاد والترقى ازاء هجرة اليهود الى فلسطين . لقد كان اليهود منذ منتصف القرن التاسع عشر يستعطفون الحكومة البريطانية للضغط على سلاطين آل عثمان واغرائهم للسماح لليهود بالهجرة الى فلسطين والاستقرار فيها وكانت رسالة بالمرستون وزير خارجية بريطانيا فى عام ١٨٤٠ الى السفير البريطانى فى الأستانة فى تلك السنة احدى نتائج هذا الاستعطف ولكنها من ناحية أخرى كانت تمثل عزم الحكومة البريطانية على مقاومة النفوذ الفرنسى فى الشرق الأوسط لأنها كانت ترى فى تأييد فرنسا لمحمد على وهويسمى الى الاستيلاء على سوريا ، تهديدا لسلامة الامبراطورية العثمانية واذا بنا بتقطيع أوصالها<sup>(٧٢)</sup> . وقد ورد فى رسالة بالمرستون :

« هناك شعور قوى بين اليهود المشردين فى القارة الأوروبية بأن الوقت الذى تعود فيه أمتهم الى فلسطين قد حان ومن ثم أصبحت رغبتهم أشد من ذى قبل فى العودة اليها وصار اهتمامهم أعظم بوسائل تحقيق هذه الرغبة ، ومن المعروف جيدا أن يهود أوروبا يملكون ثروة طائلة ومن الجلى أن أى قطر يختاره عدد كبير منهم للاقامة فيه سوف

(٧١) المصدر نفسه ص ١٦٠ .

(٧٢) L. Stein, The Balfour Declaration, London 1961

pp. 51 - 52 .

يجنى فائدة عظيمة من الثروات التي يجلبونها معهم الى ذلك القطر وسواء أقبل محمد على الأمر الأول أم الثاني (الذي سيعرض عليه قريبا) فإنه من الأهمية الواضحة للسلطان أن يشجع اليهود على العودة الى فلسطين والاقامة فيها لأن الثروة التي سوف تتدفق اليها بمجيئهم ستزيد من موارد الأقاليم التابعة للسلطان . وإذا عاد الشعب اليهودي الى فلسطين بدعوة من السلطان وبأذنه وتحت حمايته فإنهم سيكونون ترياقا مضادا لأية خطط شريرة قد يفكر فيها محمد على أو من يخلفه في المستقبل» (٧٣) .

تلك هي توجيهات وزير خارجية بريطانيا الى السفير البريطاني في القسطنطينية مستر بونسونبي عام ١٨٤٠ ، وفي رسالة أخرى طلبت الحكومة البريطانية من الحكومة العثمانية أن تسمح لليهود فلسطين وللذين يريدون الاقامة فيها أن يتقدموا بطلباتهم الى السلطان العثماني عن طريق السفارة البريطانية في القسطنطينية ولكن الحكومة العثمانية لم تستجب لهذا الرجاء (٧٤) وفي ١٧ فبراير ١٨٤١ كتب بالمرستون مرة أخرى الى سفير بريطانيا في القسطنطينية يحثه على الاتصال بالحكومة العثمانية لاقتناعها بتغيير موقفها ازاء الهجرة اليهودية الى فلسطين حتى تسمح لليهود بالاقامة ولو لفترة محدودة كعشرين سنة مثلا (٧٥) .

وفي عهد السلطان عبد الحميد أصدرت الحكومة العثمانية أمرا قاطعا يمنع الهجرة اليهودية الى فلسطين ابتداء من عام ١٨٨٤ (٧٦)

---

Palmerston to Ponsonby F. O. 78 ( No. 134 ) (٧٣)  
Foreign 11 Aug. 1840, Hyamson, The British Consulate in Jerusalem, London, 1939, Vol. I pp. 33 - 34 .  
F.O. 195 /185 ( No . 19 ) Constantinople, 21 Jan. . (٧٤)  
1841 Ponsonby to Pulmerston, Hyamson op. cit. pp. 35 - 36.  
F.O. 78 ( 427 ) No 33 Foreign Office, 17 Feb. (٧٥)  
1841 Palmerston to Ponsonby, Hyamson op. cit. pp. 37 - 38.  
F.O. 78 ( 5479 ) No. (542) Sir N. R. O'conor to (٧٦)  
Marquess of Salisbury, Constantinople 13 Oct. 1898, Hyamson, op. cit . p. 529 - 531 .

ولكن سمح لليهود الأجانب الذين يقصدون الحج بزيارة فلسطين على ألا تجاوز اقامتهم فيها ثلاثة أشهر • وعندما أخطرت الحكومة البريطانية رسميا بهذه القيود على اقامة اليهود في فلسطين ، أعلن السفير البريطاني في القسطنطينية سير وليام وايت عن رفضه لهذه الاجراءات ووعده حكومته بأنه سيعث الى الحكومة العثمانية بمذكرة مشتركة يسانده فيها سفير فرنسا وسفير الولايات المتحدة الأمريكية في القسطنطينية يعترضون فيها على القيود التي فرضتها الحكومة العثمانية على الهجرة اليهودية • وفي ٢٨ مايو ١٨٨٨<sup>(٧٧)</sup> وجه السفير البريطاني الى الحكومة العثمانية رسالة يطالب فيها بالغاء القيود التي تحدد اقامة اليهود الأجانب في فلسطين ولكن حكومة السلطان عبد الحميد لم تستجب لهذا الرجاء ولم تكثف بذلك وانما رفضت أيضا تسجيل العقارات في القدس باسم الاتحاد « الانجليزى — اليهودى » فاضطر السفير البريطاني أن يقترح على حكومته تسجيل العقارات بأسماء أشخاص من الاتحاد من غير اليهود حتى لا تعترض الحكومة العثمانية<sup>(٧٨)</sup> •

ويبدو أن القنصل البريطاني في القدس لم يلتزم في عام ١٨٩٨ بتنفيذ سياسة الدولة العثمانية فيما يتعلق بالهجرة اليهودية فبعثت وزارة الخارجية العثمانية في ١٩ سبتمبر ١٨٩٨ بمذكرة الى السفارة البريطانية في القسطنطينية توجه نظرها الى الأمر الصادر عام ١٨٨٤ بمنع الهجرة اليهودية الى فلسطين وتطلب منها أن تصدر توجيهاتها الى القنصل البريطاني في القدس ليمنع عن وضع العقبات في سبيل تنفيذ تلك السياسة<sup>(٧٩)</sup> وكان هذا القنصل ، جون ديكسون قد تلقى رسالة من الحاكم العثماني لمدينة القدس يخطره فيها بصدور أوامر صارمة من

---

F.O. 195 /1607 Sir William White to G. Jackson (٧٧)  
Eldridge and N. T. Moore, Hyamson, op. cit. p. 443.  
(No. 395 ) F. O. 195 /2026 , Hyamson, op. cit. (٧٨)  
Constantinople to John Dickson 25 Aug., 1898, Hyamson, op. cit.  
p. 518.

F.O. 78/5479 ( N.V. No. 200 ) S.P.Le 19 Sept . (٧٩)  
1898 A. L' Ambassade De S. M. B. , Hyamson op. cit. p. 531.

الحكومة العثمانية تمنع دخول جميع اليهود الأجانب في فلسطين — بغض النظر عن الجنسية التي يحملونها — ما لم يقدموا ضمانا بمغادرة البلاد خلال ثلاثين يوما<sup>(٨٠)</sup> فرد القنصل بأنه ليست لديه توجيهات من حكومته في هذا الصدد وأنه سيقدم احتجاجا اذا طبق أمر المنع على اليهود من الرعايا البريطانيين<sup>(٨١)</sup> واحتجت الحكومة البريطانية على هذا المنع على لسان سفيرها في القسطنطينية واعتبرته خرقا لما سمته بالحقوق التي كفلتها لهم معاهدتهم مع الدولة العثمانية بل ذهب السفير البريطاني أوكونور «N.R. O'Connor» الى أبعد من ذلك في رسالته الى وزير الخارجية البريطانية سالسبري حيث قال « ان الحكومة العثمانية أخذت تبدي مزيدا من الحزم في ممارسة ما تدعيه من حق في الحد من الهجرة اليهودية الى فلسطين وفي اعتقادي أنه من المرغوب فيه أن نخطر الباب العالي بالحدود التي يستطيع أن يمارس في نطاقها ذلك الحق المزعوم »<sup>(٨٢)</sup> وكانت الحكومة البريطانية تأمل ألا يطبق أمر حظر هجرة اليهود الى فلسطين على اليهود البريطانيين ، علما بأن الهجرة اليهودية كانت تتدفق على فلسطين من جهات متعددة لا سيما من روسيا والنمسا وبولندا ولكن أوامر الحكومة العثمانية الأخيرة كانت صريحة في حظر الهجرة على جميع اليهود الأجانب بغض النظر عن جنسياتهم ، ويبدو أن الحكومة العثمانية أصدرت في عام ١٩٠٠ تعديلا يقضى بمد فترة الاقامة المسموح بها لليهود في فلسطين الى ثلاثة أشهر كما كانت من قبل بدلا عن شهر واحد .

لم تكتف الحكومة العثمانية في عهد السلطان عبد الحميد باتخاذ

(٨٠) F.O. 195 / 2028 , John Dickson to The British Ambassador Constantinople, Jerusalem 24 Aug . 1898, Hyamson op. cit. p. 518 .

(٨١) F. O. 195 / 2028 ( No. 41 ) John Dickson to M. De Bunzen Jerusalem, 25 Aug . 1898, Hyamson op. cit. pp. 518 — 19 .

(٨٢) F.O. 78 /5479 ( No. 542 ) N. R. O'conor to Marquess Salisbury, Constantinople 13 Oct. 1898, Hyamson op. cit. pp. 529 - 30 .



هذه التدابير لحماية فلسطين من الهجرة اليهودية ولكنها أصدرت مزيداً من اللوائح في عام ١٩٠٠<sup>(٨٣)</sup> لتشديد الرقابة على الهجرة وتشتمل اللائحة التي تسلمها السفير البريطاني في القسطنطينية سير أوكونور في نوفمبر عام ١٩٠٠ على أربع مواد • وبمقتضى هذه اللائحة يتعين على جميع اليهود القادمين إلى فلسطين أن يسلموا جوازات سفرهم إلى السلطات العثمانية التي تمنحهم بطاقات خاصة توضح مهنة كل زائر يهودي وجنسيته والغرض من زيارته كما تمنحهم أذناً مؤقتاً بالإقامة والانتقال في فلسطين لمدة لا تزيد على ثلاثة أشهر • ووضع نظام دقيق لمراجعة هذه البطاقات لمعرفة من يخالفون الأمر • كذلك نصت اللائحة على إبعاد كل من تجاوز إقامته المدة المقررة إما عن طريق الشرطة أو عن طريق القنصل المختص<sup>(٨٤)</sup> وحذرت اللائحة الموظفين الذين يقومون بتنفيذ الأمر من مغبة التهاون في أداء مهمتهم •

ويفهم من هذا التحذير أن بعض الموظفين في الإدارة العثمانية قد يضعف أمام أساليب الإغراء التي كان يمارسها اليهود المهاجرون مع بعض الموظفين لدخول فلسطين بطرق غير مشروعة وقد أشار السفير البريطاني في ملحق تقريره إلى وزارة الخارجية البريطانية إلى أن اليهود كانوا يدخلون فلسطين عن طريق مينائي حيفا وبيروت لقاء رشوة يقدمونها للموظفين المختصين في حدود خمسة جنيهات<sup>(٨٥)</sup> •

وجدير بالملاحظة أن الأمر العثماني بمنع هجرة اليهود إلى فلسطين صدر في عام ١٨٨٤<sup>(٨٦)</sup> وشددت الرقابة في عامي (١٨٩٨ و ١٩٠٠) وهذه التواريخ تتفق تماماً والتحرك اليهودي الصهيوني لتنظيم الهجرة

F. O. 78 / 5479 , Enclosure 1 to No. 440 , Nov. 21 , (٨٣)  
1900 Hyamson op. cit. p. 561 .

F. O. 78 / 5479 ( No. 34 ) Sir Nicholas O'conor to (٨٤)  
Marquess of Lansdowne, Constantinople, 27 Jan. 1901, Hyamson  
op. cit . pp. 560 — 62 .

F.O. 178 / 5479 ( Enclosure 2 to No. 440 ) (٨٥)  
Duplicate No. 7 Beirut, Jan. 13, 1901, Hyamson op. cit. p. 562 .

(٨٦) وليس في عام ١٨٨٨ كما ذكر آلان تيلر في كتابه تاريخ الحركة  
الصهيونية تعريب بسام أبو غزالة ، بيروت ١٩٦٦ ص ١٣ •

اليهودية واستعمار فلسطين • ففي عام ١٨٨٢ شرع اليهود فى تأسيس مستعمراتهم فى فلسطين وهناك من يقول ان حركة استعمار فلسطين بدأت منذ عام ١٨٧٨ ولكنها لم تكن حركة منظمة ومن أوائل المستعمرات التى أسست فى ذلك الوقت مستعمرة «Petah Tikvah» ولكن حركة الاستعمار اليهودى المنظم بدأت فى عام ١٨٨٢ بتمويل البارون آدموند روتشيلد وهو أحد أثرياء اليهود المشهورين فى باريس وبلغ عدد المستعمرات التى مولها البارون آدموند أربعة أضعاف ما أسسه اليهود الآخرون بجهودهم الخاصة<sup>(٨٧)</sup> وفى عام ١٨٨٢ نفسه نشأت حركة «عشاق صهيون» فى روسيا وكانت تدعو الى احياء اللغة العبرية واستيطان فلسطين وفى سنة ١٨٩٦ نشر كتاب «الدولة اليهودية» لتيودور هرتزل فى فيينا وتلا ذلك انعقاد المؤتمر الصهيونى الأول فى «بال» بسويسرا عام ١٨٩٧ • ومؤتمر «بال» هو الذى وضع دستور الصهيونية وحدد أهدافها وهذا ما دفع هرتزل الى القول بأن «الدولة الصهيونية أسست فى «بال»<sup>(٨٨)</sup> ومن تلك الأهداف خلق وطن للشعب اليهودى فى فلسطين تحت حماية القانون العام»<sup>(٨٩)</sup> •

ولعل هذا النشاط الصهيونى فى نهاية القرن التاسع عشر يفسر لنا اهتمام السلطان عبد الحميد بمقاومة الهجرة اليهودية الى فلسطين وتشديد الرقابة عليها فى تلك السنوات مع أن السياسة العثمانية كانت واضحة منذ سنة ١٨٤٠ وهى تقوم على حماية فلسطين من الغزو اليهودى • أما فى عهد جمعية الاتحاد والترقى فقد تغيرت سياسة الدولة العثمانية تغيرا تاما لصالح الصهيونية ووضح هذا التغير بصفة خاصة بعد انتهاء فترة الاضطراب السياسى الذى ساد فترة السنوات الخمس الأولى من حكم الجمعية (١٩٠٨ - ١٩١٣) •

Israel Margalith , Le Baron Edmond Rothschild (٨٧)  
Et La Colonisation Juive En Palestine, Paris, 1957, pp.II, 144-145.  
Mrs. Blanche Dugdale, The Balfour Declaration (٨٨)  
Jerusalem 1940, p. 14.  
Theodor Herzl : The Jewish State, 9th Ed. London, (٨٩)  
1946 p. 5.

لقد ظل نفوذ الصهيونية ينمو فى دوائر الحكومة العثمانية منذ أن استولى الاتحاديون على السلطة وذلك عن طريق نشاط اليهود الألمان لاحتراز مواقع للنفوذ اليهودى فى جمعية الاتحاد والترقى ومن ثم فتح الباب للهجرة اليهودية الى فلسطين<sup>(٩٠)</sup> وقد جاء فى رسالة للسفير البريطانى فى القسطنطينية سير جيرارد لوثر الى وزير خارجية بريطانيا سير ادوارد جراى مؤرخة ٢٤ ابريل ١٩١١ ، أن جميع البعثات الدبلوماسية فى القسطنطينية — بايعاز من السفارة الفرنسية — تقدمت الى الحكومة العثمانية بمذكرة حديثة تطلب فيها الغاء القيود القائمة التى تمنع اليهود الأجانب من امتلاك الأراضى فى مقاطعتى سوريا والقدس ( أى فلسطين ) ويفسر السفير البريطانى مبادرة السفارة الفرنسية فى هذا الموضوع بأنه — فيما يبدو — نتيجة لايغاز من أسرة روتشيلد اليهودية فى باريس عن طريق الحكومة الفرنسية<sup>(٩١)</sup> . وردت الحكومة العثمانية على هذه الرسالة بأنها تحتفظ لنفسها بحق التصرف لأن الموضوع من صميم شئوننا الداخلية<sup>(٩٢)</sup> .

كذلك ذكر السفير البريطانى فى رسالته أنه تلقى برقية من وكيل الحكومة البريطانية فى القاهرة تفيد أن القنصل البريطانى فى غزة كان يقوم خلال الأشهر الثلاثة المنصرمة بشراء الأراضى بين العريش ورفع لصالح منظمة استعمارية يهودية .

ومن ناحية أخرى ذكر السفير أن بعض وزراء الدولة العثمانية — نقلا عن الصحف الصادرة بتاريخ ٢٤ ابريل ١٩١١ — هاجموا الصهيونية<sup>(٩٣)</sup> ووصفوها بأنها ضرب من الخيال وأنها ضد الفكرة العثمانية . وقد يفسر موقف الحكومة العثمانية — وفقا لما ورد فى تقرير السفير البريطانى — وتصريحات بعض الوزراء ضد الصهيونية

(٩٠) Sir Gerard Lowther to Sir Edward Grey No. 16084 with 9103 ( No . 271 ) Gonstantinople 24 April 1911, Hyamson op. cit. pp. 576 - 577 .

Hyamson, op. cit. p. 577 . (٩١)

Hyamson, op. cit. p. 577 . (٩٢)

Hyamson, op. cit. pp. 576 - 577 . (٩٣)

فى عام ١٩١١ بأن هذا هو الموقف الرسمى لجمعية الاتحاد والترقى وممن أخذ بهذا التفسير الأستاذ محمد رفعت (٩٤) والأستاذ أحمد طربين اذ يقول « ولما ثار فتیان الترك بالسلطان عبد الحميد عام ١٩٠٨ تابع اليهود نشاطهم واعتقدوا أن موقف الاتحاديين سيكون أكثر تساهلا ومودة ولكن الحكومة الجديدة سارت على نفس سياسة عبد الحميد وتزايد عدااء الحكومة العثمانية للصهيونية • وبدا جليا فى عامى ١٩١١ و ١٩١٢ عندما هاجم كثير من النواب الصهيونية وأوعزت الحكومة الى السلطات المحلية فى فلسطين أن تشدد الرقابة على تنفيذ الأنظمة التى تحظر على اليهود امتلاك الأراضى » (٩٥) •

غير أن ما حدث فى عام ١٩١٣ وما بعدها وأثبتته الوثائق الرسمية يؤكد أن سياسة جمعية الاتحاد والترقى كانت — على نقيض سياسة الدولة العثمانية لا سيما فى عهد السلطان عبد الحميد — موالية للصهيونية فيما يتعلق برفع الحظر على الهجرة الى فلسطين وامتلاك الأراضى فيها • ففى ٢١ ديسمبر ١٩١٣ بعث السفير البريطانى فى القسطنطينية سير ماليت تقريراً الى سير ادوارد جراى وزير الخارجية يحيطه بالنجاح الذى أحرزته الصهيونية بالغاء جوازات السفر الحمراء التى كان يتعين على اليهود الأجانب حملها عند وصولهم أرض فلسطين والتى كانت تحدد فترة اقامتهم فيها بثلاثة أشهر (٩٦) •

أما القنصل البريطانى فى القدس «McGregor» فقد كتب الى السفير البريطانى فى القسطنطينية فى ١٥ يناير ١٩١٤ يخطره رسميا بأن العقوبات

(٩٤) محمد رفعت : قضية فلسطين « انبرا » دار المعارف للطباعة والنشر بمصر : القاهرة ١٩٤٧ ص ٢٦

(٩٥) أحمد طربين : محاضرات فى تاريخ القضية الفلسطينية ، معهد الدراسات العربية العالية ، القاهرة ١٩٥٨ ص ٢٢

(٩٦) Sir L. Mallet to Edward Grey, 1913 / No. 58134  
with 6584 ( No . 1023 ) Constantinople 21 Dec . 1913 , Hyamson  
op. cit . p. 583 .

فى سبيل الهجرة اليهودية الى فلسطين وامتلاك الأراضى فيها قد زالت  
بفضل موقف السلطات الذى يدعو للارتياح<sup>(٩٧)</sup> .

وقد زار جورجى زيدان — صاحب مجلة الهلال — فلسطين فى  
سنة ١٩١٣ ونشر عددا من المقالات<sup>(٩٨)</sup> فى مجلته يصف فيها مشاهداته  
فى فلسطين فتحدث عن السهول الخصبة بين حيفا واليرموك وقال  
« ان اليهود باذلون جهدهم فى ابتياع الأراضى فى فلسطين بكل وسيلة  
ممكنة بمساعدة الجمعية الصهيونية وأن غور بيسان كان معروضا للبيع  
فى صيف عام ١٩١٣ وقد احتج أعيان الوطنيين على الحكومة لما بلغهم  
عزمها على بيعه لبعض الأجانب أو اليهود فتوقفت الحكومة عن بيعه  
مؤقتا »<sup>(٩٩)</sup> .

ويواصل جورجى زيدان حديثه قائلا « ورغم احتجاج المسلمين  
والمسيحيين وغيرهم من الوطنيين على بيع الأرض لليهود فانهم يبتاعونها  
ويصلحونها ويغرسونها أو يبنونها ويعولون فى استثمارها على أحدث  
الطرق الفنية . شاهدنا فى يافا محلة أو مستعمرة اسرائيلية اسمها  
تل أبيب أدهشنا ما رأيناها فيها من نظام الشوارع واتقان البيوت فى  
بنائها على الطراز الصحى وقد شادت هذه المحلة شركة يهودية لسكنى  
اليهود وهى تؤجرهم اياها بطريق الاستهلاك بشروط سهلة بحيث  
يصبح المنزل لساكنه بعد مدة غير طويلة »<sup>(١٠٠)</sup> .

فكيف نفسر سياسة حكومة الأتراك الاتحاديين تجاه الهجرة  
اليهودية وامتلاك أراضى فلسطين فى عامى (١٩١١ — ١٩١٢) وموقفها فى

---

P.J. C. McGregor to Sir L. Mallet 1914 No. 16140 (٩٧)  
( No. 16 Conf. ) Jerusalem, 15 March 1914, Hyamson, op. cit.  
p. 583.

(٩٨) نشرت هذه المقالات عن فلسطين فى الهلال ابتداء من العدد  
الصادر فى أول أكتوبر سنة ١٩١٣ السنة الثانية والعشرون حتى أول يونيو  
سنة ١٩١٤ ( السنة الثالثة والعشرون ) .

(٩٩) جورجى زيدان : رحلة صاحب الهلال الى فلسطين — الهلال  
ج ٧ السنة الثالثة والعشرون أول ابريل ، ١٩١٤ ص ٥١٧  
(١٠٠) المصدر نفسه ص ٥١٨ .

عام ١٩١٣ وما بعده عندما رفعت القيود عن الهجرة اليهودية ؟ لعل تطور الأحداث السياسية في الدولة العثمانية بين سنتي ( ١٩١١ و ١٩١٣ ) يعيننا على الاهتداء الى ذلك التفسير .

لقد كانت جمعية الاتحاد والترقي - بعد عزل السلطان عبد الحميد ونفيه الى سالونيك سنة ١٩٠٩ - تتطلع الى استقرار الحكم في قبضتها ولكن تطلعاتها لم تتحقق لأنها واجهت معارضة عنيفة طوال عامي (١٩١١ و ١٩١٢) وشاهدت تحول الرأي العام ضدها فظهر في أوائل سنة ١٩١١ حزب مناوئ للاتحاديين يدعو الى دعم الحقوق المقدسة للخلافة والسلطنة وينادي بتعديل الدستور لتحقيق هذا الهدف<sup>(١٠١)</sup> وفي ٢١ نوفمبر سنة ١٩١١ ظهر اتحاد الأحرار الذي ضم كل المعارضين لجمعية الاتحاد والترقي وكون معارضة برلمانية ضد الاتحاديين فاضطر هؤلاء الى حل البرلمان في يناير عام ١٩١٢ واجراء انتخابات في ابريل سنة ١٩١٢ جاءت بمن يريدون وسميت انتخابات العصا الغليظة<sup>(١٠٢)</sup> ولكن في شهرى مايو ويونيو سنة ١٩١٢ تجمع عدد من الضباط في القسطنطينية عرفوا بفرقة الانقاذ وكان من أهدافهم اسقاط جمعية الاتحاد والترقي وبرلمانها وحكومتها واعادة الحياة الدستورية وفرضت هذه الحركة تعديلا جذريا أدى الى تكوين ما سمي بالوزارة العظيمة برئاسة أحمد غازي مختار في ٢١ يوليو سنة ١٩١٢ التي حققت مطالب المعارضة في ابعاد جمعية الاتحاد والترقي - مؤقتا - عن السلطة وحل برلمانها في ٥ أغسطس ١٩١٢ وكانت الدولة العثمانية في ذلك الوقت مشغولة بحرب البلقان ( أكتوبر ١٩١٢ ) وبالعنوان الايطالي على ليبيا ( ١٩١١ ) فدبر الاتحاديون انقلابا مضادا لاستعادة السلطة بقيادة أنور بك في ٢٣ يناير سنة ١٩١٣ وأسقطوا الوزارة العظيمة وقتلوا وزير حريبتها ناظم باشا وفي ١١ يونيو ١٩١٣ عادت جمعية الاتحاد والترقي الى السلطة في صورة دكتاتورية ثلاثية يتزعمها أنور وطلعت وجمال<sup>(١٠٣)</sup> .

B. Lewis op. cit. p. 220 .

B. Lewis op. cit.

B. Lewis op. cit. pp. 223 - 225.

(١٠١)

(١٠٢)

(١٠٣)

ولخص أحد المراسلين المعاصرين للأحداث حالة الاضطراب التي سادت الآستانة بين عامي (١٩٠٨ و ١٩١٣) قائلا « منذ أربعة أعوام قلب الجيش حكم عبد الحميد وأنشأوا حكومة دستورية ثم قام الجيش فقلب تلك الحكومة ثم قام رجال تلك الحكومة فقلبوا بعض طواير ذلك الجيش ثم عاد ضباط الجيش الكرة الرابعة منذ شهور وقلبوا ذلك الحكم فقام الاتحاديون اليوم وقلبوا حكومة ذلك الجيش وهي خامس ثورة حدثت في أربعة أعوام في سبيل القبض على الحكومة ليس غير » (١٠٤) .  
في مثل هذه الظروف التي نازعت فيها المعارضة سلطة الاتحاديين بل نزعتها منهم في النصف الثاني من عام ١٩١٢ لا نتوقع من حكومة الاتحاديين أن تجد الأمن والثقة الكافية التي تمكنها من اتخاذ موقف ودي تجاه هجرة اليهود الى فلسطين ولكن موقفها وضع بعد حوادث ١١ يونيو ١٩١٣ ، لأنها قضت على المعارضة قضاء تاما وأصبحت صاحبة السلطان المطلق بقيادة الدكتاتورية الثلاثية التي أطغأت آخر قبس من الحرية على مسرح السياسة التركية وقادت الدولة العثمانية الى الدمار في الحرب العالمية الأولى التي انتهت بهزيمتهم في سنة ١٩١٨ .  
هذا — فيما يبدو — هو التفسير الأرجح لنجاح الصهيونية في عام ١٩١٣ مع قادة الأتراك الاتحاديين لرفع القيود عن الهجرة اليهودية الى فلسطين وإباحة امتلاك الأرض الفلسطينية لليهود الأجانب على النحو الذي ورد في تقرير سفير بريطانيا في القسطنطينية وقنصلها في القدس .

أما مصر العربية العثمانية في نهاية القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين فقد تربع على عرشها اللورد كرومر ( إيفلين بيرنج ) منذ سنة ١٨٨٢ رغم تبعيتها الرسمية للخليفة العثماني وكان كرومر يستمد سلطته في حكم مصر من تفويض الحكومة البريطانية ، وقوته العسكرية ، من جيش الاحتلال المربط في أرض مصر ، ومن ثم كان الاحتلال الأجنبي المشكلة الكبرى التي واجهت مصر منذ ذلك الحين فوجه قادتها الوطنيون كل جهودهم لتحرير أرضهم في اطار العلاقة

(١٠٤) المنار ج ٢ م ١٦ ص ١٥١ ، ٦ فبراير ١٩١٣

( ٧ — نكبة الامة العربية )

الخاصة التي تربط وطنهم بالدولة العثمانية قبل هزيمة تركيا في الحرب العالمية الأولى وكان قادة الحركة الوطنية في مصر قبل انفجار الثورة العربية مدركين لطبيعة هذه العلاقة ، لا سيما بعد المذكرة المشتركة التي بعثت بها الحكومتان البريطانية والفرنسية في ٧ يناير ١٨٨٢ الى ممثليهما في القاهرة تحمل تهديد الدولتين بالتدخل المسلح للابقاء على الوضع السياسي في مصر وبالتالي لحماية مصالحهما • وفي ذلك يقول بلنت « ان نتائج المذكرة المشتركة أن بات الناس يتجهون نحو السلطان بصفته منقذا لهم وأصبحوا ينظرون الى عرابي أنه ضد السلطان في مصر والملاذ الذي تتجه اليه أنظارهم لتحقيق آمالهم ، بعد أن يؤسوا كل اليأس من توفيق » (١٠٥) •

ويقول الأستاذ محمد فؤاد شكرى « كان من آثار المذكرة المشتركة التي بعثت بها بريطانيا وفرنسا الى الخديو عن طريق ممثليهما في القاهرة أن اعتبرها الثوار الوطنيون دليلا ماديا على عزمهما التدخل في شئون بلادهم فزادت من تعلقهم بتركيا كمنقذ للبلاد على أساس أن السلطان العثماني هو صاحب السيادة » (١٠٦) •

أما تأييد قادة الحزب الوطنى فى مصر للسلطان العثمانى فى عام ١٨٨٢ مع حرصهم على استقلال بلادهم فقد أثبتته الأستاذ بلنت فى صحيفة التايمز البريطانية بتاريخ أول يناير سنة ١٨٨٢ عندما نشر بياننا تلقاه من بعض الزعماء الوطنيين منهم الشيخ محمد عبده ومحمود سامى البارودى وعرابى • جاء فيه « يرى الحزب الوطنى المحافظة على الروابط الودية الحاصلة بين الحكومة المصرية والباب العالى واتخاذ هذه الروابط ركنا يستند عليه فى عمله ويعترف بالسلطان عبد الحميد كمتبوع وخليفة وامام للمسلمين ولا يريد تبديل هذه الصلات والروابط ما دامت الدولة العلية فى الوجود » (١٠٧) •

(١٠٥) محمود الخفيف ، أحمد عرابى ، دار الهلال ج ١ العدد ٢٤٥ يونيو ١٩٧١ ص ١٧٠  
(١٠٦) محمد فؤاد شكرى ، مصر والسودان أو وحدة وأدى النيل السياسية فى القرن التاسع عشر دار المعارف — القاهرة ١٩٦٣ ص ١٩٩  
(١٠٧) مكى شبكية ، المصدر نفسه ص ٥٨١ — ٥٨٢



ظهر الحزب الوطنى المصرى فى ابريل سنة ١٨٧٩ ثم أعيد تكوينه فيما بعد بقيادة أحمد عرابى (١٠٨) . وبعد فترة اليأس التى تلت القضاء على الثورة العرابية وظهور مصطفى كامل ( ١٨٧٤ — ١٩٠٨ ) نشطت المقاومة ضد الاحتلال البريطانى بتشجيع الخديو عباس الثانى ( ١٨٩٢ ) الذى نال فى سنواته الأولى اعجاب الوطنيين وتقديرهم لنزعته الوطنية وحرصه على ممارسة سلطاته وقيادته لجبهة وطنية قاومت الاحتلال وكان من أعضائها مصطفى كامل وأحمد لطفى السيد ، على أن صلته قد انقطعت بمصطفى كامل بعد الوفاق « البريطانى — الفرنسى » فى سنة ١٩٠٤ (١٠٩) .

كان ظهور مصطفى كامل معلما من معالم الحركة الوطنية فى مصر فقد ظهر كما قال الأستاذ عبد الرحمن الرافعى سنة ١٨٩٠ « على حين فترة من الحركة الوطنية وهجعة من الكفاح القومى وانحلال فى الروح المعنوية فنهض يدعو الى الحرية والاستقلال فى وقت تحالفت فيه عوامل اليأس وتضاعفت أسباب الجمود والضعف . ودعا دعوته فبدأت غريبة عن الأذهان بعيدة عن الأفهام ولكن وطنية مصطفى كامل كانت أقوى من الجيل الذى ظهر فيه وأقوى من العوامل المثبطة فأخذ يثابر على دعوته ويناضل عنها حتى استجابت الأمة لندائه » (١١٠) .

كان مصطفى كامل رمزا لتاريخ مصر القومى من سنة ١٨٩٠ الى سنة ١٩٠٨ وهى فترة حافلة باليقظة الوطنية والجهاد الذى لا يكل من أجل استقلال مصر واسترداد حريتها وكان سلاح مصطفى كامل فى هذه المعركة عزمته القوية وقلمه المطواع وخطابته التى تأخذ بمجامع القلوب ، وكانت استراتيجيته تعبئة الشعور الوطنى فى الداخل واثارة الرأى العام الأوروبى فى الخارج ضد الاحتلال ، واحترام العلاقة

(١٠٨) Mahmud Zayid, The Origins of the Liberal Constitutional Party in Egypt, Political and Social Change in Modern Egypt. Ed. by P. M. Holt, op. cit, p. 334.

(١٠٩) المصدر نفسه ص ٣٣٦

(١١٠) عبد الرحمن الرافعى : مصطفى كامل باعث الحركة الوطنية — مكتبة النهضة المصرية الطبعة الرابعة ، القاهرة ١٩٦٢ ص ١٣

الخاصة التي تربط مصر بالدولة العثمانية ، حامية الوطن الاسلامى من التدخل الأجنبى ، وهذا ما دفع الوطنيين فى مصر الى التطلع الى الدولة العثمانية — خاصة بعد ضعف موقف فرنسا اثر حادثة فاشودة — ( ١٨٩٨ ) لمساعدتهم فى تحقيق الجلاء •

وكان مركز مصر الشرعى حتى سنة ١٩١٤ — وفقا لمعاهدة لندن سنة ١٨٤٠ وفرمان ١٣ فبراير سنة ١٨٤١ — أنها خاضعة للسيادة العثمانية<sup>(١١١)</sup> ، ولكن المشكلة التي شغلت أبناء مصر منذ سنة ١٨٨٢ كانت الاحتلال البريطانى لا السيادة العثمانية بل كان الوطنيون يخشون أن تزول السيادة العثمانية عن مصر والاحتلال البريطانى جائم على أرضها فتتول السيادة بذلك تلقائيا الى دولة الاحتلال<sup>(١١٢)</sup> ، وعلى رأس هؤلاء الوطنيين كان مصطفى كامل الذى أصابه رشاش من التهم التي كالمها الموالون للاحتلال البريطانى<sup>(١١٣)</sup> فوصفوه بأنه داعية الى نقل مصر من حكم الاحتلال الى الحكم العثمانى وقد رد عليهم : « أما دعوتكم أن الوطنيين المصريين يريدون الانتقال من استبداد الى استعباد وأنهم انما يطلبون خروج الانجليز من مصر ليدخلوا تحت رحمة حكم جديد فهم دعوى لا يقبلها ذو لب ولا سلم بها أحد من العقلاء فاننا نطلب استقلال وطننا وحرية ديارنا ونتمسك بهذا المطلب الى آخر لحظة من حياتنا »<sup>(١١٤)</sup> ، وقال مصطفى كامل فى خطبة ألقاها فى ٢١ يناير ١٩٠٧ « يستحيل علينا أن يطلب واحد منا ملكا أجنبيا عنا فنحن لا نود الا أن نكون قوة محالفة للدولة العلية ننصرها وتتنصرنا ونعتز بها وتعتز بنا »<sup>(١١٥)</sup> •

(١١١) المصدر نفسه ص ٣٦٠

(١١٢) الرافعى ، المصدر نفسه ( نقلا عن الوقائع المصرية عدد ١٩

ديسمبر ١٩٠٤ ) ص ٣٦١

(١١٣) كانت مجلة المقطم وصاحبها ، يعقوب صروف وفارس نمر من الموالين للاحتلال وفقا للرواية آرثر جولد شيدت (Arthur Goldschmidt) The Egyptian, Nationalist Party, 1892 - 1919 Ed. By P.M. Holt, op. cit, p. 310.

(١١٤) الرافعى ، المصدر نفسه ص ٣٦٦ ، نقلا عن اللواء عدد ٢

مايو ١٩٠٦

(١١٥) المصدر نفسه ص ٣٦٧

ويروى الأستاذ أسعد داغر فى مذكراته أن مصر كانت ترى فى الأتراك اخوانا منقذين اذ يقول « وما يؤسف له أن العرب التابعين للسلطنة العثمانية لم يكونوا على تفاهم تام مع العرب الذين وقعوا تحت نير الاستعمار الأجنبى فمصر مثلا كانت تعاني من مظالم الانجليز وغلطتهم ما أنساها مظالم الترك ( لعله يعنى الأتراك الاتحاديين ) وجهلهم وفساد حكمهم وجعلها ترى فيهم اخوانا منقذين وخصوصا بعد اعلان الدستور العثمانى فى حين أن العرب الباقين تحت سيطرتهم كانوا ينظرون اليهم نظره انى أعداء مخربين قساة ظالمين . من أجل ذلك كان العرب شرقى قناة السويس مجمعين على كره الترك ومحاوله التخلص منهم بينما اخوانهم فى غربى القناة عقدوا كل آمالهم فى الخلاص من الأجانب على قوة تركيا ودماء رجالها وقادة أمورها » (١١٦) .

ان حديث الأستاذ أسعد داغر — وقد عاصر الحركة العربية فى ذلك الوقت يعزز القول بأن قادة الحركة الوطنية فى مصر فى مطلع القرن العشرين كانوا يرون الأتراك منقذين لا أعداء متربصين وقد تجلّى ذلك بوضوح فى حادثة العقبة أو « طابة » — كما تسمى أحيانا — عندما اعتزمت تركيا فى سنة ١٩٠٦ مد سكة حديدية من معان الى العقبة — وفى ذلك تقوية لتركيا على حدود مصر وتهديد لمركز الاحتلال البريطانى — فاعترضت بريطانيا ولكن القوات التركية احتلت موقع « طابة » فثارت ثائرة بريطانيا وتوعدت وهددت ، فوقفت الأمة المصرية الى جانب تركيا وهاجم مصطفى كامل بريطانيا وأثار الجماهير ضدها وأحست بريطانيا لأول مرة منذ عام ١٨٨٢ بأن مركزها مهدد فى مصر (١١٧) ويرى بعض الكتاب أن موقف مصر فى حادثة العقبة ربما كان له أثر فى الأحكام الصارمة التى أصدرتها محكمة دنشواى ( ٢٧ يونيو ١٩٠٧ ) على واحد وعشرين من المواطنين المصريين ، أعدم منهم أربعة (١١٨) ونفذ

(١١٦) أسعد داغر المصدر نفسه ص ٤٧

Arthur Goldschmidt, op. cit.

(١١٧)

(١١٨) انظر تفاصيل الحادث والمحاكمة فى كتاب الرافعى : مصطفى

كامل ص ١٩٩ — ٢٠٧

الحكم ببشاعة فاقت كل التصور ويذكر الأستاذ جولد شمت أن الغرض من هذا الحكم كان ارهاب الوطنيين من دعاة الوحدة الاسلامية وارغامهم على الاستسلام<sup>(١١٩)</sup> ولكن محاكمة دنشواى أكسبت مصطفى كامل مزيدا من التأييد ، وقد ندد بالحادثة وبالسياسة البريطانية فى مقالة شهيرة بعنوان « الى الأمة الانجليزية والعالم المتمدن » نشرتها جريد الفيجارو الفرنسية فى عددها الصادر بتاريخ ١١ يوليو ١٩٠٦ وكان من نتائج تلك المقالة ، اقالة لورد كرومر من منصبه ، فيما يروى الأستاذ عبد الرحمن الرافعى<sup>(١٢٠)</sup> .

كان اتجاه مصطفى كامل الوطنى والاسلامى امتدادا لدعوة الأفغانى وكان فى جهاده الوطنى يستلهم الاسلام ويدفع عنه افتراءات الأقلام الغربية على نحو ما فعل الأفغانى ومحمد عبده فى «العروة الوثقى» ولهذا الغرض أصدر صحيفة « العالم الاسلامى » فى أول مارس سنة ١٩٠٥ وجاء فى العدد الأول منها أنها صدرت :

« لنشر ما يهم العالم الاسلامى معرفته وترجمة ما تكتبه صحف الغرب ويقول خطبائه عن الاسلام والمسلمين ليعرف كل واحد من أفراد الجامعة الاسلامية ما يقال عن قومه وبنى دينه فينهض القاعد وينشط الكسول ويخجل المتلاهى ويتفق المفترقون وبالجملة تقوم للأمة الاسلامية قائمة » .

« أما الأكاذيب والمفتريات فان نشرها على المسلمين ينبه أفاضل علمائهم والغيورين من كتابهم للرد عليها فى الصحف التى صدرت فيها واقناع العالم المتمدن أننا لسنا كما يظن بعض رجاله ندين بدين يعادى العلم والنور والاصلاح والنظام »<sup>(١٢١)</sup> .

---

Arthur Goldschmidt, op. cit. p. 320. (١١٩)

(١٢٠) الرافعى المصدر نفسه ص ٢٠٨

(١٢١) العالم الاسلامى ، العدد الأول ص ١ ، ٤ محرم سنة ١٣٢٣ هـ / أول مارس ١٩٠٥ م .

وجاء فى رسالة لمصطفى كامل من لندن الى دام جولييت آدم  
المكاتبة الفرنسية الشهيرة - التى مهدت له الاتصال بأشهر صحف فرنسا  
وكتابها - ما يلى :

« لندرة فى ١٨ يوليو ١٩٠٦ »

« قرر مسلمو لندرة ( لندن ) مصريين كانوا أو أتراكا أو هنودا  
أو غيرهم وجميعهم من المثقفين إقامة احتفال عظيم مساء الثلاثاء تحية  
الى واحتفاء بى وسأخطب فيهم عن نهوض الاسلام » (١٢٢) .

ومن جراء نشاطه السياسى الذى غلبت عليه النزعة الوطنية  
الاسلامية تعرض مصطفى كامل لمضايقات شديدة من أنصار الاحتلال  
البريطانى والنفوذ الأجنبى ولنفسح له المجال ليحدثنا بنفسه عن هذه  
المضايقات فى رسالة بعث بها الى مدام جولييت جاء فيها :

« القاهرة فى ١٥ ديسمبر ١٩٠٥ »

سيدتى العزيزة

أسألك العذر اذا لم أكتب اليك فى هذه اليومين فانى كنت فى  
حرب عوان . ذلك أن أعدائى أرادوا بذور بذور البغضاء بينى وبين  
الأوروبيين القاطنين فى مصر بما تقولوه على من أنى هجت فى « اللواء »  
أبناء دينى على المسيحيين وقد ناضلت مثبنا الضد وعلى ذلك عادوا بشقى  
حنين لما قدمته من البراهين على أنى انما أنتقد السياسة الأوروبية  
ولا أخص النزلاء الأوروبيين بالمسئولية عن خطة حكوماتهم ، الحادثة  
التي وقعت بشأنها المناقشة بسيطة جدا ليست الا مشاجرة سببها بعض  
رعاع اليونان مما جسم الأمر » (١٢٣) .

ويلاحظ أن توجيه هذا النوع من التهم الى الوطنيين لم يكن  
غريبا فى ذلك الوقت فقد اتهم أحمد عرابى من قبل على لسان لورد

---

(١٢٢) رسائل « مصرية - فرنسية » - ترجمة على فهمى كامل ،  
القاهرة ١٩٠٩ ص ٢٤٩ .

(١٢٣) المصدر نفسه ص ٢٢٩

جورج لويد بأن ثورته كانت تهدف الى اضطهاد المخالفين له في الدين :

« لو لم نتدخل لقمع الثورة العرابية لتطورت — دون شك — الى اضطهاد لا رحمة فيه لكل المخالفين له في الدين وكان على السلطات البريطانية أن تحذر تعصب السكان واستعدادهم لتصديق كل ما يقال لهم » (١٢٤) .

لقد كان مصطفى كامل يعتبر الحزب الوطنى ، حزب الجلاء ، موجودا منذ بدأت الحركة الوطنية فى مصر ولكنه اتجه قبل وفاته ببضعة أشهر الى تنظيمه ودعا الى أول جمعية عمومية للحزب فى ٢٧ ديسمبر ١٩٠٧ ولكن المنية عاجلته فى ١٠ فبراير ١٩٠٨ فخلفه على رئاسة الحزب محمد فريد ( ١٨٦٧ — ١٩١٩ ) وقد أخذت سلطات الاحتلال بعد تقاعد كرومر ( مايو ١٩٠٧ ) وتعيين جورست « Eldon Gorst » تعمل على إضعاف الحركة الوطنية عن طريق إنشاء أحزاب جديدة كحزب الأمة ( ١٩٠٧ ) الذى كان يضم كبار الأثرياء ويدعو الى التعاون مع سلطات الاحتلال ونبذ أفكار دعاة الوحدة الاسلامية » (١٢٥) .

وعندما هاجمت إيطاليا ليبيا فى سنة ١٩١١ وخلف كتشنر جورست على دار العمادة فى مصر كان الحزب الوطنى يجمع التبرعات لمجهود الدفاع التركى ثم واجه الحزب موجة من الاضطهاد من قبل السلطات البريطانية الحاكمة وانتهى نشاطه بنشوب الحرب العالمية الأولى . وقد رأينا أن التمهيد للاتصال مع شريف مكة بدأ قبل اندلاع الحرب بوقت قصير وهو التمهيد للخديعة الكبرى التى واجهها العرب فى مصر والهلال الخصيب فى وقت واحد .



Lord G. Lloyd, Egypt Since Cromer, Macmillan (١٢٤)  
& Co. London, 1933, Vol. 1 p. 36.

Arthur Goldschmidt, op. cit. pp. 321 - 22. (١٢٥)

## الفصل الثالث

# المخديعة الكبرى

● القضية العربية فى طور جديد — ارهاب جمال باشا  
يعجل بالثورة العربية — بريطانيا صديقة العرب ضد  
الأتراك !! — اعلان الحماية فى مصر — السلطان حسين  
كامل — الملك فيكم آل اسماعيل — الاتصالات الأولى بشريف  
مكة من القاهرة — تطويق الحركة العربية — كتشنر —  
ماكماهون — ستورز — وينجت — هوجارت — كلايتون —  
الوجه الآخر للسياسة البريطانية : بلفور — سايكس —  
صمويل — وايزمان — محور ( براندايس — ويلسون —  
وايزمان ) — مراسلات حسين/ماكماهون — اعادة الخلافة الى  
العرب — ثقة الشريف حسين فى الشرف البريطانى — اتفاق  
سايكس/بيكو — اعلان الثورة العربية فى الحجاز —  
الاهمية الحربية للثورة العربية — وعد بلفور — وعود اخرى —  
تناقض الوعود البريطانية — مؤتمر الصلح فى باريس —  
لجنة كننج كرين — رسائل : ( ويلسون — فرانكفوتر ) —  
فلسطين تتاهب لاحباط المشروع الصهيونى — الصهيونية  
توجه وزارة الخارجية البريطانية — لجنة صهيونية تزور  
فلسطين — الاعداد لتنفيذ المشروع الصهيونى — ثورة ١٩١٩ —  
— زغلول وفيصل امام مؤتمر الصلح فى باريس .

\* \* \*

1. 2. 3. 4. 5. 6. 7. 8. 9. 10. 11. 12. 13. 14. 15. 16. 17. 18. 19. 20. 21. 22. 23. 24. 25. 26. 27. 28. 29. 30. 31. 32. 33. 34. 35. 36. 37. 38. 39. 40. 41. 42. 43. 44. 45. 46. 47. 48. 49. 50. 51. 52. 53. 54. 55. 56. 57. 58. 59. 60. 61. 62. 63. 64. 65. 66. 67. 68. 69. 70. 71. 72. 73. 74. 75. 76. 77. 78. 79. 80. 81. 82. 83. 84. 85. 86. 87. 88. 89. 90. 91. 92. 93. 94. 95. 96. 97. 98. 99. 100.

1.

2.

3.

4.

5.



### الخديعة الكبرى

دخلت القضية العربية فى مصر والهلال الخصيب طوراً جديداً بعد نشوب الحرب العالمية الأولى ( ١٤ يوليو ١٩١٤ ) وإعلان بريطانيا الحرب على ألمانيا ( ٤ أغسطس ١٩١٤ ) وانحياز تركيا الى صف ألمانيا ( ٢٩ أكتوبر ١٩١٤ ) وكان أهم معالم هذا التحول اتجاه الحركة العربية فى سوريا والحجاز نحو الاستقلال السياسى والاستعانة ببريطانيا فى تفجير ثورة مسلحة ضد الأتراك واتخاذ بريطانيا مظهر الدولة المناصرة لحركة التحرير العربية ، بعد أن اتخذت من دخول تركيا الحرب ذريعة لاضفاء نوع من الشرعية على وجودها فى مصر بإعلان الحماية عليها .

فى ١٨ ديسمبر عام ١٩١٤ أعلنت الحماية البريطانية على مصر ثم « ذهب المستر ملن شيتام القائم بأعمال الوكالة البريطانية فى القاهرة والمستر ستورز سكرتيرها الشرقى الى القصر الذى يقيم فيه الأمير حسين كامل باشا وقدم اليه بلاغ الحكومة البريطانية المؤذن بجعل القطر المصرى تحت حمايتها وبجعله سلطاناً من قبلها لمصر »<sup>(١)</sup> وصدر بيان رسمى من السلطات البريطانية فى القاهرة نشر فى الصحف المصرية وورد فيه « ان جميع الحقوق التى كانت لسلطان تركيا والخديو السابق قد سقطت منهما وآلت الى جلالة ملك بريطانيا وان أفضل وسيلة لقيام بريطانيا العظمى بمسئوليتها نحو مصر أن تعلن الحماية البريطانية اعلاناً صريحاً وان حكومة البلاد ( مصر ) تحت هذه الحماية تكون بيد أمير من أمراء العائلة الخديوية طبقاً لنظام وراثى يقرر فيما بعد »<sup>(٢)</sup> كذلك أشار البلاغ الى أن الاتصال بين حكومة مصر وممثلى الدول الأجنبية لا يتم الا عن طريق وكيل الحكومة البريطانية فى القاهرة » .

(١) المنار ، ج ١ م ١٨ — ١٤ فبراير ١٩١٥ ص ٥٣ — ٥٦

(٢) المصدر نفسه .

وفى اليوم التالى تم خلع الخديو عباس الثانى الذى كان فى  
الآستانة فى ذلك الحين •

وفى احتفال كبير أقيم يوم ٢٠ ديسمبر عام ١٩١٤ تم نصب  
الأمير حسين كامل سلطانا لمصر وكان أحمد شوقي أحد الشعراء الذين  
شاركوا السلطان الجديد ابتهاجه فى ذلك اليوم بقصيدته الشهيرة :

الملك فيكم آل اسماعيل      لازال بيتكمو يظل النيل  
لطف القضاء فلم يمل لوليكم      ركن ولم يشف الحسود غليلا  
هذى أصولكم وتلك فروعكم      جاء الصميم من الصميم بديلا  
أنتم بنو المجد المؤئل والندى      لكمو السيادة صبية وكهولا  
أحيا أبوكم شاطئيه وابتنى      مجدا لمصر على الزمان أثيلا  
نشر الحضارة فوق مصر وسوريا      وامتد ظلا للحجاز ظليلا  
وأعاد للعرب الكرام بيانهم      وحمى الى البيت الحرام سبيلا<sup>(٣)</sup>

وقد سبق اعلان الحماية البريطانية على مصر اعلان الأحكام  
العرفية (٢ نوفمبر ١٩١٤) والرقابة على الصحف والاجتماعات العامة<sup>(٤)</sup>  
وخفت صوت الحركة الوطنية خلال الفترة (١٩١٤ - ١٩١٨) ، حتى  
إذا وضعت الحرب أوزارها انفجرت الثورة الوطنية ضد الاحتلال  
بقيادة سعد زغلول فى سنة ١٩١٩ •

ان ما حدث فى مصر بعد اعلان الحرب العالمية الأولى هو ما كان  
يخشاه قادة الحركة الوطنية منذ بدأوا يقاومون الاحتلال فتحقق ما كانوا  
يحذرون وانقطع حتى ذلك الخيط الرفيع الذى كان يربط مصر بدولة  
الخلافة العثمانية لتنفرد بريطانيا بالسيادة على مصر من الناحية الواقعية  
ومن هذا الموقع أخذت بريطانيا تباشر سياستها الجديدة نحو الحركة  
الوطنية فى مصر والهلال الخصيب •

(٣) المصدر نفسه ص ٥٩

(٤) P.M. Holt ( Editor ) Political and Social Change  
In Modern Egypt (MahmudZaid ) op. cit., pp. 334 - 341.

وفى عامى ١٩١٥ و ١٩١٦ أفلحت بريطانيا بمساعى ممثليها فى مصر والسودان فى اكتساب ثقة الحركة العربية بقيادة شريف مكة الحسين بن على ، لكنها لم تكسب تلك الثقة بمعاهدات تلتزم بها بل بوعود يمكن انكارها أو تفسيرها بما يتفق ومصلحتها ، وهذا ما لم يظن اليه قادة الحركة العربية آنذاك لأنهم كانوا يثقون فى شرف بريطانيا من ناحية<sup>(٥)</sup> وكانوا من ناحية أخرى يخوضون معركة ضارية وهم عزل ضد جمال باشا قائد الجيش الرابع التركى فى سوريا ، معركة سقط فيها عشرات الشهداء فى أنهر من الدماء وشردت فيها مئات الأسر رجالا ونساء وأطفالا<sup>(٦)</sup> ومن ثم ساعدت سياسة جمال باشا وفتكه بقيادة الحركة العربية على دفع العرب دفعا الى الوقوع فى فخ الوعود التى كانت بريطانيا تنثرها ذات اليمين وذات الشمال بين عامى ١٩١٤ و ١٩١٨ ولعب عدد من الشخصيات البريطانية الشهيرة دورا هاما فى تطويق الحركة العربية فى الهلال الخصيب وقمعها فى مصر ، منهم لورد كتشنر وريجنالد وينجت وآرثر هنرى ماكماهون ورونالد ستورز ود. ج. هوجارث وجلبرت كلايتون كمالعب آخرون من المسئولين البريطانيين فى الوقت ذاته دورهم على صعيد آخر لتحقيق أحلام الصهيونية فى احتلال فلسطين وهم آرثر بلفور ومارك سايكس وهربرت صمويل فى لندن ، يشد أزهرهم لوى براندائيس وفيلكس فرانكفورت لى البيت الأبيض الأمريكى فى واشنطن .

وقبل أن نطرق موضوع الوعود البريطانية لشريف مكة يجدر بنا أن نلقى نظرة على مسرح الحوادث فى سوريا ( الشام ) حيث بدأ جمال باشا تنفيذ سياسة العنف الرامية الى القضاء على الحركة العربية الوليدة . وجمال باشا أحد الطغاة الثلاثة الذين حكموا الدولة العثمانية فى تلك الفترة بالحديد والنار ، أولهم أنور وثانيهم طلعت وثالثهم جمال .

(٥) عبر الشريف حسين عن ثقته فى شرف الانجليز مع استثناء لويدي جورج فى لقائه مع جورج أنطونيوس فى ربيع سنة ١٩٣١ ، انظر يقطعة العرب ص ٢٧٥ .

(٦) أمين سعيد ، الثورة العربية الكبرى ج ١ ص ٧٣

دخل أحمد جمال باشا دمشق في الخامس من شهر ديسمبر عام ١٩١٤<sup>(٧)</sup> ليتسلم أعماله قائدا للجيش الرابع التركي وأخذ يقرب إليه قادة الحركة العربية الاصلاحية من أمثال عبد الكريم الخليل معتمد الشبيبة العربية في الآستانة والدكتور عبد الرحمن شهبندر الذي اتخذه جمال طبيبا خاصا ومحمد كرد علي وعبد الغنى العريسي • ويبدو أن سياسة التودد هذه كانت ذريعة للفتك بتلك الصفوة من قادة العرب الذين أخلصوا للدولة العثمانية ولم يتخلوا عنها في أحلك الساعات إذ لم يكن يخطر على ذهن أحد أن عبد الكريم الخليل الذي قدم من الآستانة الى سوريا غداة اعلان التعبئة العامة في أغسطس عام ١٩١٤ ليجمع الصف العربي على مؤازرة الدولة العثمانية<sup>(٨)</sup> سيكون جزاؤه الاعدام بأمر جمال باشا في ٢١ أغسطس عام ١٩١٥ ولكن هذا ما حدث وكان اعتقال عبد الكريم الخليل في أواخر شهر يونيو عام ١٩١٥ ايذانا ببداية حملة الابادة التي شنّها جمال باشا لتصفية الحركة العربية وكان حصادها اعدام الرعيل الأول في ٢١ أغسطس عام ١٩١٥ ومن بينهم عبد الكريم الخليل وصالح حيدر ومسلم عابدين ومحمد الحمصاني ومحمود الحمصاني وسليم عبد الهادي وغيرهم وفي ٦ مايو سنة ١٩١٦ فاضت أرواح الفوج الثاني من قادة العرب على أعواد المشانق التي نصبها جمال باشا في بيروت ودمشق ومن هؤلاء - على سبيل المثال لا الحصر - عبد الحميد الزهراوى وشكرى العسلى وعبد الوهاب الانكليزي ورشدي الشمعة ورفيق رزق سلوم وعبد الغنى العريسي والشيخ أحمد طيارة ، وحكم بالاعدام غيايبا على السيد محمد رشيد رضا ورفيق العظم وفارس نمر وجميع زعماء حزب اللامركزية المقيمين في مصر<sup>(٩)</sup> وقد روى الأستاذ أمين سعيد صورا من بطولة هؤلاء الشهداء وهم يستقبلون الموت على أيدي جلادى جمال باشا<sup>(١٠)</sup> •

(٧) المصدر نفسه ص ٥٨

(٨) المصدر نفسه ص ٥٧ - ٥٨

(٩) المصدر نفسه ص ٦٠ - ٦٢ •

(١٠) المصدر نفسه ص ٨٦

وجاء فى البيان الذى أصدره جمال باشا دفاعا عن فعلته اتهام لعبد الكريم الخليل ورضا الصلح بأنهما كانا يدبران عصيانا فى سوريا وفلسطين واتهم الكترة من الذين نفذ فيهم حكم الاعدام بالانتماء الى حزب اللامركزية الادارية العثمانى فى القاهرة بالاضافة الى عدد قليل لا يجاوز بضعة أفراد اتهموا بأنهم كانوا يعملون تحت حماية فرنسا وارشادها ولمصلحتها من أمثال نخلة مطران ويوسف الهانى وهذه فئة لا صلة لها بقيادة الحركة العربية الذين كانوا يؤيدون الدولة العثمانية خوفا من وقوع البلاد العربية فريسة للدول الأوروبية<sup>(١١)</sup> ولكن جمال باشا وصفهم جميعا بالخيانة والعصيان دون تمييز بين هؤلاء وأولئك وفى هذا يقول الأستاذ أمين سعيد :

« وثمة جريمة أخرى ارتكبها جمال باشا فقد وصم جميع الذين شنقهم ونفاهم أو حكم عليهم بالاعدام غيابيا بتهمة الخيانة للدولة والتآمر عليها ولئن صحت هذه التهمة بالنسبة لنخلة المطران ويوسف الهانى وبترو باولى وقد كانوا يمهدون لاستيلاء فرنسا على سورية فانها لا تصح بالنسبة للشهداء الآخرين الذين لم يقترفوا ذنبا ولم يرتكبوا خيانة يستحقون أن يحاكموا عليها فضلا عن اعدامهم لولا الرغبة فى التخلص منهم والقضاء على الحركة العربية فى أشخاصهم »<sup>(١٢)</sup> .

ويلاحظ أن عددا لا يستهان به من قادة الحركة العربية الذين أعدمهم جمال باشا أو حكم عليهم غيابيا كانوا من حملة الأعلام كعبد الغنى العريسي صاحب جريدة « المفيد » البيروتية والشيخ أحمد طيارة صاحب جريدة « الاتحاد العثمانى » بيروت ، وشكرى العسلى صاحب جريدة « القبس » الدمشقية وعبد الحميد الزهراوى الحموى صاحب جريدة « الحضارة » فى الآستانة والسيد محمد رشيد رضا صاحب « المنار » فى مصر والدكتور فارس نمر صاحب « المقطم » وداوود بركات محرر « الأهرام » .

(١١) انظر هامش (٥٩) من الفصل الثانى .

(١٢) أمين سعيد ، المصدر نفسه ص ٩٨

وقد روى جورج أنطونيوس أن الأمير فيصل بن الشريف حسين كان في دمشق عندما بلغته أنباء اعدام الرعيل الثاني من الشهداء وكان مقيما مع آل البكرى في ضاحية قرب دمشق « فقفز واقفا وانتزع الكوفية من على رأسه وقذف بها على الأرض وداسها بعنف وصاح : طاب الموت يا عرب » (١٣) .

أما في الحجاز فقد كانت المؤامرات التي يدبرها وهيب باشا القائد التركي للاطاحة بالشريف حسين والقضاء على سلطانه عاملا آخر في تهيئة المناخ لانفجار الثورة .

في هذه الظروف التي سادها الألم والترقب والتوجس والحذر ، بدأت مراسلات «حسين - ماكماهون» التي انتهت بانحياز الحركة العربية الى جانب الحلفاء وعلان الثورة على الأتراك .

ليس هذا مجال الحديث عن تلك المراسلات التي أثارت كثيرا من الخواطر والتعليق والنقد والتي ظلت موضع عناية الباحثين وقتا طويلا ولكن سنشير إليها هنا بالقدر الذي يساعد على ايضاح طبيعة الخداع الذي مارسه المسئولون البريطانيون في بناء علاقاتهم السياسية مع الأمة العربية بعد دخول تركيا الحرب العالمية الأولى .

ويجدر بنا أن نذكر هنا أن قادة الحركة العربية في دمشق كانوا على استعداد لاضرام الثورة في سوريا (١٤) وبعد وصول فيصل عقب زيارته الى الآستانة في عام ١٩١٥ واتصاله برجال الجمعيات العربية السرية في دمشق في سراى آل البكرى تم تنسيق العمل بين قادة الحركة العربية في كل من الحجاز وسوريا وكان هؤلاء القادة حريصين كل الحرص ألا يعلنوا ثورتهم الا بعد الحصول على ضمانات كافية بتحقيق استقلال البلاد العربية وقد أعد قادة حزبي الفتاة والعهد بيانا بالشروط التي رأوها ضرورية لقيام الثورة العربية (١٥) ولكنهم لم يظفروا بشيء

(١٣) جورج أنطونيوس : المصدر نفسه ص ٢٨٥ .

(١٤) أمين سعيد ، المصدر نفسه ص ١٠٩ .

(١٥) George E. Kirk, A Short History of the Middle East, University Paperbacks, Methuen, 1963, pp. 125.

وكان ستورز وكلايتون على اتصال بعزيز على المصرى وغيره لاقناعهم بفكرة الثورة العربية دون أن يقدموا الضمانات المطلوبة .  
وقد مهد لمراسلات « حسين - ماركهاون » لورد كتشنر ، معتمد بريطانيا فى مصر قبيل الحرب ، فى اتصالات أجراها مع الأمير عبد الله ابن الحسين فى سنة ١٩١٣ كما قام الأمير عند قدومه القاهرة فى يوليو عام ١٩١٤ بالاجتماع بكتشنر وحضر الاجتماعين مستر ستورز وفى الاجتماع الثانى جرى حديث عن العلاقات العربية البريطانية أوضح فيه كتشنر أن سياسة بريطانيا نحو العرب تتحدد فى إطار العلاقات الودية التى تربط بريطانيا بالدولة العثمانية<sup>(١٦)</sup>، ولكن عندما لاحت نذر الحرب ووقفت تركيا مع ألمانيا بعث كتشنر من لندن الى رونالد ستورز برقية فى ٣١ أكتوبر عام ١٩١٤ ذكر فيها أن ألمانيا أغرت تركيا بالوقوف الى جانبها وشرت تأييدها بدراهم معدودات ، رغم استعداد بريطانيا وفرنسا وروسيا لضمان سلامة الامبراطورية العثمانية ، اذا لزمتم تركيا الحياد فى الحرب القادمة وأن بريطانيا تضمن للعرب عدم التدخل فى الجزيرة العربية وتقديم لهم كل عون ضد العدوان الأجنبى اذا ساعد العرب بريطانيا فى الحرب<sup>(١٧)</sup> . وكانت هذه البرقية الثانية من كتشنر الى ستورز فقد سبقتها برقيته الأولى فى ٢٤ سبتمبر ١٩١٤ ، ومن ثم بعث ستورز رسولا اسمه على البزاز يحمل توجيهات كتشنر الى الشريف حسين ، الذى لم يعد بريطانيا شيئا ولم يقطع علاقاته بتركيا<sup>(١٨)</sup> . وتسلم الرسالة الأمير عبد الله وكان نصها :  
« الى الشريف عبد الله بك . . »

بما أن الدولة العثمانية قد ضربت بصادقتها التقليدية مع بريطانيا العظمى عرض الحائط وانضمت الى صفوف أعداء بريطانيا الألمان فان بريطانيا ترى نفسها فى حل من تلك التقاليد التى كانت تربطها بتركيا من القديم فهل أنتم وسمو والدكم المعظم على رأيكم الأول فى

(١٦) أمين سعيد ، المصدر نفسه ص ١٢٦

(١٧) Storrs, The Memoirs , p. 166.

(١٨) Storrs, Op. cit., pp. 163, 165, 166.

( ٨ - نكبة الأمة العربية )

إلقيام بما يؤول الى اسنقلال العرب اسنقلالاً تاماً ؟ فان كننم وسموه على ذلك الرأى الى الآن فان برىطانيا العظمى على اسنعداد لامداد الحركة العربية بكل ما هى فى حاجة اليه « (١٩) » .

بعء هذا الاتصال التمهيدى بفترة تقرب من سنة أشهر بدأت مراسلات « حسين - ماكماهون » عندما بعث الشريف حسين الى هنرى ماكماهون معتمد برىطانيا فى القاهرة رسالة مؤرخة فى ١٤ يوليو سنة ١٩١٥ ومعه رسالة شخصية من الأمير عبء الله الى سئورز تطلب بئأييد برىطانيا لاسنقلال العرب وئقترح حدوداً معينة للدولة العربية المسئقلة ومن ناحية أخرى أذنئ الحكومة البرىطانية لحاكم عام السودان فى ابريل عام ١٩١٥ أن يعلن أن برىطانيا سوف ئشئرط فى معاهدة السلام بقاء الجزيرة العربية والأماكن الاسلامية المقدسة فى يد دولة مسئقلة ذات سيادة (٢٠) .

لقد كانت الرسالة الأولى المؤرخة ٢٨ رمضان سنة ١٣٣٣ هـ ( ١٤ يوليو سنة ١٩١٥ م ) من الشريف حسين الى هنرى ماكماهون واضحة فى ئحديد الأهداف العربية وحرص العرب على الفوز بحريئهم المطلقـة ومطالبة برىطانيا أن ئعئرّف « باسئقلال البلاد العربية من مرسين - أدنة حتى الخليج الفارسى شماليا ، ومن بلاد فارس حتى خليج البصرة شرقا ومن المحيط الهئدى للجزيرة جنوبا - يسئئنى من ذلك عبء الله الذى ئبقى كما هى - ومن البحر الأحمر والبحر المئوسط حتى سئناء غربا على أن ئوافق انجئئرا أيضاً على اعلان خليفة عربى على المسلمين » (٢١) .

وردا على هذه الرسالة اسئهل ماكماهون رسالئـة الى الشريف

(١٩) مذكرائ الملك عبء الله ، الطبعة الثانية ، عمان ، الأردن ،

١٩٤٧ ص ١٣٨

Storrs, op. cit., p. 166.

(٢٠)

(٢١) جامعة الدول العربية : الوئائى الرئيسية فى قضئة فلسطين القاهرة ، ١٩٥٧ - المئموعة الأولى ( ١٩١٥ - ١٩٤٦ ) وئيقة رقم (١) من الشريف حسين الى السير هنرى ماكماهون ص ٧ - ٨



حسين المؤرخة ١٩ شوال ١٣٣٣ هـ ( ٣٠ أغسطس ١٩١٥ م )  
بهذه المقدمة :

« الى السيد الحسيب النسيب سلالة الأشراف وتاج الفخار وفرع  
الشجرة الحمديّة والدوحة القرشيّة الأحمديّة صاحب المقام الرفيع  
والمكانة السامية السيد ابن السيد والأشرف ابن الشريف السيد الجليل  
والمبجل دولتو الشريف حسين سيد الجميع أمير مكة المكرمة قبلة العالمين  
ومحط رحال المؤمنين الطائعين عمت بركته الناس أجمعين » ثم خلس  
الى لب الموضوع فأوضح لشريف مكة أن بريطانيا ترحب باسترداد  
الخلافة الى يد عربى صميم « من فروع تلك الدوحة النبوية المباركة »  
ولكنه اعترض من أول وهلة على الحدود التى اقترحها الشريف حسين  
فى رسالته المؤرخة ١٤ يوليو سنة ١٩١٥ للدولة العربية المستقلة (٢٢)  
وكانت تلك الحدود طبقا لما جاء من الهيئة المركزية لحزب العربية  
الفتاة (٢٣) فى سوريا . وقد كان ماكماهون حذرا فى تقديم اعتراضه  
لأنه اكتفى فى تلك المرحلة بتوجيه نظر الشريف حسين الى أن مسألة  
الحدود سابقة لأوانها « وأما من خصوص مسألة الحدود والتخوم  
فالمفاوضة فيها تظهر أنها سابقة لأوانها وتصرف الأوقات سدى فى  
مثل هذه التفاصيل فى حالة أن الحرب دائرة رحاها ولأن الأتراك  
أيضا لا يزالون محتلين لأغلب تلك الجهات احتلالا فعليا » (٢٤) .  
لم يقبل الشريف حسين تحفظ ماكماهون حول مسألة الحدود ، بل  
أكد له فى رسالته الثانية ( ٢٩ شوال ١٣٣٣ هـ - ٩ سبتمبر ١٩١٥ م ) أن  
الحدود المقترحة هى مطالب شعب أجمع على أن حياته فى تلك الحدود (٢٥)  
لكن ماكماهون أصر على تحفظات حكومته وذكر للشريف حسين أن مرسين  
واسكندرونة وبعض الأقسام السورية الواقعة غربى دمشق وحمص  
وحماة وحلب لا يمكن أن يقال عنها انها عربية محضة وأنه يجب أن  
تستثنى من الحدود المقترحة وأن بريطانيا مستعدة - على أساس هذه

(٢٢) المصدر نفسه ، الوثيقة الثانية ص ٩

(٢٣) مذكرات الملك عبد الله ص ١٢٩

(٢٤) جامعة الدول العربية : المصدر نفسه ص ٩

(٢٥) أمين سعيد : المصدر نفسه ص ١٢٣ - ١٢٤

التعديلات — أن تعترف باستقلال العرب وتقدم لهم المساعدة في حدود اقتراحات شريف مكة<sup>(٢٦)</sup> وعلى أن يكون ذلك في الأراضي التي تستطيع انجلترا العمل فيها بحرية دون أن توقع ضررا بحليفتها فرنسا !! اننا نلمح في تحفظات ماكماهون ما ينبىء عن أمر خطير تضمه بريطانيا ولا تود أن تبوح به في ذلك الوقت وقد وضح فيما بعد أن هذا الأمر هو تقسيم الأراضي العربية بين بريطانيا وحليفتها فرنسا وفقا لاتفاق «سايكس — بيكو» ووعد بلفور باتخاذ فلسطين وطنا قوميا لليهود فكان — كما وصف بحق — وعد من لا يملك لمن لا يستحق ، ولكن هذه الحقائق المذهلة ظلت حتى سنة ١٩١٧ سرا دفينا عن شريف مكة الذي قبل أخيرا تعديلات ماكماهون واعترف بأنه تساهل في قبولها لتجنب كل ما من شأنه أن يسيء الى تحالف انجلترا وفرنسا والاتفاق المعقود بينهما<sup>(٢٧)</sup> . وفي آخر رسالة من ماكماهون الى الشريف حسين ، مؤرخة في ١٠ مارس سنة ١٩١٦ أبلغ المندوب السامي البريطاني شريف مكة «أن حكومة جلالة الملك صادقت على جميع مطالبكم» . (على أساس التعديل)<sup>(٢٨)</sup> وفي ١٠ يونيو سنة ١٩١٦ أعلن الشريف حسين الثورة على الدولة العثمانية وأطلق بنفسه الرصاصة الأولى على قلعة الأتراك في مكة ايذانا باعلان الثورة<sup>(٢٩)</sup> .

لم يكن الخلاف بين العرب وبريطانيا على حدود الدولة العربية المستقلة يدور حول مسألة شكلية وما كان خلافا على التفاصيل كما زعم ماكماهون في احدى رسائله ولكنه اختلاف في المبدأ والأهداف : العرب يتحدثون عن حرية مطلقة ودولة عربية شاملة تستظل بخلافة عربية ، وبريطانيا تظهر عطفها على العرب وتخفي نواياها فيما تعترف القيام به

- (٢٦) من ماكماهون الى الشريف : القاهرة ٢٤ اكتوبر ١٩١٥ م / ١٥ ذى الحجة سنة ١٣٣٣ هـ ، أمين سعيد : المصدر نفسه ص ١٣٦ .  
(٢٧) من الشريف الى ماكماهون : مكة : ٢٥ صفر ١٣٣٤ هـ / اول يناير ١٩١٦ ، أمين سعيد : المصدر نفسه ص ١٤١ — ١٤٢  
(٢٨) من ماكماهون الى الشريف ، ١٠ مارس ١٩١٦ ، أمين سعيد : المصدر نفسه ص ١٤٣  
(٢٩) محمد أنيس : الدولة العثمانية والشرق العربي ص ٢٢٩

رعاية لمصالحها في الشرق الأوسط والهند وحرصا على مصلحة حليفها فرنسا ، وعندما تتحدث عن عونها للعرب فان حديثها يتسم بالغموض .

كان العرب يتطلعون الى التحرر و احياء الخلافة في دارهم بينما كانت بريطانيا تخطط لاحتواء الحركة العربية الوليدة وتحديد مسارها . كانت مهمة ماكماهون في مصر غداة اندلاع الحرب العالمية الأولى العمل على عزل العرب عن تركيا<sup>(٣٠)</sup> التي استنفرت العالم الاسلامي للجهاد ضد الحلفاء ووضعت بريطانيا في قفص الاتهام بأنها تعادي المسلمين وتحتل ديارهم . ومن السفرية أن تكون الحكومة التي حرضت العالم الاسلامي على الجهاد هي حكومة الأتراك الاتحاديين ، حكومة أنور باشا ، ولكن لم يكن في وسع بريطانيا أن تتجاهل هذه الدعوة الخطيرة ، لأن مركزها في مصر والهند كان مبعثا للحرص . انها تخشى غلبة ستين ملوينا من المسلمين في الهند<sup>(٣١)</sup> وتحذر عطف دعاة الوحدة الاسلامية في مصر وتأبيدهم لدولة الخلافة العثمانية ، وفي رأى ستورز أن مخاوف بريطانيا من الوحدة الاسلامية كان لها أساس من الحقيقة حتى اندلاع الحرب<sup>(٣٢)</sup> . هذا وكانت المقترحات لتشجيع الشريف حسين على الانفصال عن الدولة العثمانية تغمر وزارة الخارجية البريطانية عن طريق اللورد كرومر من ريجنالد وينجت في الخرطوم<sup>(٣٣)</sup> وكلايتون في القاهرة وكان وزير خارجية بريطانيا لورد كيرزون في ربيع سنة ١٩١٥ يبدى ارتياحه في جدوى تلك المقترحات ولكن ممثلي الحكومة البريطانية كانوا يعدون أنفسهم لمواجهة شعور عدائي واسع النطاق في العالم الاسلامي نتيجة اعلان الجهاد من جانب تركيا وما قد ينجم عن ذلك من

(٣٠) Elie Kedourie, The Chatham House Version and other Middle Eastern Studies, London, 1970, p. 14.

Storrs, op. cit. p. 92. (٣١)

Storrs op. cit. p. 92. (٣٢)

Kedourie, op. cit. p. 14, Quoting Wingate Papers, (٣٣) File 141/4 .

نتائج فى مجال الأمن الداخلى والعمليات الحربية<sup>(٣٤)</sup> ومن ثم كانوا يسعون الى احداث انقسام فى الصف الاسلامى ، وتشجيع شريف مكة على الثورة ضد دولة الخلافة كان خطوة هامة فى تحقيق ذلك الانقسام وكان كلايتون ووينجت يؤكدان للدوائر البريطانية المعارضة فى لندن والمهند أن الحسين بن على يتمتع بنصيب وافر من مقومات الخلافة وأنه أصلح من يقوم بهذه المهمة ، بل كان وينجت يرى أن مشروع الوحدة العربية فى ذلك الوقت يصلح ترياقا مضادا لدعوة الوحدة الاسلامية التى كانت تقودها الامبراطورية العثمانية<sup>(٣٥)</sup> وأن الحركة العربية من شأنها أن تحفظ توازن القوى فى قلب العالم الاسلامى وكان وينجت يتصور أنه فى الامكان اقامة اتحاد للدول العربية شبه المستقلة تحت رقابة أوروبية وحماية بريطانية •

وكان المسئولون البريطانيون فى الهند يخشون عاقبة احياء الخلافة فى العالم العربى أو تكوين اتحاد عربى ، ولكن وينجت يؤيده كلايتون — كان يرد على أولئك المتشككين بأنه لا ضرر من قبول مقترحات الشريف حسين ، فاذا وئدت الدولة العربية فى مهدها فان كافة الوعود البريطانية تسقط تلقائيا ، واذا تحققت الفكرة فان لديهم من الضمانات الكافية ما يجعلهم قادرين على كبح جماح الدولة الجديدة وتفتيتها حتى لا تتحول الى مصدر للخطر الذى تخشاه حكومة الهند<sup>(٣٦)</sup> •

ومن الوجهة الاستراتيجية ، كان ممثلو بريطانيا فى الشرق الأوسط ( القاهرة ) يدركون أن الثغرة التى يستطيع الأتراك أن ينفذوا منها لتهديد مصر — وقطع شريان مواصلات الامبراطورية البريطانية — هي صحراء سيناء ، لأن حدود مصر الشمالية من ناحية البحر المتوسط كانت آمنة لتفوق بريطانيا فى السيطرة على البحار ، وكانوا يدركون أيضا أن الوسيلة الوحيدة للعبور تجاه مصر من الحدود الشرقية هي سفينة

Kedourie, op. cit. p. 16.

(٣٤)

Kedourie, op. cit. p. 17, Quoting Wingate Papers, File 139/6 .

Kedourie, op. cit. pp. 18 , 19.

(٣٦)

الصحراء (الجمال) ، وأن عرب الحجاز هم أقدر الناس على تعبئة قوافل الصحراء وأساطيلها<sup>(٣٧)</sup> ، ومن هنا كان اهتمامهم بحياد الجزيرة العربية في الحرب ، إذا تعذر ادخالها في تحالف مع بريطانيا ضد تركيا .

ويبدو أن الدوائر السياسية في لندن اقتنعت بوجهة نظر ممثلها في القاهرة لتأييد الحركة العربية باعتبارها حركة قومية لا اسلامية على أساس أن الحركة القومية أقل خطرا من الحركة الاسلامية<sup>(٣٨)</sup>. ومع أن تأييد بريطانيا للحركة العربية كان محدودا فانها تدافع عن موقفها ازاء الشريف حسين وتبرئ نفسها من تهمة الحنث بعهودها ، وفي هذا الصدد يؤكد وينجبت أنه لم يكن مؤمنا بقيام مملكة عربية موحدة بقيادة الشريف حسين وأن أية فكرة من هذا النوع كانت بعيدة كل البعد عن تفكيره ، ويقول انه حتى اذا تمت الموافقة على كافة الادعاءات الفرنسية في سوريا فانه لا يمكن اتهام بريطانيا بأنها نقضت عهدها مع الشريف حسين بدرجة خطيرة<sup>(٣٩)</sup> ، ويقول كلايتون انهم كانوا حريصين ألا يلزموا أنفسهم بشيء فيما يتعلق بمطالب الشريف حسين . ويدلى د.ج. هوجارث مدير المكتب العربي التابع للجيش البريطاني في القاهرة بعد ذلك بفترة ، أنه لم يكن هناك سوى عدد قليل يعتقد أن الشريف كان المتحدث باسم أمه عربية متحدة توشك أن تنهض من أنقاض الحرب وأنه لم يكن لديهم اعتقاد بأن هذه الدولة ستقوم سواء أكانت برئاسة الشريف أم بزعامة غيره ومن ثم فإنهم لم يتقدموا بأية ضمانات واضحة ولا بوعود للشريف أو لعربي غيره وأن الوعدة الوحيد الذي قطعوه هو تحرير جزيرة العرب من الأتراك<sup>(٤٠)</sup> .

أما ستورز فانه يعلن «أن الشريف حسين وأهل الحجاز كان يكفيهم خروج الأتراك من بلادهم وحصولهم على ضمانات ضد العدوان الخارجي على أماكنهم المقدسة ( مكة والمدينة ) مع استقلال موطنهم الأصلي

Storrs, op. cit. p. 162.

(٣٧)

Kedourie, op. cit. p. 20.

(٣٨)

Kedourie, op. cit., p. 22.

(٣٩)

Kedourie, op. cit. p. 22.

(٤٠)

وهو الحجاز فاذا شاءوا أن يسموا هذه الرقعة وهذه الدولة «خلافة» فهذا شأنهم وحدهم ، ولكن الشريف كان على صلة — عن طريق ابنه فيصل — بالثوار في سوريا وكان يتطلع الى رئاسة مملكة عربية شاملة وهو يعلم أنه لا حق له في هذا<sup>(٤١)</sup> .

من هذا المنطق كانت بريطانيا لا ترى في مراسلات « حسين — ماکماهون » ما يحول بينها وبين اتفاق مع فرنسا على تقسيم الشرق العربي بينهما الى مناطق للنفوذ المباشر ومناطق للتسلط السياسى والاقتصادى ، بل لم تكن ترى ما يمنعها من النظر فى أمر اقتطاع فلسطين من الوطن العربى لتصبح فى المستقبل القريب وطنا قوميا لليهود ، ولكنها لم تجرؤ على اعلان موقفها هذا لقادة الأمة العربية آنذاك بل وجدت فى تلهى العرب بوعود ماکماهون شاغلا لهم طوال فترة الحرب ، ومن ثم بدأت خلال شهرى ابريل ومايو سنة ١٩١٦ المحادثات السرية بين بريطانيا وفرنسا وروسيا وكانت نتيجتها اتفاق «سايكس — بيكو»<sup>(٤٢)</sup> الذى قام على مبدأ تصفية الامبراطورية العثمانية وقسمت بمقتضاه الأقطار العربية فى الهلال الخصيب بين بريطانيا وفرنسا فكان نصيب فرنسا منطقة رمز اليها باللون الأزرق شملت الشريط الساحلى لسوريا بما فى ذلك لبنان حيث خولت فرنسا سلطة انشاء ادارة مباشرة أو غير مباشرة ومنحت منطقة نفوذ داخل سوريا ( حرف أ ) شملت دمشق وحمص وحماة وحلب . أما بريطانيا فكان نصيبها منطقة ما بين النهرين فى العراق وحيفا وعكا على البحر المتوسط وهى ما رمز اليها باللون الأحمر ، ولبريطانيا أن تقيم فيها ادارة مباشرة أو غير مباشرة بالإضافة الى منطقة نفوذ ( حرف ب ) داخل العراق .

Storrs, op. cit., p. 167.

(٤١)

(٤٢) انظر النص الكامل للاتفاق فى :

E. L. Woodward and R. Butler  
Documents on British Foreign Policy, First Series, 1919 —  
1939, H. M. S.O., London, 1952 Volume 4, pp. 246 - 251.

وانظر أيضا : جامعة الدول العربية الوثائق الرئيسية فى قضية فلسطين  
وثيقة رقم (٢٢) ص ٨٤ — ٨٦ .

ومما نص عليه الاتفاق تأسيس دولة عربية مستقلة أو حلف دول عربية تخضع لرئيس عربي في منطقتي (أ) على أن يكون لفرنسا نفوذ مماثل في منطقة (ب) وإنشاء دولة في المنطقة ذات اللون الأسمر (فلسطين) يعين شكلها بعد استشارة روسيا وبقية الحلفاء وشريف مكة .

وصف أنتوني ناتنج<sup>(٤٣)</sup> اتفاق « سايكس — بيكو » بأنه كان وثيقة مخجلة « لأن بريطانيا ما كادت تنهى محادثاتها مع شريف مكة حتى شرعت في محادثات سرية مع فرنسا تستهدف تحقيق مطامع الدولتين في الهلال الخصيب باقتسام سوريا والعراق ، ولما تمضى ستة أسابيع على آخر رسالة من ممثل بريطانيا في مصر هنري ماكماهون إلى الشريف حسين ويستطرد ناتنج قائلا « ان بريطانيا أخفت أنباء الاتفاق عن الشريف حسين مع أن سايكس وبيكو زاراه في جدة بعد سنة من تاريخ توقيع الاتفاق<sup>(٤٤)</sup> وبعد أن كشف البلاشفة في روسيا أمر الاتفاق ( الذي أذاعه جمال باشا في بيروت في ديسمبر ١٩١٧ ) واستوضح شريف مكة بريطانيا حقيقة الأمر ، أصدر آرثر بلفور وزير الخارجية البريطاني توجيهاته إلى وينجت في القاهرة أن ينقل إلى الشريف حسين أن الأتراك هم الذين شوخوا الغرض الحقيقي للاتفاق وأغفلوا النصوص الخاصة باستطلاع رأي الشعوب التي يعينها الأمر ورعاية مصالحها » ويعلق ناتنج على هذا التعبير بأنه كان محض اختلاق « وأن بلفور كذب على الشريف حسين الذي أحسن الظن بوزير خارجية بريطانيا وصدقه فيما قال دون أن يطلب الاطلاع على نصوص الاتفاق ولو أنه فعل ذلك لتبين له أن الاتفاق لم ترد فيه كلمة واحدة عن موافقة الشعوب التي يعينها الأمر أو استطلاع رأيها »<sup>(٤٥)</sup> .

(٤٣) Anthony Nutting أحد رجال السياسة البريطانية ومن المهتمين بالدراسات والشئون العربية . كان وزير دولة للشئون الخارجية في حكومة أنتوني إيدن سنة ١٩٥٦ وقد استقال منها على أثر غزو بريطانيا لمنطقة قناة السويس بالتضامن مع فرنسا وإسرائيل في أوائل نوفمبر ١٩٥٦ ، بعد تأميم الشركة العالمية لقناة السويس في ٢٦ يوليو سنة ١٩٥٦ .

(٤٤) Anthony Nutting, The Arabs , A Mentor Book, New York 1964 , p. 290.

Nutting , op. cit, p. 291 .

(٤٥)

وكان من المسائل التي ذكرها وينجت دفاعا عن موقف بريطانيا وحفاظا على ماء وجهها أن الوثائق التي نشرت لم تكن اتفاقا مبرما ، ثم ذكر أن الوضع السياسي تغير تغيرا تاما بعد انفجار الثورة العربية والنجاح الذي حققته وبعد انسحاب روسيا من الحرب ، وقد فسر بيان وينجت بأن بريطانيا أصبحت على استعداد لعدم اتخاذ اتفاق « سايكس - بيكو » أساسا للتسوية الإقليمية بعد نهاية الحرب<sup>(٤٦)</sup> غير أن الدكتور محمد أنيس لا يرى خلافا أساسيا بين اتفاق بريطانيا مع حلفائها « سايكس - بيكو » وبين اتفاق « حسين - ماکماهون » وهو لا يوافق بعض المؤرخين الذين يتهمون السياسة البريطانية بأنها كانت تخدع العرب من البداية بأن تعقد مع الشريف حسين اتفاقا تعلم مقدما أنها لن تنفذه بسبب اتفاقها مع حلفائها فيقول « والذي يجب أن نؤكد هنا أن السياسة البريطانية كانت ترحب بالفعل بخلق دولة عربية كبرى في المنطقة شريطة أن تخضع للنفوذ البريطاني وهو أمر ارتضاه زعماء العرب في ذلك الوقت »<sup>(٤٧)</sup> وقد يكون وصف الدكتور أنيس صحيحا لسياسة بريطانيا فيما يتعلق بالدولة العربية وفقا لما جاء في رسائل ماکماهون ، ولكن تأكيد أن زعماء العرب وافقوا منذ البداية على تلك السياسة لا يخلو من افراط في التعميم وتجاهل لبعض الحقائق كما أنه ينطوي على نوع من الظلم لقادة الأمة العربية في ذلك الوقت . اننا لا نجد في رسائل الشريف حسين الى ماکماهون ما يؤيد رأى الدكتور أنيس في هذا الصدد وليس هناك قط ما يثبت أن زعماء العرب وافقوا من البداية على خلق دولة عربية خاضعة للنفوذ البريطاني دع عنك خضوعها للاحتلال الفرنسي واقتطاع فلسطين من الوطن العربي بل ان التصريحات التي أدلى بها ممثلو بريطانيا في الشرق الأوسط والذين أغروا الشريف حسين بالثورة - وينجت وكلايتون وستورز - لتدل دلالة واضحة على أنهم رفعوا شعار الدولة العربية المستقلة وهم لا يؤمنون بها في قرارة أنفسهم ولا يجدون الشجاعة الكافية للجهر بما يضمرون أمام قادة

(٤٦) P. M. Holt, Egypt and the Fertile Crescent, Longmans, London, 1966, p. 275.

(٤٧) محمد أنيس ، المصدر نفسه ص ٢٧٥



الأمة العربية ، بينما كانوا فى الوقت ذاته يؤكدون لرؤسائهم فى لندن أن لديهم من الضمانات ما يجعلهم قادرين على كسر شوكة هذه الدولة اذا اتضح أنها تمثل خطرا حقيقيا على مصلحة بلادهم . أما اذعان العرب وارغامهم من جانب بريطانيا وحلفائها بعد نهاية الحرب على قبول التسوية التى أخضعت بلادهم للنفوذ البريطانى الفرنسى الاسرائيلى، فان ذلك تم عن طريق القوة والاكره والتهديد لا عن رضا واختيار من جانب زعماء العرب .

لقد كان اتفاق «سايكس — بيكو» بمثابة انذار للأمة العربية ألا تسرف فى الآمال المعقودة على الوعود البريطانية كما وردت فى رسائل ماكماهون ولكن قادة العرب لم يفقدوا بعد ثقتهم فى بريطانيا وظلوا يأملون أن تعيد النظر فى سياستها وتحترم كلمتها ، ولكن بريطانيا رأت أن تشغل العرب بمزيد من الوعود<sup>(٤٨)</sup> خلال عام ١٩١٨ بعد أن سددت اليهم ضربة أخرى باصدار وعد بلفور فى ٢ نوفمبر سنة ١٩١٧ وهو كتاب موجه من آرثر بلفور وزير خارجية بريطانيا نيابة عن حكومته ، الى لورد روتشيلد<sup>(٤٩)</sup> وقد جاء فيه :

« عزيزى لورد روتشيلد .. »

يسرنى جدا أن أبلغكم بالنيابة عن حكومة جلالته التصريح التالى الذى ينطوى على العطف على أمانى اليهود الصهيونية وقد عرض على الوزارة وأقرته :

« ان حكومة جلالته الملك تنظر بعين العطف الى تأسيس وطن قومى للشعب اليهودى فى فلسطين وستبذل جهدا لتسهيل تحقيق هذه الغاية على أن يفهم جليا أنه لن يؤتى بعمل من شأنه أن يضر الحقوق المدنية والدينية التى تتمتع بها الطوائف غير اليهودية المقيمة الآن فى

(٤٨) انظر : جامعة الدول العربية ، الوثائق الرئيسية فى قضية فلسطين ص ٧٧ — ٨٣ ووثائق رقم ١٧ ملحق « و » ، ٢٠ ملحق « ز » — ٢٢ ملحق « ط » وملحق « د » .

فلسطين ولا الحقوق أو الوضع السياسي الذي يستمتع به اليهود في البلدان الأخرى » \*

كان اصدار وعد بلفور تتويجا لجهود قادة الحركة الصهيونية في لندن ومانشستر<sup>(٥٠)</sup> بقيادة حاييم وايزمان وقد رأينا أن التمهيد لوعد بلفور بدأ من شهر نوفمبر سنة ١٩١٤ في رسالة «C.P. Scott» الى لويد جورج التي ربطت بين مصلحة الصهيونية والمصالح البريطانية ممثلة في حمايه قناة السويس ولكن النشاط الحقيقي لقادة الصهيونية في سبيل الحصول على وعد رسمي بدأ منذ مطلع عام ١٩١٦ عندما كونت أول لجنة رسمية في يناير ذلك العام من وايزمان وسوكولوف وجوزيف كوين ودكتور جاستر وهربرت بنتونش بالتعاون الوثيق مع أسرة روتشيلد وهربرت صمويل وأحد هاعام<sup>(٥١)</sup> وتلا ذلك نشاط صهيوني على كافة المستويات امتد الى بداية سنة ١٩١٧ وكان من نتائجه مذكرة اللجنة الصهيونية التي قدمها وايزمان الى السير مارك سايكس للحصول على اعتراف رسمي من الحكومة البريطانية بالجمالية اليهودية في فلسطين مع ايضاح أن المقصود بالجمالية السكان اليهود المقيمين في ذلك الوقت والمهاجرين الذين يلحقون بهم في المستقبل ثم توالى الاتصالات مع المسؤولين البريطانيين وحكومات أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية لاصدار وعد بلفور على النحو الذي سيرد تفصيله في الحديث عن الصهيونية وهكذا وجدت الأمة العربية نفسها بين شقي الرجي في عام ١٩١٩ ، بين زحف فرنسي مسلح يوشك أن يبدأ لاحتلال سوريا تنفيذا لاتفاق «سايكس - بيكو» وزحف صهيوني محسوب الخطى لاحتلال فلسطين في المدى البعيد ، تنفيذا لوعد بلفور . أما شعب فلسطين فقد أطلق عليه اسم «الطوائف غير اليهودية» التي لن تضار حقوقها المدنية والدينية وهذا يعني أنه لا مجال للحديث عن الحقوق السياسية للشعب العربي في

(٥٠) انظر : أسعد رزوق ، اسرائيل الكبرى ، منظمة التحرير الفلسطينية مركز الأبحاث بيروت ١٩٦٨ ص ٢٢٢ - ٢٣١

(٥١) Chaim Weizmann, Trial and Error, Hamish Hamilton, London 1950, p. 233.

فلسطين وهو صاحب الكثرة العددية الساحقة آنذاك وصاحب الأرض التي يراد انتزاعها لتنتقل ملكيتها الى القلة الوافدة من اليهود<sup>(٥٢)</sup> !!

وبعد أن لاحت تباشير السلام باعلان الهدنة مع ألمانيا (نوفمبر ١٩١٨) تعلق آمال الأمة العربية بمؤتمر الصلح الذي عقد جلسته الأولى في باريس في ١٨ يناير سنة ١٩١٩ واستقبل العالم في تفاؤل وثقة بيان الرئيس الأمريكي وودرو ويلسون الذي أعلن فيه شروطه الأربعة عشر في ٨ يناير سنة ١٩١٩ لافترار السلام العالمي<sup>(٥٣)</sup> ، على أساس من الاحترام لحرية الشعوب ونبذ الديبلوماسية التي تعمل في الظلام (المعاهدات السرية) ، وكانت الأمة العربية أكثر تفاؤلا لأن جيشها المظفر شارك الحلفاء في اجلاء ما تبقى في الجزيرة العربية من فصائل الجيش التركي المندحر وزحف الأمير فيصل على رأس جيش التحرير صوب سوريا فدخل دمشق<sup>(٥٤)</sup> في مطلع أكتوبر سنة ١٩١٨ فاستقبله الشعب والأعيان والعلماء استقبالا حارا ثم أعلن تشكيل الحكومة السورية في ٥ أكتوبر سنة ١٩١٨ « حكومة دستورية عربية مستقلة استقلالاً مطلقاً لا شائبة فيه باسم مولانا السلطان حسين شاملة جميع البلاد السورية »<sup>(٥٥)</sup> وتوجهت القوات العربية لتحرير الأجزاء الأخرى في سوريا الشمالية فدخل الجيش العربي حلب بقيادة نوري السعيد في ٢٥ أكتوبر ١٩١٨ وبعد وصول فيصل مدينة حلب في ٦ نوفمبر

(٥٢) أجرت حكومة الانتداب البريطاني في فلسطين تعدادا للسكان في أكتوبر سنة ١٩٢٢ وقسمت السكان الى طوائف دينية فكان عدد اليهود وفقا للتعداد ٨٣٧٩٠ وعدد افراد الطوائف غير اليهودية ٦٦٨٢٥٨ منهم ٥٨٩١٧٧ مسلمون و ٧١٤٦٤ مسيحيون و ٧٦١٧ ينمون الى طوائف أخرى وجملة عدد السكان ٧٥٢٠٤٨ انظر : - Palestine Royal Commiss ion Memoranda Prepared by the Government of Palestine,

H. M. S. O. London, 1937, p. 2.

David Thomson, Europe Since Napoleon Sec. Ed. (٥٣)

Longmans, 1963, pp. 575 - 593.

(٥٤) راجع قصة دخول دمشق في :

E. Kedourie, op. cit. pp. 33 - 47.

(٥٥) البلاغ الرسمي بتوقيع الشريف فيصل في ٢٧ ذي الحجة سنة ١٣٣٦ هـ الموافق ٥ أكتوبر سنة ١٩١٨ ، أمين سعيد : المصدر نفسه ج ٢ ص ٢ - ٣

١٩١٨ صدر التصريح «البريطاني - الفرنسي» وأُشاد فيصل بهذا التصريح في خطاب وجهه الى أهل سوريا ، وكان مما ورد في ذلك التصريح :

« ان الغرض الذي ترمى اليه فرنسا وبريطانيا العظمى من نهجهما في الشرق في الحرب التي أثارتهما أطماع ألمانيا هو التحرير التام النهائي للشعوب التي طال اضطهاد الترك لها واقامة حكومات وادارات قومية تستمد سلطتها من الاختيار الحر والارادة المستقلة للأهالي الوطنيين » (٥٦) .

وأخطرت الحكومة العربية في دمشق جميع المدن السورية أنها تسلمت مقاليد السلطة في البلاد وتم تعيين شكرى باشا الأيوبي حاكما عاما على بيروت ولبنان ولكن شبح اتفاق «سايكس - بيكو» أخذ يلوح في الأفق عندما أنشأ المارشال اللنبي قائد القوات البريطانية ( الحملة المصرية ) في ٢٣ أكتوبر سنة ١٩١٨ ثلاث مناطق ادارية في سوريا فسميت فلسطين غربي نهر الأردن أرض العدو المحتلة الجنوبية Occupied Enemy Territory (South) وأطلق على لبنان والشريط الساحلي شمال فلسطين اسم أرض العدو المحتلة الغربية «O.E.T. West» وما تبقى من المناطق الداخلية لسوريا وشرق الأردن سميت أرض العدو المحتلة الشرقية (٥٧) «O. E. T. East» .

أثار تحرك الجيش العربي في الأجزاء الشمالية الساحلية من سوريا قلق فرنسا التي أخذت تطالب بنصيبها من الأسلاب في الهلال الخصيب استنادا الى اتفاق «سايكس - بيكو» ، فطالبت باحتلال دمشق واحتجت على تعيين شكرى الأيوبي حاكما على بيروت بل غزت القوات الفرنسية بيروت في ١٠ أكتوبر سنة ١٩١٨ وأنزلت العلم العربي ثم واصلت زحفها فاحتلت الملاذقية واسكندرونة وأنطاكية (٥٨) .

(٥٦) جامعة الدول العربية ، المصدر نفسه وثيقة رقم ٢٢ ملحق « ط » ص ٨٣

Holt, op. cit. p. 280.

(٥٧)

(٥٨) أمين سعيد ، المصدر نفسه ص ١٣

كانت هذه التطورات مقدمات لما ينتظر الأمة العربية من مواجهات خطيرة في الجبهة السورية ، وفي الوقت ذاته اكتمل الاعداد لمؤتمر الصلح في باريس واجتمع لويد جورج وكليمنصو في لندن في الأيام الأولى من شهر ديسمبر سنة ١٩١٨ (٥٩) لتنسيق سياستهما في مؤتمر الصلح وكانت نتيجة اللقاء اتفاق الدولتين — بريطانيا وفرنسا — على تعديل اتفاق «سايكس — بيكو» لمصلحتهما ومصلحة الصهيونية فتم التخلي عن فكرة تدويل فلسطين واعترفت بريطانيا بتأييد المطامع الفرنسية (أو ما سمته بالحقوق الفرنسية) (٦٠) في سوريا وكيلىكيا وذلك في مقابل اعتراف فرنسا بسلطة بريطانيا على الموصل في العراق وعلى فلسطين وهذا الاتفاق يعنى أن الطريق أصبح ممهدا لتقرير مصير الأقاليم العربية في الهلال الخصيب في مؤتمر الصلح وفقا لنظام الانتداب الذى ابتدع في أعقاب الحرب بموجب المادة الثانية والعشرين من ميثاق عصبة الأمم (والميثاق جزء من معاهدة فرساي) • ويعتبر الانتداب تجربة جديدة في تحديد علاقات الدول الحاكمة بالشعوب المحكومة وهو في جوهره محاولة للتوفيق بين مطامع الدول المنتصرة وآمال الشعوب المغلوبة على أمرها التى وعداها الحلفاء حق تقرير المصير عندما كانت رحي الحرب دائرة • أما بالنظر للأقاليم العربية التى فرض عليها هذا النظام (سوريا — العراق — فلسطين) فهو لا يعدو أن يكون تقنيا للاحتلال البريطانى والفرنسى وتمهيدا لاقامة الوطن اليهودى في فلسطين • واطلاق يد بريطانيا في فلسطين بموافقة فرنسا كان يعنى أن الصعاب أمام انشاء الوطن القومى لليهود — على الصعيد الأوروبى — قد ذلت تماما ، ومع أن الرئيس الأمريكى ويلسون لم يكن يعطف كثيرا على مساعى بريطانيا وفرنسا لتأمين مصالحهما في الهلال الخصيب فانه كان ملتزما بتحقيق مطامع الصهيونية في فلسطين

Holt op. cit. p. 280 - 281.

(٥٩)

Holt op. cit. p. 281.

(٦٠)

بحكم صلتة الوثيقة ببراندائيس وفرانكفورت<sup>(٦١)</sup> . لقد تعلقت آمال العرب بمؤتمر الصلح وكان يضم ممثلين لسنة وثلاثين دولة ، ولكن المؤتمر لم يكن يملك من الأمر شيئاً لأن القرارات الحقيقية كانت تصدر من الثلاثة الكبار<sup>(٦٢)</sup> ، ودرو ويلسون ولويد جورج وكليمنصو ، وهذا ما يفسر لنا موقف المؤتمر من القضية العربية في مصر والهلل الخصب وهو موقف أقل ما يوصف به أنه لم يراع مقتضيات العدل والانصاف . توجه الأمير فيصل الى باريس لاقناع المؤتمر بعدالة القضية العربية فوصل مرسيليا في ٢٦ نوفمبر عام ١٩١٨ ليواجه اعتراض فرنسا التي أعلنت أنها لا تعترف به حتى بصفته ممثلاً لوالده الشريف حسين ، ملك الحجاز ، فكان ذلك ارهاصاً لمواجهة ديبلوماسية تنتظر العرب على الساحة الأوروبية ، ولم يجد فيصل بدا من الذهاب الى لندن والعودة الى باريس في ٦ يناير سنة ١٩١٩ بعد أن خففت فرنسا من غلوائها استجابة لضغط الحكومة البريطانية وسمح له بحضور المؤتمر فقدم مذكرة في ٢٩ يناير ١٩١٩ طالب فيها بالاستقلال الكامل للعرب ووجدتهم في الأقاليم السورية والاعتراف لهم بحق تقرير المصير استناداً الى التصريح البريطاني - الفرنسي ( ٧ نوفمبر ١٩١٨ ) وعزز هذه المطالب بخطبة أكثر تفصيلاً ألقاها في ٦ فبراير سنة ١٩١٩ . ثم تبادل أقطاب المؤتمر وجهات النظر وأيد الرئيس ويلسون اقتراحاً يقضى بإيفاد لجنة دولية الى الهلال الخصيب لتدريس الأوضاع عن كثب وتقف بنفسها على رغبات سكان المنطقة ولكن مهمتهما الأساسية كانت التقدم بتوصيات تساعد على تحديد الدولة التي يتعين أن يسند اليها أمر الانتداب على فلسطين<sup>(٦٣)</sup> .

(٦١) فيلكس فرانكفورت ( ١٨٨٢ - ١٩٦٥ ) . أحد أقطاب الصهيونية ومن أشهر اساتذة القانون في جامعة هارفارد . كان مستشاراً للرئيس ويلسون في مؤتمر الصلح وعضو الوفد الصهيوني الأمريكي لذلك المؤتمر . راجع :

The Universal Jewish Encyclopaedia, New York 1941, Volume 4 pp. 407 - 410 .

D. Thomson, op. cit. p. 580. (٦٢)

Walter Laqueur ( Edt. ) The Israel-Arab Reader, (٦٣)  
New York, 1971, p. 23.

وتمت الموافقة فى ٢٠ مارس سنة ١٩١٩ على تكوين اللجنة على نحو تمثل فيه كل من فرنسا وبريطانيا وايطاليا والولايات المتحدة الأمريكية ، ولكن فرنسا قاطعت تكوين اللجنة وتخلّى لويد جورج عن تأييده للفكرة بعد أن وافق عليها من حيث المبدأ ولاذت ايطاليا بالصلح فكانت اللجنة التى تم تشكيلها فعلاً أمريكية خالصة وهى اللجنة التى عرفت « بلجنة كنج - كرين » المؤلفة من دكتور هنرى تشرشل كنج وشارلز ر. كرين •

وعاد فيصل الى دمشق فى ٣ مايو سنة ١٩١٩ واستقبلته الوفود العربية من كل صوب فحدثها عن جهوده فى مؤتمر الصلح وعن حسن نية الحلفاء ووجهت الدعوة لعقد المؤتمر السورى العام وانتخب ممثلو الشعب السورى لهذا المؤتمر وفقاً لقانون الانتخاب التركى القديم بالنظر الى ضيق الوقت (٦٤) وجاء نواب الشعب من بيروت وطرابلس واللاذقية وفلسطين الى دمشق وافتتح المؤتمر رسمياً فى يوم ٧ يونيو سنة ١٩١٩ وبدأ الاعداد لاستقبال اللجنة الدولية التى وصلت يافا فى ١٠ يونيو سنة ١٩١٩ واستمعت الى ممثلى المؤتمر السورى الذين نقلوا اليها فى صدق رغبة الأمة فى تحقيق الاستقلال التام ووحدة سوريا الشاملة ورفض الانتداب الفرنسى والمطالبة باستقلال العراق واعتبار فلسطين ولبنان جزءاً لا ينفصم من الدولة العربية السورية والغاء المعاهدات السرية « سايكس - بيكو » ورفض وعد بلفور ومطامع الصهيونية والهجرة اليهودية الى فلسطين •

وقد أبرق الجنرال كلايتون من القاهرة فى ٢٤ يونيو سنة ١٩١٩ الى كيزون فى لندن ناصحاً ألا ينشر أى قرار حول مستقبل الوضع فى سوريا وفلسطين الا بعد أن تقدم اللجنة الدولية تقريرها (٦٥) •

(٦٤) أمين سعيد ، المصدر نفسه ، ج ٢ ص ٤٦

(٦٥) Woodward and Butler op. cit., p. 295 , No. 201, General Clayton ( Cairo ) to Earl Curzon ( Received July, 1. 1919 ) No. E. A. 2555 Telegraphic [ 962 47 /2117 /44 ] Cairo, June, 24, 1919 .

( ٩ - نكبة الامة العربية )

وفى ٦ أغسطس ١٩١٩ تلقى كيرزون رسالة من الكولونيل فريتش في القاهرة ينقل اليه النتائج والأفكار التي انتهت إليها لجنة « كنج - كرين » ويلخصها على النحو التالي :

١ - أن سوريا لن تقبل فرنسا باعتبارها دولة يسند إليها أمر الانتداب .

٢ - أن البرنامج الصهيوني لفلسطين لا يمكن تنفيذه الا بالقوة ضد رغبات السكان وذكرت اللجنة أنها لم تكن تدرك قبل مجيئها الى فلسطين مدى المعارضة التي تواجهها الصهيونية هناك من قبل السكان غير اليهود .

٣ - أن الرغبة العامة للسكان في فلسطين هي الاتحاد مع سوريا<sup>(٦٦)</sup> .

مكثت اللجنة في الشام نحو ستة أسابيع زارت خلالها عددا كبيرا من المناطق وتلقت ما يقرب من ألفى عريضة تؤيد المطالب العربية وعادت الى باريس وقدمت تقريرها الى مؤتمر الصلح في ٢٨ أغسطس سنة ١٩١٩ ولكن أقطاب المؤتمر غضوا الطرف عنه وظل دقينا حتى نشر للمرة الأولى في نيويورك في ٢ ديسمبر سنة ١٩٢٢<sup>(٦٧)</sup> .

وكان من أهم ما ذكرته اللجنة في تقريرها أنها لا ترى سببا يحول دون اعتبار فلسطين جزءاً من دولة سورية موحدة ، شأنها في ذلك شأن سائر الأجزاء الأخرى من الاقليم السوري ، على أن تخضع الأماكن المقدسة لاشراف لجنة دولية .

وبينما كان العرب في سوريا يتطلعون الى وصول لجنة « كنج - كرين » الدولية كان فرانكفورت في باريس يحث الرئيس ويلسون على الاسراع

Woodward and Butler op. cit, pp. 315 - 316, No. (٦٦)  
( 224 ) Colonel French ( Cairo ) to Earl Curzon ( Received Aug 6 No. C.P. 311 [ 1125 76 / 2117 / 44A ] Cairo, July, 19, 1919.

George Antonius, The Arab Awakening Khayats, (٦٧)  
Beirut, 1938, p. 296.

انظر النص الكامل لتوصيات لجنة « كنج - كرين » في المصدر نفسه  
ص ٤٤٢ - ٤٥٨



بتسوية المسائل المعلقة فى الشرق الأوسط وجلب الاطمئنان لليهود باعادة فلسطين اليهم باعتبارها وطنهم الأصلى<sup>(٦٨)</sup> وقد رد الرئيس ويلسون على رسالة فرانكفورتر المؤرخة فى ٨ مايو سنة ١٩١٩ برسالة قصيرة تاريخها ١٣ مايو سنة ١٩١٩ ونصها :

« باريس — ١٣ مايو ١٩١٩ »

« عزيزى فرانكفورتر »

« هذا مجرد سطر لابلاغك أننى تسلمت كتابك الهام المؤرخ فى ٨ مايو ولأقول لك اننى أقدر الأمر كله أعق التقدير لما ينطوى عليه من خطورة وأهمية »<sup>(٦٩)</sup> .

« المخلص ودرو ويلسون »

ولم يقتنع فرانكفورتر بكتاب الرئيس ويلسون ، لأنه يريد كلمة صريحة يلتزم فيها الرئيس الأمريكى بأدراج وعد بلفور فى معاهدة الصلح والعمل على تنفيذه فوراً ، فكتب اليه مرة أخرى رسالة مؤرخة فى ١٤ مايو سنة ١٩١٩ ختمها بقوله « أرجو أن تسمح لى أن أقترح عليك بث الطمأنينة فى نفوسنا بكلمة عدل وحكمة ، مكتوبة أو مسموعة — رغم ما فى ذلك من الحاح — بأنكم عازمون فى إدراج وعد بلفور فى معاهدة الصلح وأنكم تهدفون الى ترجمة هذا الوعد الى عمل قبل أن تغادروا باريس »<sup>(٧٠)</sup> .

ورد الرئيس ويلسون على هذه الرسالة من باريس فى ١٦ مايو ١٩١٩ مخاطباً فرانكفورتر أنه — أى ويلسون — لم يكن يحلم بأن ثمة ضرورة لإصدار مزيد من التأكيد لالتزامه بوعد بلفور ، وقال ويلسون فى

(٦٨) Woodward and Butler, op. cit. Vol. 4, pp. 260 - 261  
Mr. Franfurter to President Wilson, paris, May, 8. 1919 Encl. 1 in No. 180. Mr. Balfaur to Earl Curzon, No. 861|82739/1051/44| Paris, May, 31, 1919.

(٦٩) Woodward and Bultler op. cit. p. 261, President  
Willson to Mr. Franfurter, May, 13, 1919. تعريب المؤلف .  
Woodward and Putler op . cit. p. 261. (٧٠)  
Mr. Franfurter to President Wilson, May, 14, 1919.

تلك الرسالة أنه لم يجد أحدا يعارض الغرض الذى ينطوى عليه وعد بلفور معارضة خطيرة واختتم رسالته مؤكدا لفرانكفورتر أنه لا يرى سببا يبعث على تثبيط الهمم وأن لديه من الأساليب ما يجعله يأمل أنه من الممكن الحصول على ضمانات وافية فى هذا الصدد<sup>(٧١)</sup> .

تلقى فرانكفورتر رد الرئيس ويلسون بالابتهاج والشكر وطلب منه أن يأذن له بعرض ذلك الخطاب على جميع من يهمهم الأمر وإبراق براندايس بمحتوياته<sup>(٧٢)</sup> فأذن له فى رسالة مؤرخة فى ٢١ مايو عام ١٩١٩ وقع عليها جلبرت كلوس السكرتير الخاص للرئيس ويلسون<sup>(٧٣)</sup> .

ان الضمانات التى حصل عليها فرانكفورتر من ويلسون حول وضع فلسطين ووعد بلفور تعنى أن اجماع رأى العربى لم يعد له وزن فى هذه المسألة وأن فكرة ارسال لجنة « كنج - كرين » لتقصي الحقائق فى سوريا وفلسطين والعراق كان مقضيا عليها بالفشل منذ البداية ، وقد فطن لذلك الجنرال كليتون المضابط السياسى الأول الملحق بالحملة المصرية فى القاهرة عندما أبرق الى كيرزون فى وزارة الخارجية البريطانية فى أول يونيو سنة ١٩١٩ قائلا « انه تلقى أنباء من مسيو بيكو<sup>(٧٤)</sup> ومصدرها الدوائر الفرنسية الرسمية ، وأن بيكو أكد له صحتها ، تفيد أن العمل جار فى تقسيم سوريا دون علم فيصل وأن اللجنة الأمريكية « كنج - كرين » قادمة لتضليل فيصل ريثما يتم تقسيم سوريا ، وأوضح كلايتون فى برقيته أن هذه الأنباء « اذا تحققت صدقها

W. and Butler, op. cit. p. 262, Encl. 4 in No., 180. (٧١)  
President Wilson to Mr. Franfurter, Paris, May 16, 1919.

Woodward and Butler op. cit. p. 262, Encl. 5 in No. (٧٢)  
180, Franfurter to President Wilson, May, 20, 1919.

W. and Butler, op. cit., p. 262 Encl. 6 in, No. 180, (٧٣)  
Mr. Close to Franfurter, Paris, May, 21, 1919.

(٧٤) رئيس الادارة المدنية الفرنسية فى الاقليم السورى الساحلى الذى كان يعرف بأرض العدو المحتلة الغربية « O.E.T.W. » وهى المنطقة التى كانت من نصيب فرنسا .

فإنها في رأى بيكو - وأنا أوافقه على ذلك - تمثل لعبة خطيرة ، لأن فيصل إذا علم أن مصير سوريا قد تقرر دون علمه وقبل أن تقدم اللجنة الدولية تقريرها فإنه لا شك سوف يقوم بعمل عدائي » (٧٥) .

وكانت وزارة الخارجية البريطانية في ذلك الوقت تتلقى تقارير دقيقة عن الموقف الداخلي في سوريا وفلسطين ومن تلك التقارير تقرير نائب الضابط السياسي الأول في دمشق كورنواليس المؤرخ في ١٦ مايو سنة ١٩١٩ (٧٦) الذي وصف فيه الاجتماعات السياسية في سوريا وفورة الحماس الوطني للأمة والثقافتها حول فيصل بعد عودته من باريس واصرار الشعب على الاستقلال ورفض التدخل الفرنسي ثم وصف اجتماع الوفود السورية التي بايعت فيصل في ٩ مايو ١٩١٩ ( ذكر أمين سعيد أن هذا الاجتماع تم في ٥ مايو ١٩١٩ ) وقد نقل كلايتون هذه الصورة الى حكومته في لندن ونصحها بل حذرهما من انفجار الموقف اذا اتضح للشعب العربي - وهو مجمع على معارضة أي تقسيم للأقاليم العربية - أن مؤتمر الصلح قد اتخذ قرارا في ذلك من قبل ، أو اذا كان الغرض من ارسال اللجنة الدولية ذر الرماد في العيون، ولكن المسئولين في لندن وباريس لم يستجيبوا للنصح . كذلك أشار كلايتون في تقريره الى أن أي قرار يتخذ بشأن مصير البلاد العربية المذكورة قبل أن يتاح لأهلها التعبير عن رغباتهم وبسط قضيتهم سوف يعتبر في نظرهم خرقا لميثاق عصبة الأمم ولبدأ تقرير المصير الذي كثيرا ما دافع عنه أقطاب الدول المتحالفة ، ونقضا للتصريح البريطاني الفرنسي (٧٧) .

W. and Butler op. cit. p. 263, No. 181, Clayton (٧٥)  
( Cairo ) to Earl Curzon ( Received June 2, ) No. E. A. 2491  
Telegraphic [ 82973 / 2117 / 44 ] Cairo, June, 1, 1919.

Woodward and Butler op. cit. pp. 263 - 272 , No. (٧٦)  
182 General Clayton to Earl Curzon No. CPO / 93 / 2 [ 89350/  
2117 / 44, ] Cairo, June, 5, 1919.

Woodward and Butler op. cit. pp. 272 - 273 General (٧٧)  
Clayton ( Cairo ) to Earl Curzon CPO / 107 / 5 [91480/2117/44]  
Cairo, June, 8, 1919.

وفى تقرير آخر من كلايتون الى وزارة الخارجية البريطانية وجه نظر المسئولين فى لندن الى أن شعب فلسطين يرفض الانتداب البريطانى اذا كانت بريطانيا ترى أنه لا مناص من اقتران البرنامج الصهيونى بالانتداب . لأن الفلسطينيين يريدون بلادهم لأنفسهم وأنهم سيقاومون الهجرة اليهودية الى فلسطين بكل ما يملكون من وسائل بما فى ذلك المقاومة المسلحة<sup>(٧٨)</sup> وبدلا من أن تولى وزارة الخارجية هذا التقرير الخطير اهتماما خاصا ، أحالته الى هربرت صمويل بتوجيه من بلفور وطلبت منه ابداء رأيه فيما يمكن أن يتخذ من تدابير لتخفيف روح العداء التى تواجهها الصهيونية فى فلسطين وذلك بوصفه - أى صمويل - رئيسا للجنة الانماء الاقتصادى لفلسطين وقام صمويل بدوره باستشارة وايزمان وسوكولوف وهما فى باريس ثم رد على وزارة الخارجية فى ٥ يونيو سنة ١٩١٩ ردا يبدو أن اعداده تم برضاء وموافقة الوفد الصهيونى فى باريس<sup>(٧٩)</sup> وقد نصح صمويل وزارة الخارجية أن تؤكد للسلطات الادارية فى فلسطين أن وعد بلفور أصبح جزءا من السياسة البريطانية المقررة وأن سياسة بريطانيا تتجه نحو وضع فلسطين تحت الانتداب البريطانى وأن شروط الانتداب سوف تشمل اعلان ٢ نوفمبر ١٩١٧ - أى وعد بلفور - وأن العرب لن يجردوا من أراضيهم أو يطلب منهم مغادرة البلاد ، وأنه لن يكون هناك مجال فى فلسطين لاختصاص الكثرة من السكان لحكم القلة ، وأن البرنامج الصهيونى لا يحتوى على مثل هذه الأفكار . كذلك نصح صمويل لندن أن تصدر توجيهاها الى المسئولين لتحذير العرب هناك أن اثاره الاضطرابات ليست فى مصلحتهم ولن تحقق لهم غرضا وأن أموالا طائلة سوف تتدفق فى فلسطين تحت

---

Woodward and Butler , op. cit. pp. 282 - 283 Enclo- (٧٨)  
sure 1 in No. 197, Letter from Sir W. Tyrrell to Mr. Samuel No.  
242 ME / 44 Foreign Office May 31, 1919 .

Woodward and Butler op. cit. p. 285, Enclosure (٧٩)  
3 in 197, letter from Mr. Samuel to Sir W. Tyrrell, Paris, June,  
5, 1919.

الادارة الجديدة لتنميتها وستجنى كافة الطبقات والأجناس ثمرة انفاق تلك الثروة (٨٠) .

اننا نلمح فى ثنايا هذا الكتاب أصابع وايزمان والنوفد الصهيونى فى باريس لأن هربرت صمويل سافر الى باريس لاستشارة وايزمان وسوكولوف قبل أن يعد رده وذكر ذلك صراحة فى كتابه (٨١) . ومن الواضح أن نصيحة صمويل لوزارة الخارجية فى لندن تنطوى على استجابة لرغبة زعماء الصهيونية المجتمعين فى باريس وتحمل تهديدا ووعدا ووعيدا للشعب العربى فى فلسطين وتكتمل الصورة عندما يتحرك بلفور فى باريس ويكتب الى لورد كيزون رسالة مؤرخة فى أول يوليو ١٩١٩ يؤيد فيها كتاب هربرت صمويل ويوجه بنقل خلاصة رأى صمويل الى اللبى فى القاهرة وقام كيزون — فعلا — بإرسال برقية فى ٤ أغسطس سنة ١٩١٩ (٨٢) الى كولونيل « French » فى القاهرة اشتملت على أهم ما ذكره هربرت صمويل فى رسالته وبنفس الصيغة التى أعدها صمويل .

ان المقترحات التى تقدم بها هربرت صمويل ونبناها بلفور لانقاذ الصهيونية من غضبة الشعب العربى فى فلسطين ، لا تخلو من سداجة فقد استندت الى الاغراء والتهديد والتلويح بالثروة والرخاء المرتقب ولكن الموقف فى فلسطين كان يختلف فى حقيقته عن تصور بلفور وهربرت صمويل ، لأن الشعب العربى هناك كان يقفنا لكل مايراد به وكان على أهبة الاستعداد لمواجهة كافة الاحتمالات بما فى ذلك المواجهة المسلحة، وهذه هى الحقائق التى نقلها الضابط السياسى المساعد فى القدس

(٨٠) Woodward and Butler op. cit. p. 234 letter from Samuel to Sir W. Tyrrell, Paris, June 5, 1919.

(٨١) Woodward and Butler op. cit. pp. 300 - 301 (No. 210) Mr. Balfour ( Paris ) to Earl Curzon No. 1132 [96834/2117/44] Paris, July, 1, 1919.

(٨٢) Woodward and Butler op. cit. p. 329, No. ( 236 ) Earl Curzon to Colonel French ( Cairo ) No. 245 Telegraphic [ 96834 / 2117 / 44 ] Foreign Office, August, 4, 1919.

الى المسئولين البريطانيين فى القاهرة ولندن ، فى تقرير مفصل مؤرخ ١٢ أغسطس ١٩١٩ بعنوان « الحركة العربية والصهيونية » وقد أيدت القاهرة الحقائق التى وردت فى ذلك التقرير<sup>(٨٣)</sup> وكاتب التقرير هو الرائد كامب «J.N.Camp» الذى ذكر أن الحركة العربية فى القدس تتركز فى أربع جمعيات وهى المنتدى الأدبى والنادى العربى وجمعية الاخاء والوفاء والجمعية الفدائية ، وكانت المنتدى - أهم هذه الجمعيات وأقواها أثرا - تنادى باستقلال العرب ووحدة فلسطين وسوريا ورفض الصهيونية فى أية صورة من صورها ومنع الهجرة اليهودية والغاء الامتيازات الأجنبية ، وكان أبرز قادة هذه الجمعية محمديوسف الخطيب ويعرف أحيانا بمحمد يوسف جمعة الكنانى ومحمود الخالدى وحسن صدقى دجانى واسعاف النشاشيبي وعمر زعانى البيروتى وعدد من أفراد أسرة النابلسى . وانضمت اليهم أخيرا جمعية أخرى هى « المنتدى الدجاني » وكان نشاط هذه الجمعيات يتمثل فى تسليح أعضائها بالأسلحة الخفيفة واعداد قوائم بأسماء زعماء اليهود والموالين للصهيونية وبث الوعي بين البدو فى شرقى الأردن وتركيز تجمع الضباط الفلسطينيين فى عمان استعدادا للطوارئ اذا ما أعلنت السياسة الموالية للصهيونية . وكان من بين أعضاء الجمعيات المذكورة من تعلم اللغة العبرية لمقابلة كل مايقال ويكتب فى الصحف اليهودية، وكان منهم من يراقب الموقف بدقة ، ومن يقوم باستمالة رجال الأمن للاتفاق معهم على تسليم أسلحتهم أو على الأقل لحملهم على الامتناع عن التدخل اذا اندلعت الثورة . ويستطرد الرائد كامب قائلا: ان المنتدى الأدبى كانت تلعب دورا قياديا فى كل هذا النشاط وأن الاعداد جار فى هدوء من كافة الوجوه تمهيدا للعمل اذا قدر للسياسة الصهيونية أن تحرز نجاحا . ويعتبر كاتب التقرير أن أخطر الشخصيات العربية على الاطلاق من المعادين للصهيونية ولبريطانيا على حد سواء هم :

Woodward and Butler op. cit. pp. 360 - 365, No. (٨٣)  
253, Colonel French ( Cairo ) to Earl Curzon ( Received Sept.6 )  
No. C. P. O. 31 / 110 [ 125609 / 2117 /44A ] Cairo Aug. 26,  
1919 and Enclosure No. 253, Arab Movement and Zionism.

محمود يوسف العلمى ومحمود عزيز الخالدى وحسن صدقى دجانى وعمر زعانى البيروتى والشيخ رشيد الخطيب وجودت الحلبي، وأضاف الرائد كامب قائلاً : ان هذه الجمعيات موجودة أيضا فى كل بقعة ذات أهمية فى فلسطين ، فى نابلس ويافا وغزة وثل كرام وحيفا الخ<sup>(٨٤)</sup> ويؤكد مستر كامب للمسئولين البريطانيين أن جميع المسلمين والمسيحيين من ذوى المكانة المرموقة فى فلسطين هم ضد الصهيونية ويتجاوبون مع الجمعيات التى تعادى الصهيونية والهجرة اليهودية ، ثم يقول : « اننا اذا كنا نعى أن ننفذ أى نوع من أنواع السياسة الصهيونية ، فعلينا أن نفعل ذلك بالقوة العسكرية ونتخذ سياسة حازمة قوية ضد جميع دعاة الفتنة فى البلاد » وحذر مستر كامب قومه ألا يطمئئوا الى فيصل لأن « لديه المقدرة — فيما يبدو — على الاتفاق معنا ومع الفرنسيين ومع الصهيونية بما فى ذلك من تناقض — ثم يحاول أخيرا أن ينفرد بالعمل كما يشاء »<sup>(٨٥)</sup> .

كانت قوة المعارضة الجارفة ضد الصهيونية من قبل الشعب العربى فى فلسطين أكبر مشكلة أمام السلطات البريطانية التى عقدت العزم على تنفيذ البرنامج الصهيونى ، ولكن الصهيونية وجدت فى الكولونيل «R. Meinertzhagen» — الذى خلف كلايتون فى القاهرة فى منصب الضابط السياسى الأول — سندا قويا فقد بعث هذا الضابط فى ٢٦ سبتمبر سنة ١٩١٩ من موقعه الرسمى فى القاهرة رسالة الى كيرزون<sup>(٨٦)</sup> أعلن فيها أنه يتحدث عن الصهيونية بوصفه أحد المؤيدين المتحمسين لها ثم تطرق الى الصعاب التى واجهت الاداريين البريطانيين فى فلسطين من جراء معارضة العرب لسياسة بريطانيا الرامية الى التمكن للصهيونية فى فلسطين وضغط قادة الصهيونية المحلية عليهم

Woodward and B. op. cit. p. 364. (٨٤)

W. and B. op. cit. p. 364. (٨٥)

W. and B. op. cit. p. 425 - 428. (٨٦)

No. 298, Colonel Meinertzhagen ( Cairo ) to Earl Curzon  
( Received Oct. 14 ) No. C. P. O. 311 / 1 [ 141037 / 441A ] .

لاعلان البرنامج الصهيونى قبل أن يصبح الانتداب البريطانى نافذا •  
ثم ذكر الكولونيل ماينرتزاجن أنه رأى أن يسند الى دكتور وايزمان  
رئاسة اللجنة الصهيونية لأن ذلك يساعد على دعم مركز الصهيونية  
المحلية ، وذكر أنه من المؤكد نجاح الصهيونية فى فلسطين آخر الأمر رغم  
معارضة السكان ولكن ذلك رهين بالأسلوب الذى يتبع والنمو التدريجى  
للحركة وهو يرى أن الوقت ليس ملائماً لإبلاغ الشعب الفلسطينى جهره  
أن اقامة الصهيونية فى فلسطين هى السياسه التى التزمت بها بريطانيا  
وأمريكا وفرنسا وأنه يفضل أن يعالج الموقف بعد وصول وايزمان وذلك  
باعداد بيان رقيق يشرح للسكان معنى الصهيونية وبراءتها من التعصب  
الدينى بلغة معتدلة للغاية ويبيصرهم بالأسلوب المترفق الذى يتبع فى  
ادخالها وما تجلبه من مزايا لفلسطين (٨٧) •

ولم يكن الموقف فى مصر خيراً منه فى سوريا وفلسطين لأن الأمة  
العربية كانت تواجه جبهه متحدة فى أوروبا قوامها الثلاثة الكبار ، وكان  
على ريجنالد وينجت الذى خلف ماكماهون على دار العمادة فى مصر  
أن يواجه تطورات الموقف بعد اعلان الهدنة ، ولم يطل انتظاره فقد طرق  
بابه فى ١٣ نوفمبر سنة ١٩١٨ وفد من قادة الحركة الوطنية فى مصر  
برئاسة سعد زغلول ليضعوا أمامه مطالب الأمة ، وقبل أن نستعرض ما دار  
فى تلك المقابلة الهامة يجدر بنا أن نستمع الى الأستاذ العقاد وهو يصف  
الموضع فى مصر بعد اعلان الحماية البريطانية فيقول :

« لم تمض أشهر قليلة بعد اعلان الحماية حتى كانت السلطات  
الانجليزية قد نقضت كل ما عاهدت عليه الأمة المصرية ، فأطلقت أيديها  
فى دواوين الحكومة جميعاً الا ما هى فى غنى عنه ولا قدرة لها على ادارته  
لقلة الموظفين الانجليز فى تلك الفترة وأمعنت من جهة فى التضييق على  
أعداء الاحتلال ... ثم احتاجت الى العمال فجملت منهم نحو مليون  
ومائتى ألف من الفتيان الأشداء فرقنهم فى ميادين القتال وأهملتهم



أسوأ إهمال... واحتاجت إلى الزاد والعلف والماشية والدواب فأخذت منها ما شئت أن تأخذ بلا اكتراث لحاجة الفلاح الفقير» (٨٨) .

وكان مع سعد في مقابلته لـ «وينجت» على شعراوى باشا وعبد العزيز فهمى بك وبدأ وينجت الحديث ، ورد سعد مطالباً بالغاء الأحكام العرفية ومراقبة الصحف والمطبوعات لينفس الناس عن أنفسهم بعد ما عانوا من الضيق أكثر من أربع سنين ، وتحدث شعراوى قائلاً « اننا نريد أن نكون أصدقاء للإنجليز صداقة الحر للحر لا العبد للسيد » فصاح وينجت دهشاً « اذن أنتم تطلبون الاستقلال » ؟ فأجابه سعد : «نعم .. ونحن أهل له» (٨٩) . وكانت تلك المقابلة بمثابة الشرارة التي انطلقت منها ثورة مصر العربية سنة ١٩١٩ عندما استخف المسؤولون البريطانيون بحق أبنائها في الحرية والاستقلال وأصدروا توجيهاتهم إلى وينجت بمنع قادة الحركة الوطنية من السفر إلى أوروبا لبسط قضيتهم العادلة أمام مؤتمر الصلح في وقت بشر فيه أقطاب المؤتمر بمبادئ الحرية وحق تقرير المصير ولكن أهل الحل والعقد في لندن لم يطيعوا أن يسمعوا نبأ المقابلة التي تمت بين وينجت وسعد زغلول وأقبلوا على وينجت ذماً وتأنيباً (٩٠) لمجرد استماعه إلى رأى الوفد المصرى في مستقبل بلاده ورفض وينجت التوبيخ مدافعاً عن وجهة نظره وكان لا يرى غصاصة في السماح لسعد زغلول وحسين رشدى وعدلى يكن للذهاب إلى لندن للأفصاح عن آرائهم لأن ذلك من شأنه أن يساعد على تهدئة الموقف في مصر (٩١) ، واستدعى وينجت في لندن للتشاور فوصلها في نهاية يناير سنة ١٩١٩ ، ولكن وزارة الخارجية

(٨٨) عباس محمود العقاد ، سعد زغلول ، القاهرة ١٩٣٦

ص ١٨١ - ١٨٢

وانظر أيضاً : E. Kedourie , The Chatham House Version, and other Middle Eastern Studies ( Sa'ad Zaghlul and the British ) pp. 102 - 103 .

(٨٩) العقاد ، المصدر نفسه ص ١٩٧ - ١٩٨

(٩٠) Kedourie, op. cit. Sa'ad Zaghlul and the British, pp. 95 - 96 .

Kedourie, op. cit. p. 99. (٩١)

البريطانية وعلى رأسها بلفور كانت ضد فكرة سفر الوفد بحجة أن قادة الحركة الوطنية في مصر ( يعنى الوفد ) وضعوا أنفسهم على رأس حركة لا تدين بالولاء لبريطانيا وتعمل لاجراج الانجليز من مصر ولذلك لا ينبغي أن يسمح لهم بالسفر لئلا يفسر ذلك بأنه ضعف من جانب الحكومة البريطانية ، وجاءت التوجيهات قاطعة في برقية من لندن بتاريخ ٢٦ فبراير ١٩١٩ الى مستر شيتام القائم بأعمال المندوب السامي في القاهرة ، ألا يسمح لأى مصرى ، بصفة رسمية أو غير رسمية بمغادرة البلاد مهما كانت النتيجة فقديم حسين رشدى استقالة حكومته في أول مارس ١٩١٩ وبعث شيتام رسالة الى لندن يقول فيها ان الأحوال هادئة في مصر وأن سعد زغلول ورفاقه لا ينتمون بتأييد شعبى !! (٩٢) بل أبرق الى لندن في ٢٤ فبراير ١٩١٩ يحثها على تجاهل حركة سعد زغلول ويقول انه لا ينبغي أن يسمح لتلك الحركة أن تؤثر على قرارات الحكومة البريطانية فيما تراه حول المسائل الدستورية وما ينبغي أن يكون عليه وضع الحماية في مصر .

وفي اليوم السادس من شهر مارس ١٩١٩ تلقى سعد زغلول وتسعة من أصحابه انذار القائد العام الجنرال واطسون يحذرهم من وضع مسألة الحماية موضع المناقشة « واقامة العقوبات في سير الحكومة المصرية تحت الحماية بالسعى في منع تشكيل وزارة جديدة ، ويهددهم ان أقدموا على مخالفة ذلك بالمعاملة الشديدة بموجب الأحكام العرفية » (٩٣) ورد سعد على الانذار البريطانى بأن « الوفد يطلب الاستقلال التام ويرى الحماية غير مشروعة ولا يتأخر عن أداء واجبه مهما كلفه ذلك » (٩٤) .

وفي اليوم نفسه ( ٦ مارس ) أبرق شيتام الى لندن طالبا الاذن باعتقال سعد وأصحابه ونفيهم، وتلقى الرد بالموافقة من وزارة الخارجية

Kedourie, op . cit. , p. 100.

(٩٢)

(٩٣) العقاد ، المصدر نفسه ص ٢١٩ - ٢٢٠

(٩٤) العقاد ، المصدر نفسه ص ٢٢٠

فى ٧ مارس ، وفى ٩ منه تم اعتقال سعد وثلاثة من أصحابه وهم اسماعيل صدقى وحمد الباسل ومحمد محمود ونفوا الى مالطة (٩٥) .

وسرى نبأ الاعتقال رغم تكتّم القيادة العسكرية وانطلقت ثورة ١٩١٩ لا تلوى على شيء ولم يعلم عنها سعد وأصحابه فى مالطة حتى جاءهم حاكم الجزيرة لورد ثوين ليقول لهم « أشعلتم النار فى مصر وجئتم الى هنا » ؟ (٩٦) ، وعمت الثورة البلاد وشارك فيها الفلاحون مشاركة مرموقة وظهرت الحكومات الوطنية المستقلة عن القاهرة فى زفتى والمنيا والمجالس الوطنية فى كثير من المراكز (٩٧) .

وأدركت بريطانيا أنها أخطأت التقدير ووصف شيّتام الموقف بالخطوة وقال ان مصر لم تشهد موقفا كهذا منذ ثورة عرابى (١٨٨٢) ووصف الثورة بأنها ثورة وطنية بمعنى الكلمة (٩٨) ولكن هذا الوصف من رجل مسئول فى ذلك الوقت لم يرق لخدورى الذى أراد أن يضفى على الثورة ثوبا آخر ليجعلها ثورة رعاى ضاقت بهم سبل الحياة وأرهقهم الغلاء وسوء الحالة الاقتصادية (٩٩) !!

واتصل شيّتام بالقنصل الأمريكى فى القاهرة لابلأغه خطورة الموقف ونصح لندن أن تسمح للمصريين بالذهاب الى لندن وباريس حتى اذا لم تعترف بهم رسميا ، ولكن كيزون أخذته العزة بالاثم فرفض الاستماع الى رأى شيّتام واتهمه بالضعف ، وتأزم الموقف ، ووقف بلفور الى جانب شيّتام مطالبا بتأليف حكومة قوية فى مصر ومرحبا بوفد رسمى من مصر تمثل فيه القوى الوطنية ، وعين اللنبى (٢٠ مارس ١٩١٩) مندوبا ساميا خاصا لمصر مع أن وينجت لم يبعد

Kedourie, op. cit. p. 101.

(٩٥)

(٩٦) العقاد ، المصدر نفسه ص ٢٤١

(٩٧) محمد أنيس : دراسات فى وثائق ثورة ١٩١٩ ج ١ ، الطبعة الاولى القاهرة ، ١٩٦٣ ص ١٠ - ١١

Kedourie, op. cit. p. 105.

(٩٨)

Kedourie, op. cit. pp. 102 - 104.

(٩٩)

من منصبه • وتسلم اللنبى مهمته الجديدة فى القاهرة فى ٢٥ مارس ١٩١٩ وآلت اليه السلطة الحقيقية ، وظل وينجت فى منصبه أيضا حتى خريف سنة ١٩١٩ ولكن بغير سلطة فيما يبدو (١٠٠) •

ولم تجد بريطانيا مناصا من الاعتراف بسوء تقديرها لموقف الحركة الوطنية فى مصر فقررت الافراج عن سعد وأصحابه بعد شهر من الاعتقال فى مائطة وسمحت للوفد المصرى بالسفر الى باريس ، ولكن عندما وصل أعضاء الوفد الى مقر مؤتمر الصلح وضع لهم أن أمريكا قد اعترفت بالحماية البريطانية على مصر منذ ١٩ ابريل ١٩١٩ أى بعد وصول الوفد الى مرسيليا بيوم واحد وأدرك سعد أن الأمل فى الموقف الدولى قد انقطع وأن المعركة فى سبيل القضية المصرية سوف تجرى على أرض مصر وحدها ، وكان الانجليز — كما قال الدكتور محمد أنيس — يدركون هذه الحقيقة فلم يقلقهم كثيرا وجود الوفد فى باريس وإنما كان مصدر قلقهم الوحدة الوطنية التى التفت حول الوفد (١٠١) ، وأخذ سعد يقود المعركة من باريس عن طريق رسائله السرية الى عبد الرحمن فهمى سكرتير لجنة الوفد فى القاهرة •

\* \* \*

Kedourie, op. cit. pp. 108 - 111.

(١٠٠)

(١٠١) محمد أنيس ، المصدر نفسه ص ١١ — ١٢ .

## الفصل الرابع

# قبض الريح

● مؤتمر الصلح — تفاؤل واستيشار — بيعة في المسجد الحرام — الشريف حسين ملكا — لا حق للعرب في تقرير مصيرهم — الحلفاء أصحاب القرار — بريطانيا أول من ينكر البيعة — بريطانيا وفرنسا لا تعترفان بالحسين ملكا للامة العربية — سوريا تباع فيصلا — اصدقاء العرب ينددون بقرار العرب — كيرزون يتعد فيصلا وسعدا عن مؤتمر الصلح — لا حق للعرب في بسط قضيتهم — اللنبى يحذر كيرزون — بريطانيا تحث بوعدها — ذهبت وعود ماكماهون ادراج الرياح — بريطانيا توقف اعانتها المالية لفصيل — مؤتمر الصلح يؤازر الصهيونية ضد العرب — الانتداب البريطانى على فلسطين — تعيين هربرت صمويل — كيرزون لفصيل : صمويل صديق العرب !! — فرنسا تغزو سوريا — ميسلون — الجنرال غورو — اخراج فيصل عنوة — اللنبى فى مصر — فشل لجنة ملنر — تصريح ٢٨ فبراير — سعد رئيسا لوزارة الشعب الاولى — سعد : لقد صدقنا اننا مستقلون !!

\* \* \*



## قبض الريح

استبشر العرب بنصر الحلفاء في الحرب العالمية الأولى وحسبوا أن ظلمة اليأس قد انقشعت بهزيمة ألمانيا وتركيا الاتحادية وزوال عهد جمال باشا وجمعية الاتحاد والترقي إلى غير رجعة • ظنوا أن حريتهم المفقودة أوشكت أن تعود وأن قادة مؤتمر السلام سيلتزمون بمبادئ الحرية وحق تقرير المصير التي بشر بها ودرو ويلسون • أما بريطانيا التي وعدتهم الاستقلال وأغرتهم بالخلافة بلسان ممثلها هنري ماكماهون في عام ١٩١٦ فقد كانوا لا يشكون في سلامة مقاصدها وعزمها على الوفاء بكلمتها ، ومن ثم تمت بيعة الشريف حسين بن علي في مكة المكرمة بالمسجد الحرام ، ملكاً للأمة العربية في أول المحرم من سنة ١٣٣٥ هـ ( ٢٩ أكتوبر ١٩١٦ ) أي بعد أربعة أشهر فقط من إعلان الثورة ضد الأتراك ( ٩ شعبان ١٣٣٤ هـ - ١٠ يونيو ١٩١٦ ) ولكن الأمير عبد الله ابن الحسين دهش عندما وجه إليه في اليوم التالي ( الثاني من شهر المحرم ) معتمد بريطانيا في جدة ، الكولونيل ويلسون والمعتمد الفرنسي سؤالاً : لم تمت البيعة دون الرجوع إلى الحلفاء ؟ (١) •

فرد عليهما : « عجيب ما تقولان !! ، اننا نقا تل بسيفونا في سبيل الله واعلاء كلمته وارجاع حقنا القومي الى نصابه ، فمن ساعدنا وأيدنا فهو صديقنا ، ومن نكص عنا وأحب أن يفت في عضدنا فهو لا يريد بنا الخير » •

فقالا : تشك سموك في أخلاقنا ؟

قلت (\*) : لا •• ولكن نحن أعلم بما ينبغي لنا أن نفعله من أجل أنفسنا (٢) •

---

(١) الملك عبد الله : مذكراتي ، عمان ، ١٩٤٧ ، ص ١٧٥ - ١٧٦ •  
(\*) المتحدث هنا الأمير عبد الله بن الحسين ، الذي أصبح فيما بعد ملكاً لشرق الأردن •  
(٢) الملك عبد الله : المصدر نفسه ص ١٧٦ •  
( ١٠ - نكبة الأمة العربية )

وجاء القول أن بريطانيا لا تعترف بالشريف حسين ملكا للأمة العربية ، ثم تمت استشارة بين بريطانيا وفرنسا وروسيا تمخضت عن اعتراف الدول الثلاث بالشريف حسين ملكا على الحجاز فقط !! وأخطر بذلك رسميا في رسالة مؤرخة ١٠ ديسمبر سنة ١٩١٦ (٣) .

أما مصير الدولة العربية المترامية الأطراف التي كانت موضع بحث مستفيض في رسائل «حسين - ماكماهون» فأصبح من اختصاص مؤتمر الصلح في سنة ١٩١٩ ، ولم يعد يحق لأحد من العرب أن يتحدث عنها ، فضلا عن أن يقرر مصيرها ، سوى مؤتمر الصلح ( أى الثلاثة الكبار ) وعندما أعلنت الدولة السورية المستقلة بتفويض من المؤتمر السوري العام في ٨ مارس سنة ١٩٢٠ ، وبويع فيصل ملكا على سوريا ثارت ثائرة بريطانيا وفرنسا وعلت صيحة الاستنكار من المسؤولين في لندن وباريس تندد بالمؤتمر السوري وتتساءل : ما شأن هذا المؤتمر بمستقبل سوريا وفلسطين ؟ على نحو سيأتى بيانه في هذا الفصل .

وارتفع صوت الاستنكار مرة أخرى بعد تعيين الأمير عبد الله رئيسا للوفد العربى في مؤتمر الصلح خلفا لأخيه فيصل ملك سوريا عندما قال اللنبى :

« ان رئيس الوفد هو الأمير فيصل » فأجابه عبد الله : هو الآن ( يعنى فيصل ) ملك سوريا .

النبى : ان الحلفاء لم يعترفوا بهذا .

عبد الله : ان الذى ولاء هذه الرئاسة في مؤتمر الصلح قد اعتبر الأمر الواقع وعين رئيسا آخر هو أنا .

النبى : هذا الأمر لا يقبله الحلفاء .

عبد الله : وما للحلفاء وتعيين موظف في وظيفة ؟

النبى : هو ما سمعت (٤) .

U.S. Department of State Mandate For Palestine, (٣)  
Division of Near Eastern Affairs Series No. I. Washington,  
1931, p. 7 .

(٤) الملك عبد الله : المصدر نفسه ص ٢٢٤ .



ولم يكن العرب يتوقعون استنكارا كهذا من جانب الحلفاء للقرارات التي اتخذوها فى مسائل هى من أخص شئونهم الداخلية ، لا سيما بعد أن ساندوا قضية الحلفاء وأعلنوا الثورة على الأتراك مما كان له أثر كبير على مجرى الحرب فى الشرق الأوسط لصالح الحلفاء ومع أن المتحاملين على العرب حاولوا أن يقللوا من شأن الثورة العربية ( ثورة الصحراء ) وأهميتها فإن المسئولين البريطانيين هم الذين كانوا يعرفون حقيقة الدور الذى لعبته لصالحهم ومن هؤلاء السير رونالد ستورز الذى تحدث عنها قاتلا : ان أهم النتائج الاستراتيجية للثورة العربية أنها مكنت القوات البريطانية المرابطة فى منطقة قناة السويس أن تتحول من موقع الدفاع ضد الأتراك الى مركز الهجوم على قلب الامبراطورية العثمانية <sup>(٥)</sup> . كما أشاد اللبى فى رسالته الى كيزون المؤرخة ٢٨ مايو سنة ١٩٢٠ بشريف مكة باعتباره أحد الذين أسدوا للحلفاء مساعدة أحبطت خطة الجهاد فى وقت كانت نتيجة الحرب فيه غير معروفة <sup>(٦)</sup> ، ولكن كل ذلك لم يشفع للعرب عندما انقضت ظلمة الحرب وحان اقتسام الأسلاب !! فاذا بالثلاثة الكبار يتخذون أخطر القرارات باسم مؤتمر الصلح فيما يتعلق بمستقبل البلاد العربية دون أدنى اعتبار لرأى الأمة العربية التى يعينها الأمر . لقد رأينا وزارة الخارجية البريطانية تستشير هربرت صمويل وهذا بدوره يستشير قادة الحركة الصهيونية فى كل المسائل المتعلقة بمصلحة الصهيونية فى فلسطين وذلك فى وقت كانت كثرة يهود العالم تقف فيه ضد فكرة الصهيونية !! ثم تملى وزارة الخارجية البريطانية على ممثليها فى الوطن العربى ما أشار به قادة الصهيونية للتنفيذ !!

ولكن الأسلوب يختلف عندما تطرح قضايا الأمة العربية للبحث :  
ينهض سعد زغلول ومن ورائه الشعب المصرى على قلب رجل واحد

(٥) Storrs, The Memoirs of Sir Ronald Storrs, p. 179.

(٦) Woodward and Butler, Documents on British Foreign Policy, 1919 - 1939, Vol. 13, P. 257 No. 253 from Allenby (Cairo) to Curzon, No. 559 ( E 6180 / 2854 / 44 ) Cairo, May 28, 1920.

مطالباً بالاستقلال وانهاء الحماية البريطانية فتسخر بريطانيا من سعد وتنكر عليه حق تمثيل الشعب المصرى ثم تأمر باعتقاله وعدد من خيرة أبناء مصر وتنفيهم الى مالطة ثم الى جزائر سيثل ثم الى جبل طارق<sup>(٧)</sup> . ويرتفع صوت فيصل فى الهلال الخصيب يؤيده الشعب العربى فى سوريا وفلسطين والعراق ، مطالباً باستقلال العرب ووحدة سوريا ويوقف المؤتمر السورى العام من ورائه يشد أزره فى الدعوة الى الاستقلال ورفض الصهيونية والانتداب الفرنسى فتستشيط فرنسا غضبا ويكتب السفير الفرنسى فى لندن مسيو كامبون الى كيزون ليبلغه رسالة من حكومته فى باريس<sup>(٨)</sup> تستنكر فيها قرار المؤتمر السورى بمبايعة فيصل ملكا على سوريا ، ويجدر بنا قبل الحديث عن المؤتمر السورى وقراراته وموقف الحلفاء منه ، أن نذكر شيئا عن استراتيجية الحكومة البريطانية والفرنسية ازاء فيصل خلال النصف الثانى من عام ١٩١٩ .

كان فيصل يتوقع العودة الى باريس فى نهاية يوليو ١٩١٩ لحضور مؤتمر الصلح مع أ.ت. لورنس عندما يحين الوقت لبحث موضوع الهلال الخصيب ، ولكن لورنس ( عضو الوفد البريطانى فى مؤتمر الصلح وأحد مستشاريه ) أبرق الى فيصل فى ١٥ يوليو ١٩١٩ عن طريق اللنبى فى القاهرة أن المؤتمر لن ينظر فى الشئون العربية حتى شهر سبتمبر وأنه ينصح بتأجيل حضوره حتى ذلك التاريخ<sup>(٩)</sup> ، ولم يكن كيزون يطمئن الى وجود فيصل فى باريس فى ذلك الوقت جنبا الى جنب مع لورنس لأنه كان يخشى أن يكون ذلك مدعاة لاجراج حليفته فرنسا . ومن ناحية أخرى كانت فرنسا تعمل جهد استطاعتها على

(٧) انظر العقاد ، سعد زغلول ص ٣٨٦ - ٤٠٨ .

(٨) Woodward and Butler, op. cit., p. 278. No. 254, note from the French Ambassador to Earl Curzon ( Received June 1 ) ( E 5598 /244 ). Ambassade De France A'Londres, 31 Mai 1920.

(٩) Woodward and Butler op. cit. Volume 4, p. 314, No. 221 Mr. Balfour ( Paris ) to General Sir E. Allenby ( Cairo ) No. 66 Telegraphic ( 384 /1/1/14444 ) Paris, July 15, 1919.

ابعاد فيصل عن مؤتمر الصلح فأرسلت برقية الى المسيو بيكو في سوريا تنصح فيصل بتأجيل مجيئه الى باريس لأن المؤتمر لن ينظر في أمر سوريا الا بعد فترة من الوقت <sup>(١٠)</sup> ، وفهم فيصل أن المقصود من هذه البرقية الحيلولة بينه وبين الذهاب الى المؤتمر فأخطر الضابط السياسي في دمشق أنه ( أى فيصل ) اذا حيل بينه وبين المؤتمر أو اذا أجلت رحلته لأجل غير ملائم فإنه سيتخذ التدابير الدفاعية التي يقتضيها الموقف ضد أى قرار قد يتخذ لغير مصلحة القضية العربية .

وقد صرح كيزون في برقيته الى بلفور في باريس ( ١٧ يوليو ١٩١٩ ) <sup>(١١)</sup> أن التعاون بين الكولونيل لورنس وفيصل من شأنه أن يضع بريطانيا في موضع جد حرج ازاء فرنسا وأنه لا ينصح أن تتم زيارة فيصل قط ( لأوروبا ) في الظروف الراهنة وأنه يرى في الامكان استمالة فيصل لالغاء رحلته اذا حيل بين لورنس والذهاب الى باريس ( كان لورنس في لندن في ذلك الوقت ) . ومن ثم توجه كيزون بسؤال الى بلفور عما اذا كان لورنس عضوا في الوفد البريطاني الذي يقوده بلفور ويتلقى الأوامر منه واذا كان الأمر كذلك ألا يرى من الأصوب ألا يؤذن له ( أى للورنس ) بالذهاب الى باريس ؟

كان كيزون يرمى الى ابعاد فيصل عن باريس حتى تتقرر شروط معاهدة الصلح مع تركيا بصفة نهائية ثم يستدعى فيصل بعد ذلك ليوضع أمام الأمر الواقع كما فعل مع سعد زغلول وتنقل اليه شروط المعاهدة للعلم !! وذلك فيما زعم كيزون استنادا الى نصيحة الجنرال كلايتون <sup>(١٢)</sup> .

(١٠) Woodward and Butler op. cit. pp. 314 - 315 No. 222 Colonel French to Earl Curzon ( Received July 17 ) No. 385 Telegraphic [ 103235 / 103235 / 44 ] Cairo, July 17, 1919.

(١١) Woodward and Butler op. cit. p. 315, No. 223, Earl Curzon to Mr. Balfour ( Paris ) No. 994 Telegraphic [105018/ 103235 / 44A ] Foreign Office July, 17, 1919.

(١٢) Woodward and Butler op. cit. p. 316, No. 225 Earl Curzon to Mr. Balfour ( Paris ) No. 1001 Telegraphic [ 103235/ 103235 / 44 ] Foreign Office, July 21, 1919 .

وعندما تلقى فيصل الدعوة من لويد جورج للسفر الى باريس ( ١٠ سبتمبر ١٩١٩ ) وتوجه فورا الى العاصمة الفرنسية فوصلها في ١٩ منه ، كانت بريطانيا وفرنسا قد اتفقتا على جلاء الجيش البريطاني من المنطقتين الشرقية والغربية في سوريا « O.E.T.W. and O. E.T.E. » وكيكلية لتباشر القوات الفرنسية احتلال سوريا ( عدا دمشق وحمص وحماة وحلب ) وفي ١٢ أكتوبر ١٩١٩ عين الجنرال غورو قائدا عاما للجيش الفرنسي في الشرق ومندوبا ساميا لفرنسا في سوريا وكيكلية<sup>(١٣)</sup> ووصل الجنرال غورو ( جمال باشا الجديد ) بيروت في ١٨ نوفمبر ١٩١٩ أى بعد خمس سنوات فقط من تاريخ دخول جمال باشا التركي دمشق ( ٥ ديسمبر ١٩١٤ ) • وكان وصوله ايذانا بقرب المعركة بين فرنسا والأمة العربية في الجبهة السورية •

وكما كان متوقعا فان زيارة فيصل لباريس خلال النصف الثاني من عام ١٩١٩ كانت جهدا ضائعا ، لأن الحلفاء أبرموا أمرهم فلم يجد مناصا من العودة الى دمشق في مطلع عام ١٩٢٠ وقبل أن يغادر باريس في ٦ يناير سنة ١٩٢٠ بثلاثة أيام تلقى برقية من الأمير زيد في دمشق تنبئ باحتلال القوات الفرنسية ثلاث قرى من أعمال حمص ودخولها بعلبك بثلاثة آلاف جندي •

وتحرك الشعب العربي في سوريا لمباشرة مسئولياته عن طريق المؤتمر السوري العام الذي دعى الى الانعقاد في ٦ مارس سنة ١٩٢٠ ليتخذ قراره التاريخي في ٧ مارس باعلان الدولة السورية المستقلة بحدودها الطبيعية والمناداة بسمو الأمير فيصل بن الحسين ملكا عليها وفي يوم ٨ منه تمت البيعة في دار بلدية دمشق وجاء في القرار التاريخي الذي أعلنه رئيس المؤتمر :

« وقد اخترنا سمو الأمير فيصل ابن جلالة الملك حسين الذي واصل جهاده في سبيل تحرير البلاد وجعل الأمة ترى فيه رجلا العظيم ، ملكا دستوريا على سورية بلقب صاحب الجلالة الملك فيصل الأول

(١٣) امين سعيد ، الثورة العربية الكبرى ج ٢ ص ٨٧ — ٩١ •

وأعلننا انتهاء الحكومات الاحتلالية العسكرية الحاضرة فى المناطق الثلاث على أن تقوم مقامها حكومة ملكية نيابية مسئولة تجاه هذا المجلس فى كل ما يتعلق بأساس استقلال البلاد التام» (١٤) .

ورد الملك فيصل :

« أشكر للأمة نياتها الحسنة نحوى وعلى ما أبدته من حسن الاعتماد وأشهد الله أنى ما قمت الا بما يجب على وأتمنى أن أوفق لأقوم بكل ما يكفل استقلال البلاد وحريتها ولأعتنى بشئون الشعب السورى ورقيه وأشهدكم على قولى هذا ، والله خير الشاهدين » .

وهكذا تم العقد بين ممثلى الأمة وقائدها ، عقدا اكتملت له كل عناصر التراضى والعرض والقبول .

وفى اليوم الثامن من شهر مارس ١٩٢٠ أصدر الملك فيصل قرارا بتكليف رضا باشا الركابى لتأليف أول وزارة لسوريا المستقلة ، وأوفد فيصل اللواء نورى السعيد إلى لندن وباريس يحمل كتابين من جلالته إلى الحكومتين الفرنسية والبريطانية كما بعث رسالة خاصة إلى الرئيس الأمريكى ويلسون يبلغهم إعلان الاستقلال ومبايعته ملكا لسوريا (١٥) .

وفى الوقت ذاته تلقى الجنرال اللنبى فى القاهرة رسالة من الملك فيصل تحمل إليه قرار المؤتمر السورى وتؤكد له أن إعلان الدولة السورية المستقلة لن يؤثر على العلاقات الودية القائمة بين سوريا وبريطانيا وأنه ( أى فيصل ) يؤكد صداقته للحكومة البريطانية .

ونقل اللنبى هذه الرسالة إلى كيزون فى برقية أرسلت فى الساعة الخامسة والدقيقة الخمسين مساء يوم ١٣ مارس ١٩٢٠ (١٦)

(١٤) أمين سعيد ، المصدر نفسه ص ١٢٢ ..

(١٥) أمين سعيد ، المصدر نفسه ص ١٣٩ - ١٤٠ .

(١٦) Woodward and Butler op. cit. Volume 13, pp.

224 - 225 No. 219 Field Marshal Viscount Allenby ( Cairo ) to Earl Curzon. No. 260 Telegraphic [ E 1538 / 2 / 44 ] Cairo, March , 13, 1920, 5. 50 P. M.

وأبرق كيزون فى الساعة السادسة مساء اليوم نفسه من لندن الى  
النبى قائلا :

« يجب أن قخطر الأمير فيصل ( كذا ) فوراً أن حكومة صاحب  
الجلالة لا يمكن أن تعترف بحق مؤتمر دمشق فى تقرير مستقبل سوريا  
وفلسطين والموصل أو العراق ، وهى لا تعلم شيئاً عن تكوين هذا المؤتمر  
وسلطته . ان هذه الأقطار قد فتحتها جيوش الحلفاء وأخذتها عنوة  
من الأتراك ولن يتقرر مستقبلها — وهو الآن أمام مؤتمر الصلح —  
الا على أيدي دول الحلفاء مجتمعة . اننا لا نعلم اذا كان « الأمير  
فيصل » قد تسلم التحذير المشترك الذى بعثنا به اليه فى الثامن من  
شهر مارس فى هذا المعنى ولا ندرى اذا كان مؤتمر دمشق اتخذ هذا  
القرار عن جهل بذلك التحذير أم تحدياً له .

« ومهما يكن الأمر فان حكومة صاحب الجلالة لا تستطيع أن  
تعترف بحق هيئة كونت نفسها بنفسها فى دمشق أن تنظم هذه المسائل  
وان حكومة صاحب الجلالة والحكومة الفرنسية لا يسعهما الا القول  
بأنهما تعتبران هذه التدابير غير ذات موضوع .

« ويجب أن تضيف أيضاً نيابة عن حكومة صاحب الجلالة أنه  
لا يمكن بأى حال من الأحوال التسليم بحق أية هيئة فى دمشق أن تقرر  
مصير العراق أو الموصل .

« وعليك أن توجه الدعوة مرة أخرى للأمير فيصل أن يعود الى  
أوروبا ليبسط قضيته أمام مؤتمر الصلح » (١٧) .

وتحرك السفير الفرنسى فى لندن بتوجيه من حكومته لينقل  
الى الحكومة البريطانية أن الموقف — فى رأى الحكومة الفرنسية —  
يقتضى أن ترسل الحكومتان برقية أخرى بصفة عاجلة الى الأمير فيصل

Woodward and Butler op. cit. p. 225, No. 220, Earl (١٧)  
Curzon to Field-Marshal Viscount Allenby ( Cairo ) No. 223  
Telegraphic [ E 1461 / 2 / 44 ] Foreign Office, March, 13,  
1920 6. P. M.

تعلنان فيها أنهما لا تعترفان بقرار المؤتمر السوري على الإطلاق وأن ترسل البرقية باسم الحكومتين إلى فيصل عن طريق المارشال اللنبى (١٨) •

لكن حقائق الموقف في سوريا لم تدع للفيصل مارشال اللنبى خيارا غير أن ينصح حكومته قائلا « إذا أصرت الدول المتحالفة على عدم الاعتراف بما قام به فيصل والمؤتمر السوري فإن ذلك يعنى نشوب حرب مؤكدة ، وإذا بدأت العداوات فإن العرب سوف ينظرون إلى الفرنسيين والانكليز نظرة تضعهم في مصاف الأعداء ، وسوف يجبرنا الفرنسيون إلى حرب ... ليست في مصلحتنا ولسنا على استعداد لخوض غمارها » (١٩) ومن ثم نصح اللنبى - وألح في النصح - أن تعترف الدول بسيادة فيصل على أمة عربية أو اتحاد عربي يضم سوريا وفلسطين والعراق ، على أن تبقى إدارة سوريا في أيدي الفرنسيين وتشرف بريطانيا على إدارة فلسطين والعراق ، وذكر اللنبى أن هذا الاقتراح - في اعتقاده - سيكون مقبولا لدى فيصل وسوف يضمن لبريطانيا صداقة العرب •

ومع أن الاقتراح الذي تقدم به اللنبى إلى حكومته لا يحمل غير اعتراف شكلي بما سماه سيادة فيصل على أمة عربية أو اتحاد عربي مع الاحتفاظ بالسلطة الحقيقية لبريطانيا وفرنسا ، فإن كيرزون لم يقبل الاقتراح ذاكرا أنه لا يقبل وصاية من فيصل يأخذ بمقتضاها سوريا وفلسطين والعراق قبل أن ينظر مؤتمر الصلح في الموضوع برمته • ومن ناحية أخرى قال كيرزون انه لا يستطيع أن يفهم كيف يمكن

---

(١٨) Woodward and Butler op. cit., p. 224, No. 218, Letter from the French Ambassador to Earl Curzon, [ E 1461 / 2 / 44 ] Ambassade De France A' Londres, 11 Mars, 1920.

(١٩) Woodward and Butler op. cit., p. 231, No. 223, Field-Marshall Viscount Allenby ( Cairo ) to Earl Curzon No. 271 Telegraphic [ E 1813 / 2 / 44 ] , Cairo, March 18, 1920.

التوفيق بين الاعتراف بفيصل ملكا على بلاد تمثل فلسطين جزءا منها وبين مطالب الصهيونية ؟ (٢٠) •

ودار حوار طويل بين اللنبي في القاهرة وكيزون في لندن حول أنجع الوسائل لمعالجة الموقف في سوريا وفلسطين وكانت مهمة اللنبي عسيرة لأنه بصفته موظفا مسئولاً عن أمن المنطقة لا يستطيع أن ينكر الحقائق التي يلمسها عن كثب وهي حقائق لا ترضى عنها حكومته في لندن وليس في استطاعته أن يوجب هذه الحقائق عن لندن لأن إخفاءها قد يزيد الموقف تعقيدا ، فالمؤتمر السوري — في رأى اللنبي — وتمثيله للشعب العربي في سوريا وفلسطين وبيعة فيصل بالملك حقائق لا سبيل الى انكارها ولكن اثبات الحقائق لا يعفى اللنبي من مسئولية تنفيذ السياسة التي تقررها حكومته وقد قرر المسؤولون في لندن أن المؤتمر السوري لا وجود له وأن فيصل ليس ملكا على الدولة السورية الموحدة وأن فلسطين ليست جزءا من سوريا ولكنها الوطن المرتقب للشعب اليهودي ، وأحس اللنبي بخطورة المسئولية الملقاة على عاتقه فآثر أن يبصر حكومته بالحقائق أولا ثم يتقدم الى كيزون بمشروع جمع بين كل النقائق والأضداد ، فكتب الى كيزون في ٢٠ مارس ١٩٢٠ (٢١) قائلا ان الحقائق التي يعلمها أن مؤتمر دمشق يمثل رغبة الكثرة الراجحة في سوريا رغم أن موقف الدروز والكنيسة الأرثوذكسية يشوبه بعض التردد ثم اقترح أن يعترف مؤتمر الصلح بفيصل ممثلا لأهل سوريا وفلسطين مع الاعتراف لسكان هذين القطرين بحقهم في الاتحاد تحت لواء سلطة واحدة ، على أن يعترف العرب بمطامع بريطانيا في فلسطين والعراق ومطامع فرنسا في سوريا ولبنان ومطامع الصهيونية في

(٢٠) Woodward and Butler op. cit., p. 231, No. 224 Earl Curzon to Field-Marshal Viscount Allenby ( Cairo ) No. 251 Telegraphic [ E 1813 / 2 / 44 ] Foreign Office, March, 19, 1920.

(٢١) Woodward and Butler op. cit. p. 233 No. 225 Field-Marshal Viscount Allenby ( Cairo ) to Earl Curzon, No. 273 Telegraphic [ E 1927 / 2 / 44 ] Cairo, March 20. 1920.



فلسطين !! ورحب كيزون باقتراح اللنبى (٢٢) قائلا انه لن تكون هناك صعوبة فى الاعتراف بفيصل على النحو المقترح ولكن ذلك رهين بشرطين : أن يحضر فيصل الى مؤتمر الصلح ويعترف لفرنسا بوضعها الخاص فى سوريا ولبنان ، ولبريطانيا بوضعها فى فلسطين مع الاعتراف بالتزام بريطانيا نحو الصهيونيين باعداد وطن قومى لهم فى فلسطين . ونلمح من خلال هذا التصريح أن بريطانيا تريد أن تلزم فيصل بالحضور الى باريس ليعلن تسليمه بالمطامع البريطانية الفرنسية والصهيونية فى البلاد العربية على ألا تلتزم هى بشئ على الاطلاق !!

وأدرك اللنبى أن اقتراح كيزون ينطوى على حيلة لن يتردد فيصل فى رفضها فرد على رسالة كيزون قائلا « اننى أشك كثيرا فى قبول فيصل لهذا العرض الا اذا أبلغناه فى الوقت ذاته أن مؤتمر الصلح سوف يعترف فى معاهدة الصلح مع تركيا بمبدأ الوحدة بين سوريا وفلسطين فى ظل سلطة واحدة كما نصحت فى برقيتى رقم ٢٧٣ » (٢٣) وحذر اللنبى مرة أخرى السلطات البريطانية فى لندن من الاستهانة بأمر المؤتمر السورى وعدم الاعتراف به ممثلا لارادة الكثرة فى سوريا .

وبينما كان كيزون يسعى جاهدا لاحتباط عمل المؤتمر السورى فى دمشق ، تلقى رسالة من الكولونيل ماينرتزجر فى القاهرة تؤكد الأنباء التى وردت عن انعقاد المؤتمر العراقى العام فى ٨ مارس ١٩٢٠ واعلان استقلال الدولة العراقية التى تمتد حدودها من شمال ولاية الموصل الى الخليج الفارسى ومبايعة الأمير عبد الله ملكا للعراق وانهاء الاحتلال البريطانى (٢٤) .

(٢٢) Woodward and Butler op . cit. p. 235, No. 228 Earl

Curzon to Field - Marshal Viscount Allenby ( Cairo ) No. 264 Telegraphic [ E 1927 / 2 / 44 ] Foreign Office, March 22, 1920.

Woodward and Butler op . cit., pp. 235 - 236, No. (٢٣)

229 Field-Marshal Allenby ( Cairo ) to Earl Curzon No. 282 Telegraphic [ C 2068 / 2 / 44 ] Cairo, March 23, 1920.

Woodward and Butler op . cit. pp. 236 - 237, No. (٢٤)

230 Colonel Meinertzhager ( Cairo ) to Earl Curzon No. Pol./607 Telegraphic [ E 2329 / 2 / 44 ] Cairo, March, 26, 1920.

وأبرق الملك حسين الى اللنبى مؤكدا مبدأ الوحدة العربية مذكرا اياه بكتاب ماكماهون المؤرخ فى ٣٠ أغسطس عام ١٩١٥ الذى أيد فيه رسالة من كتشنر تتعلق بالخلافة واستقلال العرب ، وأعرب الملك حسين فى برقيته الى اللنبى عن تأييده لقرارات المؤتمر السورى والمؤتمر العراقى ووصف تلك القرارات بأنها تتفق والمبادئ التى أعلنها مؤتمر الصلح (٢٥) .

ومع ذلك فان القضية سارت فى الاتجاه الذى رسمته لها السياسة البريطانية والفرنسية غير عابئة بحقوق الشعب العربى صاحب الكلمة الأولى فى تقرير مصيره ، رغم الاحتجاج الذى بعث به الملك حسين الى اللنبى معلنا أنه ليست له صلة بمؤتمر الصلح لأن ارتباطه كان مع بريطانيا عن طريق ممثلها فى مصر ( يعنى ماكماهون ) وأن بريطانيا هى التى دعت الى الثورة على تركيا وقبلت شروطه الخاصة باستقلال الوطن العربى وأنه ضحى بكل شئ فى سبيل الثورة على الأتراك استنادا الى ثقته فى بريطانيا (٢٦) .

ورفض فيصل - بحق - دعوة الحكومة البريطانية له لحضور اجتماعات مؤتمر الصلح ، وضاق المسئولون البريطانيون فى لندن ذرعا بموقف فيصل وقررت الحكومة البريطانية قطع الاعانات المالية التى كانت تقدمها له وذلك لحمله على قبول دعوة المجلس الأعلى للصلح بالتوجه الى أوروبا ، ولقى اللنبى نصيبا من التآنيب لأنه دفع لفصل العون المالى المستحق عن شهرى يناير وفبراير ١٩٢٠ ( مائة ألف جنيه ) وطلب من اللنبى أن يتقدم بمذكرة عن أسباب هذه المخالفة التى ارتكبها لتعرض على مجلس الوزراء البريطانى (٢٧) ، وكان للجنرال اللنبى رأى

---

(٢٥) Woodward and Butler op. cit., p. 237., No. 231  
Field - Marshal Allenby ( Cairo ) to Earl Curzon, No. 298  
Telegraphic [ E 2491 / 2 / 44 ] Cairo, March, 27, 1920.  
(٢٦) Woodward and Butler op. cit. p. 246, No. 237  
Allenby ( Cairo ) to Curzon, April 7, 1920.  
(٢٧) Woodward and Butler op. cit., p. 286, Curzon to  
Allenby, Foreign Office June, 9, 1920.

فى الاعانات المالية التى تقدمها بريطانيا للحكام فى الأقطار العربية أدلى به فى كتابه المؤرخ ٢٨ مايو سنة ١٩٢٠ (٢٨) الى كيرزون ، حيث قال : ان سياسة الحلفاء فيما يتعلق بسوريا وفلسطين لا تتفق ورغبات المواطنين هناك وأن بريطانيا تواجه تهمة الحنث بوعدها وبسبب هذا الموقف انفتح المجال أمام الدعاية التركية والبلشفية ، وقد كانت الحكومة البريطانية فعلا تخشى أن ينحاز فيصل — بتأييد من البلشفيك — الى جبهة الأتراك القوميين فى نضالهم ضد بريطانيا وفرنسا ، اذا لم تتفق معه فرنسا بشأن الوضع فى سوريا ومن ثم اقترح كيرزون أن تسعى الحكومة الفرنسية لتحقيق هذا التفاهم مع فيصل ووضح كيرزون فى رسالته الى السفير الفرنسى فى لندن أن فيصل اذا رفض الحضور بشخصه الى أوروبا فعليه أن يتحمل النتائج المترتبة على ذلك ومنها سحب الاعتراف به بصفته ممثلا للحجاز فى مؤتمر الصلح وايقاف الاعانات المالية التى يتلقاها من بريطانيا وفرنسا واعطاء فرنسا حق احتلال الخط الحديدى بين حمص وحلب (٢٩) .

وتدخلت الصهيونية لتزويد الموقف اشتعالا فبعث هربرت صمويل برسالة الى كيرزون ( ٢٦ يونيو ١٩٢٠ ) قال فيها ان رئيس الوزراء الفرنسى مسيو ميليران يخشى أن يتجه العرب الى ضرب الفرنسيين بالانجليز ولذلك فانه يطالب أن تتم كل الاتصالات من جانب بريطانيا مع فيصل عن طريق الجنرال غورو الحاكم العسكرى الفرنسى فى سوريا ... (٣٠) وكان صمويل قد عين حاكما عاما على فلسطين بعد أن قرر الحلفاء فى مؤتمر سان ريمو اخضاع سوريا للانتداب الفرنسى ووضع العراق وفلسطين وشرق الأردن تحت الانتداب البريطانى مع الالتزام بانشاء الوطن القومى لليهود فى فلسطين ، وبلغ فيصل هذا

Woodward and Butler op. cit., p. 274, No. 253, (٢٨)  
Allenby ( Cairo ) to Curzon No. 559 Telegraphic [ E 6180 / 28 / 2854 / 44 ] Cairo May, 28, 1920.

Woodward and Butler op. cit., p. 271, No. 251 (٢٩)  
Curzon to the French Ambassador, London, May 18, 1920.

Woodward and Butler op. cit., p. 297 Herbert (٣٠.)  
Samuel to Curzon, June 26 , 1920.

القرار رسميا في رسالة من اللنبي مؤرخة في ٢٧ ابريل ١٩٢٠ (٣١) ورفض فيصل فكرة الانتداب قائلا « ان كلمة الانتداب لا حد لها وليس لها معنى صريحا وقد رفضتها الأمة رفضا باتا ولا يقبلها أحد يريد الحياة ، فهي كلمة مطاطة ، تفسر طورا بأشد أنواع الاستعمار وتارة بأخف ضروب المعاونة الودية التي لا تمس الاستقلال ومع ذلك فقبولها عار على أمة تريد الحياة » (٣٢) .

كان تعيين هربرت صمويل حاكما عاما على فلسطين انتصارا لمساعي قادة الصهيونية نحو الاستيلاء على فلسطين وامعانا في التحدي لمشاعر الأمة العربية وقد تسربت أنباء تعيينه الى فيصل وشعب فلسطين فبعث فيصل بمذكرة الى الحكومة البريطانية يستفسر فيها عن صحة هذا النبأ الذي كان له أسوأ الأثر على الأمة العربية لأن صمويل عرف على نطاق عالمي بأنه صهيوني مثله الأعلى أن يؤسس دولة يهودية على أنقاض جزء كبير من سوريا ( فلسطين ) ووجه فيصل نظر الحكومة البريطانية الى أن العرب يعتبرون هذا التعيين - اذا صح النبأ - قد تم ضد مصلحتهم وطلب فيصل من الحكومة البريطانية - اذا أكدت صحة الخبر - أن تعيد النظر في الموضوع وتلغى قرار التعيين لأنه ضار بمصلحة العرب (٣٣) .

ومع أن اختيار هربرت صمويل حاكما عاما لفلسطين قد تم من قبل لويد جورج عن قصد وتدبير لتنفيذ البرنامج الصهيوني في فلسطين (٣٤) ولأن صمويل من الملتزمين بأهداف الحركة الصهيونية . فان الأسباب التي ذكرها كيزون لهذا التعيين في معرض رده على رسالة الملك فيصل تشير الى أن الخداع ما زال سمة ملازمة للمسؤولين

(٣١) Woodward and Butler op. cit., p. 253.

(٣٢) أمين سعيد ، المصدر نفسه ص ١٥٠ .

(٣٣) Woodward and Butler op. cit. p. 284, Allenby to Curzon No. 257, Cairo, June 9, 1920.

(٣٤) E. Kedourie, The Chatham House Version and other Middle Eastern Studies, Sir Herbert Samuel and the Government of Palestine, pp. 52 - 54.

البريطانيين فى علاقاتهم مع العرب ، فقد جاء فى رسالة كيرزون الى اللنبى فى ١٤ يونيو ١٩٢٠ :

« لقد تقرر تعيين مستر صمويل مندوبا ساميا لفلسطين لاقتناع الحكومة ( البريطانية ) بأن سمعته المالية وخبرته الادارية تجعله أهلا لهذه المهمة بالذات ولأن نفوذه على الصهيونيين وعطفه المعروف نحو العرب ( كذا ) سوف يمكنه من الحكم بالعدل والقسط المستقيم » وختتم كيرزون كتابه قائلا « اننا نعتقد أن الأمير ( يعنى فيصل ) والعرب سيجدون صمويل صديقا مخلصا لهم » (٣٥) .

لقد أشار بعض الباحثين فى قضية فلسطين من أبناء الأمة العربية الى تعيين هربرت صمويل بما يوحى الى الأذهان أن العرب فى ذلك الوقت كانوا يجهلون صمويل وصلته بالحركة الصهيونية وأنهم ( لم يقوموا بثورة ولا حتى بمظاهرات عند مجيئه وكانوا لا يعرفون الرجل ونشاطه ) (٣٦) غير أن الوثائق تثبت غير ذلك . لقد كان العرب فى سوريا وفلسطين يعرفونه حق المعرفة وقد رأينا فى تقرير الرائد كامب ( انظر الفصل الثالث ) ما قام به الشعب العربى فى فلسطين من استعداد لمقاومة تنفيذ البرنامج الصهيونى ولم يكن تعيين هربرت صمويل سوى مرحلة من مراحل تنفيذ ذلك البرنامج . أما من الناحية الرسمية فان الملك فيصل لم يترك مجالا لمستزيد وقام اللنبى نفسه بنقل ما رأى وسمع من الشعب العربى الى المسئولين فى لندن :

« ان تعيين أحد اليهود ليكون أول حاكم عام على فلسطين ، أمر بالغ الخطورة فى نظر سكان هذه البلاد . والسكان المسلمون فى حالة هياج شديد الآن لما ترامى اليهم من أنباء بأن وعد بلفور سوف يدرج فى معاهدة الصلح . ان المسلمين سوف يعتبرون تعيين أول حاكم عام

(٣٥) Woodward and Butler op. cit., p., 287, No. 261  
Curzon to Allenby, Foreign Office, June, 14 - 1920.

(٣٦) جلال يحيى ، مشكلة فلسطين والاتجاهات الدولية . منشأة المعارف ، الاسكندرية ١٩٦٥ ص ٦٨ - ٦٩ .

لفلسطين من اليهود - حتى لو كان بريطاني الجنسية - بمثابة تسليم البلاد فوراً لإدارة صهيونية دائمة » (٣٧) .

وفى هذا الوقت كانت فرنسا تمهد للاستيلاء على سوريا عن طريق إثارة الفتن والاضطراب وتسليح العناصر الموالية لها فى سوريا مما دفع الملك فيصل الى مناشدة رئيس وزراء بريطانيا أن يبذل مساعيه مع الحكومة الفرنسية لاطفاء نار الفتنة ، وجاء فى رسالة فيصل أن المسيحيين والمسلمين فى سوريا يعيشون اخوة فى قطر واحد بل انهم لم يتخلوا عن هذه الروح الأخوية حتى فى ظروف الحرب عندما حاول الأتراك ( الاتحاديون ) الايقاع بينهما ، وأضاف فيصل قائلاً « يبدو أن الادارة الفرنسية السيئة هى سبب المتاعب القائمة الآن فى كل مكان فى المنطقة العربية وإذا كانت المساعدة التى تريد فرنسا أن تقدمها لسوريا هى سياسة «فرق تسد» فانى أعلن بصراحة منذ الآن أننا نرفض هذه السياسة » (٣٨) .

وفى نهاية شهر يونيو ١٩٢٠ أعلنت الحكومة الفرنسية عن طريق سفير بريطانيا فى باريس ( مستر داربى ) أن وقت التحالف بين فرنسا وبريطانيا ضد فيصل قد انتهى وأنه منذ ذلك التاريخ يجب أن يترك أمر الاتصال بفيصل لفرنسا وحدها ، اذا رأت ما يدعو الى الاتصال ، وشكت الحكومة الفرنسية لبريطانيا أن فيصل يحاول أن يقذف بالفرنسيين الى البحر ، ومن ثم فان الحكومة الفرنسية ليست ملزمة بالاعتراف به ولن تسمح لفيصل أن يفرض ارادته عليها (٣٩) . وكانت هذه الرسالة بمثابة انذار من الحكومة الفرنسية بأنها قررت أن تحسم القضية بالتدخل العسكرى فى سوريا وهذا ما حدث فى شهر يوليو ١٩٢٠ عندما أرسل الجنرال غورو انذاراً فى ١٤ يوليو

- (٣٧) Woodward and Butler op. cit., p. 255, No. 246  
Allenby ( Cairo ) to Curzon, May 6, 1920.  
(٣٨) Woodward and Butler, op. cit. pp. 283 - 284 No. 256, Allenby ( Cairo ) to Curzon, June, 4, 1920.  
(٣٩) Woodward and Butler op. cit., p. 297, The British Ambassador, Paris, to Curzon, June, 29, 1920.

الى الحكومة السورية مطالباً بتسريح الجيش السوري والاعتراف بالانتداب الفرنسى ، ومع أن الحكومة السورية أكرهت على قبول الانذار فان القوات الفرنسية زحفت نحو دمشق وبدأت الاشتباكات فى ٢٢ يوليو واستبسلت القوات العربية الشعبية فى الدفاع عن أرضها ضد الغزو الأجنبى الجديد ولكن قوة السلاح الفرنسى أسكتت صوت الحق العربى ودخلت القوات الفرنسية دمشق فى ٢٥ يوليو سنة ١٩٢٠ على أشلاء شهداء « ميسلون » ( ٢٤ يوليو ) وعزل الجنرال غورو الملك فيصل ليؤلف حكومة من العناصر الموالية للاحتلال الفرنسى ونزع سلاح الجيش العربى وأحال قوات الشعب الى فرقة من الشرطة وأعلن نهاية حكم فيصل وشرع فى محاكمة الوطنيين الذين دفعوا ضريبة الوطن من عرقهم ودمائهم وفى ٢٧ يوليو ١٩٢٠ طلب من فيصل مغادرة دمشق ولم يذعن فيصل لأمر غورو فأخرج عنوة من عاصمة بلاده فى ٢٨ يوليو من العام ذاته فنقل الى حوران ومنها الى حيفا ثم توجه الى ايطاليا ( ٢٨ أغسطس ١٩٢٠ ) ليواصل الدفاع عن قضية العرب وكان يرافقه احسان الجابرى وساطع الحصرى ونورى السعيد (٤٠) ومن مدينة كومو فى ايطاليا بعث بمذكرة طويلة الى لويد جورج ( ١١ سبتمبر ١٩٢٠ ) بسط فيها شكائته وناشد بريطانيا أن تنجز وعدها للعرب (٤١) وأسدل الستار — الى حين — على مأساة الحرية فى الشرق العربى ولما يجف المداد الذى سطرت به مبادئ مؤتمر السلام .

وفى مصر واصلت بريطانيا مساعيها لضرب الوحدة الوطنية عندما أخفقت فى قمع ثورة الشعب المصرى بقيادة سعد زغلول ، فسعت قبل وصول لجنة ملنر فى ٧ ديسمبر سنة ١٩١٩ الى اثار الفتنة الداخلية عندما كلفت يوسف وهبة باشا بتأليف الوزارة على اثر استقالة وزارة محمد سعيد باشا التى كان من رأيها تأجيل وصول لجنة ملنر حتى يتم الصلح بين الحلفاء والدولة العثمانية (٤٢) ، لقد أدركت الحكومة

(٤٠) أمين سعيد ، الثورة العربية الكبرى ج ٢ ص ٢٠٨ — ٢٠٩ .

(٤١) انظر نص المذكرة فى أمين سعيد ، المصدر نفسه ص ٢١٢—٢٢٣

(٤٢) محمد انيس ، دراسات فى وثائق ثورة ١٩١٩ ، ج ١ ص ٥٠ .  
( ١١ — نكبة الامة العربية )

البريطانية أن اندلاع ثورة ١٩١٩ في مصر يقتضى تغييرا فى سياستها وان كان شكليا وتغييرا فى مواقع المسئولين عن تنفيذ تلك السياسة فى مصر وكان من نتائج هذا الاتجاه ابعاد ريجنالد وينجت وتعيين الفيلد مارشال اللنبى خلفا له على دار العمادة فى مصر ، وارسال لجنة ملنر ( ٧ ديسمبر ١٩١٩ - ٦ مارس ١٩٢٠ ) للبحث فى أسباب ما وصفته الدوائر البريطانية الرسمية بالاضطرابات الأخيرة فى مصر والنظر فى وضع نظام أساسى للحكم فى المستقبل فى اطار الحماية البريطانية وكان رئيس اللجنة اللورد ملنر ومن أعضائها « Cecil Hurst » و « J. A. Spender » وإذا كان كيزون قد حدد مهمة اللجنة فى احدى رسائله الى اللنبى ( ٥ أكتوبر ١٩١٩ ) بأنها تتلخص فى وضع تفاصيل لدستور يحدد دائرة اختصاص كل من بريطانيا باعتبارها صاحبة الحماية على مصر والحكومة المصرية (٤٣) ، فان اتجاه الحكومة البريطانية كما تصوره ملنر كان لا يهدف الى تصفية الحماية بقدر ما كان يرمى الى دعمها (٤٤) . ومن ثم يتضح أن الغرض من ارسال اللجنة لا يعدو أن يكون ذرا للرماد فى العيون وهذا ما يفسر موقف الشعب المصرى ودوره الايجابى فى مقاطعة اللجنة . وتحديثنا وثائق ثورة ١٩١٩ عن رأى القوى الوطنية فى اللجنة كما تحدثنا عن الموقف الداخلى فى مصر والعنف الذى قابلت به قوات الاحتلال مظاهرات الوطنيين والحصار الذى ضربه أهل مصر على لجنة ملنر حتى باءت بالفشل . فقد جاء فى تقرير لسعد زغلول ( ٢٨ أغسطس ١٩١٩ ) : « لابد أن تكونوا علمتم بأن اللجنة الانجليزية التى تعينت برئاسة اللورد ملنر للتوجه الى مصر ستتوجه قريبا وأن مهمتها البحث عن أسباب الاضطرابات الأخيرة والنظر فى نظام يكفل تحت الحماية الانجليزية التدرج فى الحكم الذاتى فمهمتها مما توسعت ومما لاحظت فى تنفيذها مصلحة المصريين لا تنطبق مع أمانهم ولا تتفق مع مطلب الاستقلال التام الذى كلفتنا الأمة بالسعى اليه وجدنا للسعى له ما استطعنا اليه سبيلا ولذلك

E. Kedourie op. cit., p. 120, Quoting Documents (٤٣)  
Collected for The Special Mission, Vol. 3, p. 112. F.O.848/1.  
E. Kedourie, op. cit., p. 120. (٤٤)



استحسننا ونستحسن رأيكم فى اجتناب مخابرة هذه اللجنة بأى طريقة كانت » (٤٥) • وتصف رسائل عبد الرحمن فهمى الى سعد زغلول فى باريس فظائع الاحتلال البريطانى فى ضرب ثورة ١٩١٩ ويقتله شعب مصر ونجاحه فى احباط الفتنة الداخلية التى أراد الاستعمار البريطانى اثارها باسناد الوزارة الى يوسف وهبة • قال عبد الرحمن فهمى فى احدى رسائله : « ان المظاهرات التى حصلت بالاسكندرية ونوهمتم بجوابكم أن أخبارها ساءتكم لم تكن شيئاً بجانب ما حصل بعدها بمصر والاسكندرية وأرسلنا ما وصل الى علمنا عنها تلغرافيا اليكم ، نسأل الله الخلاص مما نحن فيه » •

« ان المظاهرات التى حصلت أمس بالاسكندرية قوبلت بعنف وشدة متناهية والأخبار متناقضة فى عدد القتلى والجرحى ولذلك ما أمكننا ذكرها بالتلغراف الذى أرسلناه لسعادتكم اليوم وأهم شيء فى هذا الموضوع هو نص استقالة محافظ الاسكندرية التى يقول فيها حرفياً : « ان الرصاص يطلق فى شوارع المدينة من غير داع وقد ارتكب أحد المفتشين خطأ لا مبرر له ولم أبلغ شيئاً من الحوادث ولهذا أقدم استقالتي » (٤٦) •

وعن مهمة اللنبى ومقاطعة الشعب لحكومة يوسف وهبة كتب عبد الرحمن فهمى فى ٣ ديسمبر ١٩١٩ :

« ١ — غلقد عاد اللورد اللنبى من انجلترا مزودا بشدة متناهية فى كل شيء •

« ٢ — حصل اجتماع كبير بالكنيسة المرقسية يوم الجمعة ٢١ نوفمبر حضره أكثر من أربعة آلاف شخص من عليا الأمة القبطية وكتبوا احتجاجاً شديداً جداً ضد ترشيح يوسف باشا وهبة لرئاسة الوزارة وضده اذا قبل وهو غاية فى الاحكام » (٤٧) •

(٤٥) محمد أنيس ، المصدر نفسه ج ١ ص ٤٢ •

(٤٦) محمد أنيس ، المصدر نفسه ص ١٥٥ — ١٥٦ من عبد الرحمن فهمى الى سعد زغلول ( غير مؤرخة ) •

(٤٧) محمد أنيس ، المصدر نفسه ص ١٥٧ — ١٥٨ •

« ٦ — لقد نشط قلم المطبوعات نشاطا زائدا فى مراقبة الجرائد والتصديق عليها فهو يستدعى من وقت الى آخر أصحاب الجرائد ورؤساء تحريرها ويهددهم بالقتل ان لم يعتدلوا فى لهجتهم ولا يتعرضوا للسلطات والوزراء والحالة العامة حتى أن مستشار الداخلية اشترك فى قلم المطبوعات فى هذه المأمورية وهو الآخر يستدعى أصحاب الجرائد ويهددهم بهذه الصفة •

« ولقد أصدرت السلطة العسكرية أمرها أمس تاريخه بقفل جريدة مصر وأظن أن مقالات سينوت بك من أكبر الأسباب لهذا القفل ولا يعرف الى أى حد تصل بنا هذه المعاملة القاسية ولا أدرى ما هى قيمة أبحاث لجنة ملنر فى الشئون المصرية بعد قفل ثلاثة ( هكذا وردت ) جرائد عربية وكم أفواه الباقية وسيف الأحكام العرفية لا يزال مسلولا على رقاب الجميع بل مسلولا بحالة أشد مما كان عليها ابان الحرب • نسأل الله الخلاص » (٤٨) •

ثم يتحدث عبد الرحمن فهمى عن وصول لجنة ملنر ومقاطعة الشعب لها :

« ٢ — وصلت لجنة اللورد ملنر صباح الأحد ٧ الجارى (ديسمبر ١٩١٩ ) بطريقة مستترة جدا ، بحيث لم يعلن عنها فى الجرائد الا حين وصولها الى القاهرة •

« حيا الله الأمة المصرية فقد نفذت ارادتها التى أعجبت الوفد وأحكمت مقاطعتها لهذه اللجنة احكاما شديدا جدا وراقبت ذوى النفوس الصغيرة الذين كان يظن تقدمهم للتكلم مع اللجنة مراقبة شديدة حلت أعصاب « الحزب المستقل الحر » الذى كونه يد الغاصب وأمواله لهذه الغاية » •

ويمضى عبد الرحمن فهمى قائلا :

« ٤ — لم تكتف الأمة المصرية بمقاطعة اللجنة الانجليزية بل

أرادت أن تظهر استياءها للملا بطريقة محسومة فأضربت تلاميذ المدارس وطلبة المعاهد الدينية عن الدراسة وأضرب المحامون الأهليون وكذلك المحامون الشرعيون لمدة سبعة أيام ابتداء من ١٧ ديسمبر الجارى ، كذا أضرب المحامون الوطنيون لدى المحاكم المختلطة سبعة أيام كذلك أضربت الطوائف الأخرى كالحوذية وعمال القرام ولفافى السجائر الخ وكانت صيغة اضرابهم لا تخرج عن احتجاجهم على الحماية واحتجاجهم على قدوم اللجنة الانجليزية وطلب الاستقلال التام وتوجت هذه الحركة المباركة باحتجاجين عظيمين لهما من الأهمية المكانة الأولى ألا وهما احتجاجا هيئة كبار العلماء والمجلس الأعلى للأزهر والمعاهد الدينية وأولهما خاص بالاحتجاج على دخول العساكر الانجليزية يوم ١١ ديسمبر داخل الأزهر الشريف « (٤٩) » .

وفى ٧ يناير ١٩٢٠ كتب عبد الرحمن فهمى الى سعد زغلول :  
« أحمد الله الذى وفقنا الى احكام عملية مقاطعة اللجنة احكاما فاق حد المنتظر وأذهل الجميع هنا وأصبح أعضاء اللجنة الانجليزية يتنقلون لزيارة من يتوسمون فيهم خيرا لمناقشتهم أو قبول مفاوضاتهم فلم يجدوا الا اعراضا ونفورا من كل مفاوضة وأصبح ثابتا عند الجميع أن الهيئة الوحيدة التى يمكن المفاوضة معها باسم الأمة المصرية هي هيئة الوفد المصرى الموقرة » (٥٠) .

وقد أكد اللورد ملنر نفسه خطورة المقاطعة التى واجهتها لجنته فى مصر عندما أعلی « أنه كان دائما يشعر أن الوزراء كانوا يتطلعون فى قلق الى خروجنا من البلاد دون أن يلزموا أنفسهم بأى حال من الأحوال » كما أعلن يوسف وهبة فى مقابلة له مع ملنر فى ٢٩ فبراير سنة ١٩١٩ أن وزراء حكومته يؤثرون ألا يستشاروا فى أية مقترحات قد ترى لجنة ملنر أن تتقدم بها (٥١) .

(٤٩) محمد أنيس ، المصدر نفسه ص ١٦٢ — ١٦٥ : من عبد الرحمن فهمى الى سعد زغلول ، مصر ، فى ٢٧ ديسمبر ١٩١٩ .  
(٥٠) محمد أنيس ، المصدر نفسه ص ١٧٠ : من عبد الرحمن فهمى الى سعد زغلول ، مصر ، فى ٧ يناير سنة ١٩٢٠ .  
(٥١) E. Kedourie op. cit., p. 124.

ومع ذلك تقدمت لجنة ملنر بتقريرها الى وزير الخارجية مستر كيزون في ١٧ مايو ١٩٢٠ وكانت أهم مقترحاتها عقد معاهدة مع مصر وتحديد مدى اشراف بريطانيا على شئون مصر بحيث تنحصر ممارسة النفوذ المباشر في أضيق نطاق ممكن مع الاعتماد خارج ذلك النطاق على النفوذ الأدبي للمستشارين البريطانيين الذين يعملون مع الوزراء المصريين <sup>(٥٢)</sup> في ظل ادارة مصرية . وعلى ضوء توصيات اللجنة بدأت المباحثات بين الحكومة البريطانية وعدد من رؤساء الوزارات المصرية الذين لا يملكون حق التحدث باسم الشعب المصري لحل القضية المصرية على أساس من التوفيق بين بقاء الاحتلال البريطاني ورعاية المصالح الأجنبية من ناحية ، واعطاء مصر قدرا من الحكم الذاتي من ناحية أخرى وكان طبيعيا أن تجرى هذه المفاوضات بمعزل عن رأى الكثرة من سكان البلاد الذين وقفوا مع سعد زغلول مطالبين بالاستقلال التام وبدأت في عهد وزارة عدلى يكن من يوم ١٢ الى ٢٠ نوفمبر سنة ١٩٢١ وتعثرت المفاوضات واضطر عدلى الى تقديم استقالته وتعذر على بريطانيا تأليف وزارة مصرية تحظى باحترام الشعب وأخذ اللبى يضغط على حكومته لتقبل مقترحاته الخاصة بالتعاون مع من سماهم « العناصر المعتدلة » لوضع تسوية دائمة للقضية المصرية وتمخضت هذه المقترحات عن تصريح ( ٢٨ فبراير ١٩٢٢ ) بعد أن كهم اللبى أفواه المعارضة الوطنية واعتقل عبد الرحمن فهمى ( أكتوبر ١٩٢٠ ) وسبعة وعشرين من قادة الحركة الوطنية وحوكم عبد الرحمن فهمى باعتباره متهما أول في قضية المؤامرة الكبرى <sup>(٥٣)</sup> وحكم عليه بالاعدام وترددت لندن في تأييد الحكم واحتج الوفد المصرى فى باريس على الحكم الجائر وعارض ملنر تأييد الحكم قائلا : « اننا اذا أيدنا هذه الأحكام فأننا نكون قد ارتكبنا خطأ أكبر مما فعلناه فى محاكمة دنشواى » <sup>(٥٤)</sup> وأخيرا أوقفت السلطات البريطانية تنفيذ الأحكام وخفضت الحكم على عبد الرحمن

E. Kedourie op. cit., p. 123.

(٥٢)

(٥٣) اجمع المؤرخون أن هذه القضية ملفنة ، انظر محمد انيس المصدر نفسه ص ١٨ .

E. Kedourie op. cit., p. 131.

(٥٤)

فهى الى السجن • كذلك مهد اللنبى لتصريح ٢٨ فبراير باعتقال سعد زغلول ونفيه الى جزائر سينيل ( ٢٣ ديسمبر ١٩٢١ ) •

كان تصريح ٢٨ فبراير أحد انجازات اللنبى التى حققها فى وجه معارضة عنيفة من حكومته حتى هدد بالاستقالة أكثر من مرة ، وكان اللنبى يعتقد أن الجو قد خلا له بعد اسكات صوت المعارضة الوطنية لينفرد بالتعاون مع العناصر التى لم تقف الى جانب الشعب ( العناصر المعتدلة ) فى سبيل تنفيذ السياسة الجديدة التى ترمى الى الغاء الحماية مع الاحتفاظ لبريطانيا بالسلطات التى كانت تمارسها فى ظل الحماية وهى تأمين مواصلات الامبراطورية فى مصر والدفاع عن مصر وحماية المصالح الأجنبية فى مصر ومسألة السودان مع بقاء قوات الاحتلال •

وأذن مجلس الوزراء البريطانى لوجهة نظر اللنبى ومستشاريه بعد استدعائه الى لندن للتشاور وأعلن تصريح ٢٨ فبراير بعد مفاوضات بين اللنبى وثروت باشا ، مؤذنا باستقلال مصر واتخاذ ولى الأمر فيها « السلطان أحمد فؤاد » لقب ملك مصر ولكن بريطانيا احتفظت لنفسها بالشروط الأربعة سالف الذكر فيما يتعلق بتأمين المواصلات الامبراطورية والدفاع عن مصر ورعاية المصالح الأجنبية ومسألة السودان • ومن الواضح كما قال الأستاذ العقاد أن بريطانيا « لو لم تحتفظ بهذه الشروط الأربعة لكان فى جيشها المقيم بالبلاد الكفاية لتحقيق كل دعوى تدعيها وتضييع كل استقلال تعتصم به البلاد المحتلة » (٥٥) •

لكن الحكومة البريطانية أدركت بعد فترة من عدم الاستقرار فى مصر أن السياسة التى تبناها اللنبى بتأييد منها لحل القضية المصرية أفضت بهم الى طريق مسدود وأن اعتماد بريطانيا على من سمتهم « المعتدلين » فى مصر لتنفيذ سياستها كان بمثابة امتطاء صهوة الحصان الخاسر كما يقول التعبير الانجليزى ، ولم تجد مناصا من الافراج عن سعد زغلول بعد اعلان تصريح ٢٨ فبراير فعاد سعد من منفاه وخاض

(٥٥) عباس محمود العقاد ، سعد زغلول ص ٤١٤ .

الوفد أول انتخابات شعبية بعد الغاء الحماية واعلان النظام الملكى الدستورى فى مصر، وقال الشعب العربى فى مصر كلمته فى الانتخابات (٢٧ سبتمبر ١٩٢٣) وحمل سعدا على الأعناق الى كرسى رئاسة الوزارة ، وزارة الشعب الأولى ( ٢٨ يناير ١٩٢٤ ) ومنذ ذلك التاريخ بدأ الجهاد الوطنى الشاق لتحقيق الاستقلال لأن سعدا « كان يقول اذا ذكرت وزارة الشعب الأولى وأزماتها ومعضلاتها : ان عيينا الأكبر فى تلك الوزارة أننا أخذناها جدا وصدقنا أننا مستقلون » (٥٦) .

\* \* \*

## الصَّهْيُونِيَّة

● ترقب اليهود للمعجزة — المركز الروحي لليهود المنفى « Diaspora » جبل صهيون — أحلام اليهود في العودة الى فلسطين — الصهيونية السياسية فكرة حديثة — البحث عن أسس فلسفية — موسى هس — المسألة اليهودية — هرنزل والدولة اليهودية — خلاف يهودي حول الصهيونية — بنسكر والحل الاقليمي — التحرر النفسي — الاحتماء بالنفوذ البريطاني — مؤسس بان — وايرمن يصي على الصهيونية طابعا فلسفيا — براندائيس — احدها عام — كثره يهود انعام ضد الصهيونية — توينبي وابا ايلان — معارضة عاتية ضد الصهيونية في بريطانيا وفرنسا — تحالف الصهيونية والاستعمار البريطاني — وزارة الخارجية الامريكية ضد وعد بلفور — الحرب العالمية الاولى ترجع كفة الصهيونية — النظام المصري الأمريكي في قبضة اليهود الالمان — ابتزاز صهيوني — « Warburg » — اسرة « Herr Warburg » — « Untermyer » — التنسيق بين براندائيس وايزمان والرئيس ويلسون — تحول امريكي رسمي لصالح الصهيونية — السناتور « J.A. Reed » يعارض وعد بلفور — الصهيونية تعد وثيقة الانتداب البريطاني على فلسطين — اللجنة الصهيونية في القدس — وايزمان يهدد — ثورة شعب فلسطين — لجان التحقيق — بلفور في فلسطين يرافقه بولسون نيومان — بلفور يتحرك في فلسطين تحت الحراسة المشددة — المتظاهرون يرمون بلفور بالحجارة — عصبية الامم تحيز وعد بلفور ووثيقة الانتداب على فلسطين — الصهيونية تحقق اهدافها ..

\* \* \*





## الصهيونية

من المعالم الشهيرة فى تاريخ اليهودية قلعة مدينة القدس القديمة المعروفة بجبل صهيون وهو معلم ارتبط فى أذهان اليهود ومشاعرهم بتاريخ عقيدتهم وذاكرات ماضيهم البعيد باعتباره المركز الروحي لليهود المنفى فى ترقبهم للمعجزة التى تعود بهم الى فلسطين مرة أخرى ومنه استمدت الصهيونية الحديثة اسمها واتخذ منه دعائها أساسا فلسفيا لفكرتهم التى تسعى الى تحقيق أحلام اليهودية فى العودة الى الأرض الموعودة عن طريق العمل السياسى والنفوذ الاقتصادى والغزو الحربى والارهاب الفكرى تحت ستار مقاومة نزعة عداء السامية وذلك على نقيض المعتقدات السائدة لدى الكثرة الساحقة من يهود العالم الذين كانوا يتطلعون الى العودة من منطلق الاعتقاد فى المسيح المنتظر .

ولعل منشأ الفكرة الصهيونية فى صورتها الحديثة يرجع الى الدعوة التى تبناها ثلاثة من رواد الصهيونية الأوائل خلال القرن التاسع عشر وكان لكل منهم تصوره الخاص للفكرة الصهيونية ، وأول هؤلاء موسى هس ( ١٨١٢ - ١٨٧٥ ) الذى حاول فى كتابه « روما والقدس » ( ١٨٦٢ ) أن يجد للصهيونية أسسا فلسفية تجعل منها مذهباً كغيرها من المذاهب التى ظهرت فى القرن التاسع عشر <sup>(١)</sup> . ويعتبر هس فى نظر الصهيونيين أول من وضع النظرية وحدد معالم الطريق للحركة الصهيونية <sup>(٢)</sup> وكان فى اعتقاده أن فرنسا - بما لها من نفوذ فى شرقى البحر المتوسط - ستقوم بمساعدة اليهود لاقامة مستعمرات تمتد من السويس الى القدس ومن ضفاف الأردن الى ساحل البحر المتوسط <sup>(٣)</sup> .

---

(١) ابراهيم الحاردلو : الصهيونية وعداء السامية ، قسم التأليف والنشر - جامعة الخرطوم ١٩٧٠ ص ٩ .

(٢) Leo Pinsker, Auto Emancipation . The Zionist Organization of America, Washington D. C. 1944 p. 4.

(٣) L. Stein, The Balfour Declaration, London, 1961 p.p. 11 - 12 .

ثم جاء ليو بنسكر <sup>(٤)</sup> بكتابه « التحرر النفسى » الذى نشر فى برلين عام ١٨٩٢ ونادى فيه بحل اقليمي للمسألة اليهودية قائلا : « ليس اليهود أمة لأنهم يفتقرون الى أحد المقومات الأساسية للأمة وهى العيش المشترك فى رحاب دولة واحدة . وما دام اليهود يهيمنون فى دار الشتات « Diaspora » فانهم لن يستطيعوا تحقيق آمالهم فى العيش كما تعيش الأمم . وعندما حاول اليهود الانصهار فى المجتمعات الأخرى ونبذوا — الى حد ما — قوميتهم ، لم تعترف لهم تلك المجتمعات بحق المشاركة فى الوطن على قدم المساواة ، ولكن أكبر عقبة تحول بين اليهود وبين تحقيق وجودهم القومى المستقل هى عدم احساسهم بالحاجة الى ذلك الوجود المستقل الذى استعاضوا عنه بوحدتهم الروحية بعد زوال كيانهم السياسى <sup>(٥)</sup> ثم توجه بنسكر الى اليهود بنداء لنبذ ما سماه الفكرة الخيالية التى وقرت فى أذهانهم بأن قبولهم الاستكانة فى دار الشتات هو قدرهم المحتوم <sup>(٦)</sup> .

ويمكن القول ان الفكرة الصهيونية التى تهدف الى حل المسألة اليهودية عن طريق العمل السياسى المنظم والنشاط الديبلوماسى لم تظهر الا فى نهاية القرن التاسع عشر مع ظهور كتاب « الدولة اليهودية » فى فبراير ١٨٩٦ لتيودور هرتزل ( ١٨٦٠ — ١٩٠٤ ) وانعقاد المؤتمر الصهيونى الأول فى مدينة بال ( بسويسرا ) فى ٢٩ أغسطس ١٨٩٧ .

(٤) ولد ليو بنسكر فى بولندا عام ١٨٢١ ومات فى روسيا سنة ١٨٩١ . كان طبيبا مرموقا المكانة . شارك بقلمه فى أول مجلة يهودية فى روسيا ودعا الى المساواة فى الحقوق بين اليهود والمواطنين الروس وكان من دعاة الانصهار « Assimilation » ولكنه غير رأيه بعد حوادث الاضطهاد التى وقعت على اليهود فى اوديسا عام ١٨٧١ ثم تخطى عن دعوة الانصهار بعد موجة الاضطهاد التى سميت بمذابح سنة ١٨٨١ فى روسيا ضد اليهود وأخذ يدعو الى القومية اليهودية باعتبارها حلا للمسألة اليهودية لأن الانصهار لم يعد فى نظره حلا مجديا ما دام اليهود يعيشون بلا وطن تحت مطارق عداة السامية . ومن ثم أصدر كتابه « التحرر النفسى » وأصبح فيما بعد رئيسا لجمعية أحباب صهيون فى بلده .

انظر : The Universal Jewish Encyclopaedia New York 1941 Vol. 8 p. 537.

Pinsker op. cit. pp. 8 - 9 .

(٥)

Pinsker op. cit. p. 18.

(٦)

لقد كان ميلاد الحركة الصهيونية فى صورتها السياسية فى نهاية القرن التاسع عشر ظاهرة جديدة تختلف اختلافا جوهريا عن فكرة العودة كما تصورها يهود العالم حتى نهاية ذلك القرن وبداية القرن العشرين •

كانت العودة الى فلسطين قبل هرتزل أملا دينيا يتطلع اليه اليهود الى تحقيقه بفعل الارادة الالهية ولم يكن لديهم أدنى تصور لتحقيق العودة فى اطار الفكرة القومية الحديثة تحت راية الوطن القومى وحماية القانون العام • بل كانوا يرون أية مبادرة بشرية لتحقيق العودة بمجهود بشرى ضربا من الاثم (٧) •

لقد سلفت الاشارة الى المحاولات التى بذلت منذ عهد بالمرستون فى القرن التاسع عشر ( انظر الفصل الثانى ) لتسلك اليهود الى فلسطين تحت شعار اصلاح أوضاع اليهود فى الشرق برعاية الحكومة الانجليزية وقد ازداد هذا النشاط اليهودى بعد أن حسمت الدول الأوروبية الكبرى النزاع بين محمد على باشا والى مصر والسلطان العثمانى ( ١٨٣٩ - ١٨٤٠ ) وعادت سوريا الى دائرة النفوذ العثمانى وكان زعيم حركة التسلك اليهودى الى فلسطين موسى مونتفيور ( ١٧٨٤-١٨٨٥ ) (٨) ومن ثم شرع بالمرستون بعد تسوية عام ١٨٤٠ ( معاهدة لندن ) فى تنفيذ مقترحات مونتفيور ، وكان محور تلك المقترحات تشجيع الهجرة اليهودية الى فلسطين لأن ذلك من شأنه أن يخلق لانجلترا مركزا لدعم نفوذها السياسى ورعاية مصالحها الاقتصادية فى سوريا ونشر الحضارة فى ذلك الاقليم لقاء تأييد انجلترا لمطالب اليهود أمام الباب العالى بإنشاء مستعمرة يهودية فى فلسطين لأغراض التنمية الزراعية والتجارية (٩) •

(٧) Arnold Toynbee, A Study of History ( Oxford U. Press ) London, 1969 Vol. 8 p. 298.

(٨) Nahum Sokolow, History of Zionism, Longmans, London, 1919, Vol. I pp. 115 , 116 .

(٩) W. T. Young to Viscount Canning F. O. 78 / 501 ( Separate ) London, 13 Jan. 1842, Enc. 1 to 29. A. M. Hyamson, =

ثم ظهرت حركة « أحباب صهيون » فى روسيا القيصرية (١٨٨٤) اثر موجة الاضطهاد التى اجتاحت اليهود فى عام ( ١٨٨١ و ١٨٨٢ ) ولكن كل هذه الحركات كانت مجرد ردود فعل لما واجه اليهود فى أوروبا الغربية وروسيا القيصرية من ضروب الاضطهاد التى عرفت بعداء السامية .

وفى السنوات الأخيرة من القرن التاسع عشر أثارت قضية دريفوس الشهيرة ( ٢٥ أكتوبر — ٢٣ ديسمبر ١٨٩٤ ) (١٠) اهتماما كبيرا فى العالم الأوروبى واليهودى وبلغت كراهية اليهود ذروتها فى فرنسا أثناء تلك الفترة عندما كانت الهتافات تدوى فى شوارع باريس بسقوط اليهود « a bas les juifs » (١١) وقضية دريفوس هى التى دفعت تيودور هرتزل مراسل الصحيفة النمساوية « Neue Freie Presse » الى الشروع فى اعداد كتابه « الدولة اليهودية » فى صيف عام ١٨٩٥ وبعد فترة من التردد قام هرتزل بنشر الكتاب فى ١٤ فبراير عام ١٨٩٦ بتشجيع زميله ماكس سيمون ناردو الذى أصبح ساعده الأيمن بعد مؤتمر بال ، غاثار القضية اليهودية ( قضية الاضطهاد والتشرد ) على نطاق واسع وقوبل كتابه بالاعراض والنقد فى بعض الدوائر وبالتأييد فى دوائر أخرى وأخيرا استجمع هرتزل قواه ودعا الى عقد المؤتمر

= The British Consulate in Jerusalem, London 1939 Vol I, pp. 41 - 46 .

يلاحظ ان اسطورة اقامة قاعدة صهيونية فى فلسطين لنشر الحضارة ورعاية المصالح الانجليزية ضد ما سموه « البربرية الآسيوية » هى نفس الاسطورة التى ردها هرتزل فى كتابه « الدولة اليهودية » وذكرها « C. P. Scot » فى رسالته بتاريخ ١٢ نوفمبر ١٩١٤ الى لويد جورج .  
انظر :

Herzl, The Jewish State Fifth Ed. London, 1968 p. 30.,

E.D. Blanche, The Balfour Declaration, Jerusalem, 1940

p. 25 .

(١٠) انظر موجز قضية دريفوس فى مجلة الرسالة ( القاهرة ) عدد ١١ بتاريخ ١٢ أغسطس ١٩٣٥ ص ١٢٩٠ — ١٢٩٣ للاستاذ محمد عبد الله عنان .

James Parkes, Five Roots of Israel, London, (١١)

1964, p. 26 .

الصهيوني في مدينة « بال » عام ١٨٩٧ وتأسست المنظمة الصهيونية واتخذ المؤتمر قراره الذي جاء فيه أن الصهيونية تهدف الى انشاء وطن لليهود في فلسطين تحت حماية القانون العام (١٢) . ويرى قادة الصهيونية أن أهمية الدور الذي لعبه هرتزل لا تكمن في اصدار كتاب « الدولة اليهودية » بقدر ما ترجع الى قدرته على التنظيم ودعوته الى عقد أول مؤتمر صهيوني ، ذلك أن شخصية هرتزل كانت موضع نقد اذ وصفت أفكاره عن الصهيونية بالساذجة والسطحية ووصف هو بأنه كان يجهل اليهودية وآدابها وثقافتها كما يجهل جذور الحركة الصهيونية التي سبقت دعوته .

ومع أن حركة هرتزل — كغيرها من الحركة اليهودية التي سبقتها — كانت نابعة في المقام الأول من احساس الجاليات اليهودية بأنها أقليات مشردة ومضطهدة ، فقد حاول دعاة الصهيونية السياسية بعد مؤتمر بال أن يضيفوا عليها طابعا فلسفيا عقائديا وزعم حايم وايزمان أنه عندما يتحدث عن الصهيونية فإنه ينطق بلسان ملايين اليهود الذين لا يستطيعون التحدث بما تنطوي عليه صدورهم (١٣) ومن السخرية أن يدلى وايزمان بهذا الحديث الى آرثر بلفور في عام ١٩٠٦ عندما كان يهود العالم ينظرون الى صهيونية هرتزل نظرة ارتياب ولم يكن وايزمان وحده في هذا الادعاء ولكن كانت تؤازره حفنة من زعماء الحركة الجديدة منهم ناحوم سوكلوف ( ١٨٦٠ — ١٩٣٦ ) مؤرخ الصهيونية والناطق باسمها بعد موت هرتزل وسفيرها في القارة الأوروبية ومنهم «أحدها عام» (١٨٥٦ — ١٩٢٧) « Asher Ginsberg » فيلسوف الحركة الصهيونية وناقدها ، ومنهم القاضى الأمريكى لوى براندايس .

ان الصهيونية في نظر وايزمان هي قوة للحياة والابداع تسرى في أوصال اليهود وليست حاجة عمياء في نفس شعب مشرد يبحث عن وطن يؤويه ، ولا يوافق وايزمان على رأى هرتزل الذي يرد منشأ الحركة

(١٢) Herzl, op. cit. p. 5.

(١٣) Chaim Weizmann, Trial and Error Hamish Hamilton, London 1950, p. 144.

الصهيونية الى مأساة الاضطهاد والفقر والمشتات (١٤) بل يردها الى عزم الشعب اليهودى على الاحتفاظ بما سماه صفاته الخلاقة ونزعته الايجابية .

ويستطرد وايزمان فى مجال آخر فيعرف الصهيونية بأنها عزم الشعب اليهودى خلال عشرين قرنا من التشرذ على تنظيم حياته فى صورة جماعية ذات طابع خاص به وحده على أساس من العقيدة التى تربط بين خلود اسرائيل واله اسرائيل وهيمنته على الكون ومن تلك العقيدة تنبثق آمال اليهود القومية فى العودة الى ما سماه موطنهم حيث يلتقون بعد فرقة لممارسة حياة يهودية جديدة فى أرض يهودية (١٥) .

ويخاطب لوى براندايس (١٦) الاجتماع السنوى « لفرسان صهيون » فى شيكاغو الذى عقد فى الثانى من يناير عام ١٩١٦ قائلا : « انكم فى رأى لا تستطيعون أن تؤدوا واجبكم اليهودى ان لم تعملوا على دفع الشعب اليهودى الى المرتبة التى تمكنه من خدمة أمريكا والمعالم على أفضل وجه وهذا لا يتم الا بتحقيق الحلم الذى راودنا عصورا طويلة وتحقيق دعوات اليهود وابتهالاتهم بأن يكون لهم

Weizmann, op. cit. p. 223.

(١٤)

Weizmann , What is Zionism, The Zionist Organization London, Bureau, London, 1919, p. 4 - 12.

(١٥)

(١٦) « Louis D. Brandeis » أحد دعائم الصهيونية فى الولايات المتحدة الأمريكية وهو من اصل المانى . ولد فى عام ١٨٥٦ ونشأ وتعلم فى المانيا . كان من أشهر رجال القانون فى عصره . عينه الرئيس وودرو ويلسون قاضيا بالمحكمة العليا سنة ١٩١٦ . حمل راية الصهيونية فى أمريكا بعد انقوله نجها فى أوروبا قبل الحرب العالمية الأولى وهو المسئول الأول عن تأييد حكومة الرئيس ويلسون لوعده بلفور ، رغم معارضة وزارة الخارجية الأمريكية . زار فلسطين عام ١٩١٩ . وهو القائل : « ان المثل العليا لأمريكا فى القرن العشرين هى المثل التى دعت اليها اليهودية منذ عشرين قرنا » وقد اختاره ويلسون رئيسا للوفد الأمريكى فى مؤتمر الصلح .

The Universal Jewish Ency. Vol 2, p. 495.

انظر :

E. Rabinowitz, Justice L. Brandeis, N. Y. : وانظر ايضا :  
1968, p. 61.

وطن مرة أخرى يمارسون فيه حياتهم اليهودية وفقا للروح اليهودية (١٧) .

أما « أحدها عام » (١٨) الذي يتمتع باحترام خاص بين قادة الصهيونية الحديثة فيرى أن الحركة الصهيونية يجب أن تستند الى العمل المثمر الذي يعنى بالكيف قبل الكم . وكان يرى أن التحرر النفسى لليهود لا يتم الا عن طريق الترويض النفسى ومن ثم كان يرى فى منظمة « أحباب صهيون » ومؤتمر بال مجرد تجمعات تفتقر الى برامج أساسية تعنى بالتربية والنهضة الروحية التى هى قوام الدولة اليهودية .

ومهمة الصهيونية فى رأى « أحدها عام » تتمثل فى بعث الروح اليهودية وتقوية العاطفة القومية التى ضعفت بين اليهود من جراء الاضطهاد المرير ، وانقاذهم من النزعة الفردية التى تردوا فيها ، وحثهم على العمل الجاد من أجل بناء أمتهم وهذه مهمة شاقة لا تتحقق بالخطب والعمل الفردى والتعجل لاقتطاف الثمار (١٩) .

لقد أشاد « أحدها عام » بوعد بلفور ولكنه كان يرى أن الصيغة التى ظهر بها الوعد مخيبة للأمال لأنها اكتفت بذكر انشاء « وطن قومى لليهود فى فلسطين » بدلا عن النص الذى اقترحتة المنظمة الصهيونية

(١٧) Zionist ( Collection ) Brandeis on Zionism  
Organization of America Washington D. C. 1942, p. 84.

(١٨) « أحدها عام » واسمه الحقيقى « اشير جنزبرج » من أشهر دعاة الفكرة الصهيونية فى جيله . ولد فى روسيا عام ١٨٥٦ ومات فى تل أبيب سنة ١٩٢٧ . تميز بين أقرانه بالتعمق فى دراسة اليهودية ووضوح الفكر وبرز اسمه ناقدا للحركة الصهيونية واختلف مع قادتها فى أهدافهم ووسائلهم ، وكان له رأى خاص فى حركة استيطان فلسطين على عهد البارون ادموند روتشيلد فى نهاية القرن التاسع عشر . كان يرى أن أسلوب هرتزل فى العمل لا يحقق أهداف الصهيونية وكان يوجه اهتمامه الأكبر الى تعبئة الجهود المادية والعقلية والتربية الروحية بين اليهود وهذا فى رايه يتطلب جهدا وصبرا وإناة .

The U.J. Encyc. Vol. 1, P. 135.

(١٩) Achad Ha-am, Essays on Zionism and Judaism  
Leon Simon.

ترجمه عن العبرية :

G. Routledge and Sons Ltd. London, 1922 pp. 10 — 13.

( ١٢ ) — نكبة الامة العربية )

« باعادة بناء الوطن القومي القديم لليهود » والنص الأول فى رأى «أحدها عام» غير مقبول لأنه يجعل من فلسطين وطنا لليهود والعرب على السواء !! <sup>(٢٠)</sup> ومع ذلك فانه رحب بتأييد مؤتمر الصلح فى باريس (١٩١٩) لوعده بلفور واعتبر هذا التأييد بمثابة التزام دولى .

هذه طائفة من آراء قادة الصهيونية الحديثة حول الفكرة التى اعتنقوها وعملوا من أجلها فهل تتفق هذه الآراء مع تصور الجاليات اليهودية فى العالم لفكرة العودة الى جبل صهيون وفقها لمعتقداتهم الدينية ؟ يجيب الأستاذ «أرنولد توينبى» بالنفى القاطع <sup>(٢١)</sup> ولكن الاجابة من أحد أعلام المؤرخين فى هذا القرن (الأستاذ توينبى) على هذا النحو تثير ثائرة «أبا اييان» وزير خارجية اسرائيل الأسبق فيرد عليه بمقالة تحمل عنوانا صارخا هو «هرطقة توينبى The Toynbee Heresy» ويقول أن فكرة «العودة» تعتبر فى المصادر الاسرائيلية ارادة الهية وواجبا بشريا <sup>(٢٢)</sup> . ان توينبى لم ينف أن لليهود حقا فى العودة الى فلسطين لأداء شعائرتهم الدينية — وهذا حق ظلوا يمارسونه طوال حياتهم دون أن يعترض طريقهم أحد — ولكنه أنكر على الصهيونية احتلالها فلسطين بقوة السلاح واخراج أهلها منها بغير حق ونهب ممتلكاتهم على نحو ما حدث فى واقع الأمر <sup>(٢٣)</sup> وذلك تحت ستار «العودة» .

أما المصادر اليهودية نفسها فتقول ان فكرة «العودة» واردة فى كتابهم المقدس ولكن بعض فلاسفة اليهود لا يؤمنون بعودة مملكة داوود أو اعادة بناء المعبد أو امتلاك فلسطين مرة أخرى ويرفضون رفضا

Achad Ha-am, op. cit. p. 16. (٢٠)

Toynbee, op. cit. p. 298. (٢١)

Abba Eban, The Toynbee Heresy, Israel Institute, (٢٢)  
Yeshna University, New York. Address Delivered on Jan. 18, 1955.

A. Toynbee, The Middle East, Past and Present (٢٣)  
An Article Published in the Arab — Israel Impasse Edited by Majidia Khadduri, Robert B. Luce Inc. Washington, 1968 p. 42.



بأنا فكرة الوطن القومي لليهود •• وقد قرر مؤتمر الأحرار اليهود فى فرانكفورت ( ١٥ — ٢٨ يوليو ١٨٤٥ ) حذف الجزء الخاص بالدعاء للعودة الى فلسطين من التعاليم اليهودية • وفى المؤتمر اليهودى فى فلادلفيا ( ٣ — ٦ نوفمبر ١٨٦٩ ) ورد فى الجزء الأول من وثيقة المبادئ التى أصدرها المؤتمر أن الغرض الدينى من عودة بنى اسرائيل هو وحدة كل أبناء اسرائيل فى اعترافهم بوحدانية الله • وأصدر مؤتمر « Pittsburg » ( ١٦ — ١٨ نوفمبر ١٩٨٥ ) بيانا مؤيدا لذلك جاء فيه « اننا لم نعد نعتبر أنفسنا أمة بل طائفة دينية ومن ثم فاننا لا نتوقع العودة الى فلسطين » (٢٤) وقال بعض النقاد اليهود: ان الذين أصدروا مثل هذه البيانات لم يفسروا كتابهم تفسيراً صحيحاً أو أنهم كانوا يتجاهلون تعاليمه وحتى اذا سلمنا بصحة هذا النقد — وهو موضع شك كبير — فان المعارضة التى واجهتها الصهيونية السياسية ابان ظهورها وخاصة بعد صدور وعد بلفور من الطوائف اليهودية فى أوروبا وبريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية لتنهض دليلاً قوياً على أن صهيونية هرتزل ووايزمان وبراندائيس كانت بدعة مستنكرة فى نظر الكتلة من يهود العالم •

كانت المعارضة ضد الصهيونية قوية فى أوروبا الغربية وكان من أبرز المنظمات اليهودية التى قادت تلك المعارضة الحلف الاسرائيلى العالمى الذى تأسس فى فرنسا عام ١٨٦٠ وفيما عدا أسرة روتشيلد وعلى رأسها البارون آدموند (٢٥) كان كل زعماء اليهود فى فرنسا ضد الصهيونية •

وفى بريطانيا حمل لواء المعارضة ضد الصهيونية الاتحاد البريطانى اليهودى برئاسة الدكتور « Claude G. Montifiore » وتقدم هذا الاتحاد بمذكرة قوية الى مجلس الحرب البريطانى فند فيها

(٢٤) U.J. Encyclopaedia Vol, 12, pp. 666 - 667.

(٢٥) James Malcolm, origins of The Balfour Declaration,

( Unpublished ) London, July, 1944 British Museum Reading Room Ref. C.U.P. 1247 C. 28 p. 7.

دعاوى الصهيونية. ونشر مونتفيور مع زميله « David L. Alexander » رئيس لجنة النواب من اليهود البريطانيين مقالا ضد الصهيونية في صحيفة التايمز اللندنية بتاريخ ١٧ مايو ١٩١٧ وأثار المقال ضجة كبرى دفعت وايزمان الى الرد عليهما في نفس الصحيفة بتاريخ ٢٨ مايو ١٩١٧ (٢٦) .

وقد حاول وايزمان في مذكراته أن يقلل من أهمية هذه المعارضة فوصف القائمين بها بأنهم قلة من اليهود الأثرياء والرجعيين دعاة الانصهار « Assimilationists » (٢٧) . غير أن الخلاف بين الصهيونية في بريطانيا والمعارضين لها من اليهود البريطانيين لم يكن بهذا القدر المتواضع كما زعم وايزمان . لأن الخلاف بلغ حدا دعا الى عقد اجتماع بين الفريقين في ١٤ ابريل ١٩١٥ للحوار والوصول الى اتفاق وكان وفد الحركة الصهيونية يضم دكتور جاستر وتشلنوف وسوكولوف وجوزيف كوين وهربرت بتوبنثس وتكون الوفد المعارض للصهيونية من دافيد الكسندر وكلود مونتفيور ولوسين وولف ولم يصل الطرفان الى اتفاق (٢٨) .

أما في الولايات المتحدة الأمريكية فلم تجد الصهيونية استجابة تذكر قبل ظهور لوى براندايس . لقد توجه هرتزل الى يهود أمريكا بدعوة في يونيو عام ١٩٠١ يحثهم على التضامن معه لحل القضية اليهودية ويذكرهم بالعبودية التي يرسف فيها اخوانهم في أوروبا ولكن يهود أمريكا قابلوا دعوته بالهتور ووصف بعضهم الصهيونية بأنها ازعاج لسلام الذهن وعقبة أمام استيعاب اليهود في البيئة الديمقراطية وأنها فوق ذلك لا تتفق وولاءهم لأمريكيتهم وأنها تعيد الى أذهانهم ذكريات يودون أن يسدلوا عليها الستار (٢٩) .

Ed. D. Blanche op. cit. p. 31.

(٢٦)

Weizmann, op. cit., p. 200.

(٢٧)

I. Friedman, The question of Palestine, 1914

(٢٨)

— 1918, London, 1973, P. 35.

Samuel Halperin, The Political World of American

(٢٩)

Zionism, Wayne State University Press, Detroit, 1961, p. 10.

أما اليهود التقليديون فنبذوا الفكرة الصهيونية لأنها لا تتفق وفكرة العودة كما وردت في تعاليمهم الدينية وواجهت الحركة العمالية الأمريكية فكرة الصهيونية بالاعراض باعتبارها حركة رجعية (٣٠) .

ان هذه المعارضة التي أبداها يهود العالم ضد الصهيونية وضد وعد بلفور هي التي دفعت المسؤولين في الحكومة البريطانية الى اضافة بعض التحفظات في صيغة التصريح وهي ذلك الجزء الذي نص على ألا تضار « الحقوق أو الوضع السياسي الذي يتمتع به اليهود في البلدان الأخرى » (٣١) وفي هذا التحفظ اعتراف بخطورة تلك المعارضة .

وحتى في الدوائر الرسمية كانت هناك معارضة لا يستهان بها ضد الصهيونية في كل من لندن وواشنطن وباريس وكان قائد المعارضة في مجلس الوزراء البريطاني ضد وعد بلفور أدوين مونتاجو وهو من أصل يهودي . لقد وقف مونتاجو ضد الصهيونية منذ أن قدم هربرت صمويل مذكرته عن مستقبل فلسطين في يناير عام ١٩١٥ الى مجلس الوزراء البريطاني وأثار فيها أهمية فلسطين الاستراتيجية وضرورة وضعها تحت نفوذ بريطانيا بعد نهاية الحرب واقامة دولة يهودية فيها لحماية المصالح البريطانية (٣٢) . ففي رسالة وجهها في ١٦ مارس عام ١٩١٥ الى هربرت اسكويث رئيس الوزراء البريطاني فند مونتاجو الزعم القائل بضرورة استيلاء بريطانيا على فلسطين من أجل الدفاع عن مصر وقال ان المصلحة الكامنة خلف هذا الاقتراح لا تعدو أن تكون آخر الأمر انشاء دولة يهودية في فلسطين تحت الحماية البريطانية وهذه في اعتقاده الراسخ سياسة من شأنها أن تؤدي الى كارثة (٣٣) .

وكان قادة الصهيونية في بريطانيا يخشون أن تؤدي معارضة

|                                    |      |
|------------------------------------|------|
| Halperin, op. cit., P. 11          | (٣٠) |
| Ed. D. Blanche op. cit. P. 8.      | (٣١) |
| Stein, op. cit., PP. 103 — 108.    | (٣٢) |
| I. Friedman, op. cit., pp. 22 — 24 | (٣٣) |

مونتاجو الى التضاء على وعد بلفور (٢٤) في مهده ولكنهم وجدوا تأييدا رسميا قويا وخاصة بعد التغيير الوزاري الذي شهدته العاصمة البريطانية اثر استقالة هيربرت اسكويث رئيس الوزراء في ٥ ديسمبر ١٩١٦ واستناد رئاسة الوزارة الى دافيد لويد جورج ووزارة الخارجية الى آرثر بلفور . وكان اسكويث معروفا بأنه لم يكن من مؤيدي الفكرة الصهيونية ولا الوطن القومي لليهود بينما كان لويد جورج ولفور من أقوى مؤيدي الصهيونية ومن أكثر المعجبين بوايزمان وقد ذكر وايزمان أن مذكرات لويد جورج توحى للقارئ بأن وعد بلفور كان بمثابة مكافأة لوايزمان لقاء الخدمة التي أسداها لبريطانيا (٢٥) . ومع ذلك فان معارضة مونتاجو كانت مصدر قلق عظيم لمؤيدي الصهيونية الذين حاولوا أن ينالوا منه بالظعن في سلامة مقصده وذهبوا الى تفسير عدائه للصهيونية بأنه نابع من عقدة انتماؤه اليهودي ومن دافع المحافظة على مركزه الشخصي ومستقبله السياسي (٢٦) ولكن يبدو أن هناك اعتبارات سياسية هامة دفعت مونتاجو الى اتخاذ هذا الموقف وهي ادراكه للنتائج الخطيرة التي قد يتمخض عنها اصدار الوعد فقد روى عنه أنه قال بعد سماعه اعلان وعد بلفور وهو في الهند :

« لقد حاولت الحكومة ( البريطانية ) أن تقيم شعبا لا وجود له وأثارت قلق العالم الاسلامي بأسره دون أن يكون هناك ما يوجب الاثارة » (٢٧) . ولا شك أن التجربة التي خاضتها بريطانيا مع العالم العربي والاسلامي بعد اعلان وعد بلفور أثبتت أن مونتاجو كان أرحب أفقا وأبعد نظرا من أقرانه في مجلس الوزراء البريطاني الذين ساروا في ركاب الصهيونية وذلك فضلا عن أن وجهة نظر مونتاجو في هذا الصدد تتفق وما ذكره السير رونالد ستورز في مذكراته ( انظر الفصل الثالث ) من أن السياسة البريطانية في الشرق الأوسط خلال الحرب العالمية الأولى كانت تخشى غضبة عشرات الملايين من المسلمين في الهند

Stein, op. cit. p. 496.

(٢٤)

Weizmann, op. cit. p. 192

(٢٥)

Stein, op. cit. p. 498.

(٢٦)

Stein, op. cit. p.p. 500 - 501 .

(٢٧)

ودعاة الوحدة الاسلامية فى مصر • واذا كانت الحكومة البريطانية لم تصنع الى مونتاجو وهو يحذرهما قبل ارتكاب الخطأ فقد اضطرت الى الاستماع الى خيرة علمائها وممثليها السياسيين وهم ينحون عليها باللائمة بعد وقوع الكارثة •

لقد تحدث ممثل بريطانيا « Sir Ormsby - Gore » فى اللجنة الدائمة لشئون الانتداب سنة ١٩٣٧ عن فشل السياسة البريطانية تجاه فلسطين والعالم العربى وعن الأسس الخاطئة التى استندت اليها الحكومة البريطانية فى اصدار وعد بلفور فقال :

« كانت السياسة البريطانية فى فلسطين منذ اعلان وعد بلفور وحتى سنة ١٩٣٧ قائمة على أساس تنفيذ وعد بلفور بانشاء الوطن اليهودى وكان مبعث هذه السياسة الاعتقاد بأن العرب واليهود سوف ينسجون الخلاف بينهم فى غضون هذا القرن وينصهرون فى شعب واحد لأنهم ينحدرون أصلاً من سلالة واحدة ويتصل نسبهم بأبراهيم الخليل ( عليه السلام ) وقد أثبتت التجربة البريطانية خلال سبعة عشر عاماً ( ١٩٢٠ — ١٩٣٧ ) فشل تلك السياسة القائمة على هذا الافتراض » (٢٨)

ويمضى ممثل بريطانيا فى حديثه قائلاً « ان سياسة القمع فى فلسطين من شأنها أن تؤدى الى الزج ببريطانيا فى صراع مع المسلمين بل فى صراع بين المسلمين من جانب وبريطانيا واليهود فى جميع أنحاء العالم من ناحية أخرى • انها لمأساة • • لقد كان العالم المسيحى فى العصور الوسطى يتخذ من اليهود موقفاً لا نستطيع أن ننظر اليه بعين الرضا بينما كان العالم الاسلامى بوجه خاص يعامل اليهود معاملة ودية فى اسبانيا وفى الشرقين الأدنى والأوسط ، وعندما أخرج اليهود من اسبانيا لم يجدوا ملاذاً يسكنون اليه بأعدادهم الكثيرة الا فى بغداد وغيرها من البلاد العربية • أما اليوم ( ١٩٣٧ ) فان الجاليات اليهودية

---

(٢٨) League of Nations, Permanent Mandates Commission Minutes of the Thirty-second (extraordinary) session Held at Geneva, 30 - 7 to 18 - 80, 1937. Geneva, 1937, pp. 16 - 17.

فى تلك البلاد تواجه خطرا عظيما بسبب فلسطين ومن المحتمل أن تسوء العلاقات الى حد ينذر بالخطر بين اليهود وبين المسلمين فى العالم كله ما لم نجد حلا لقضية فلسطين» (٣٩) .

وقال العالم البريطانى الديپلوماسى «D. G. Hogarth» «ان وعد بلفور صدر استنادا الى أفكار خاطئة ومصدر الخطأ أن الحكومة البريطانية فى عام ١٩١٧ لم تدرك أن الشعب العربى لم يعان من اضطهاد الأتراك بالقدر الذى يدفعه الى التحرر اذا كان ثمن الحرية هو الخضوع لسيطرة أجنبية جديدة» (٤٠) .

ويأخذ هوجارث على الحكومة البريطانية أنها أخفت عن العرب المعنى الحقيقى لوعد بلفور زهاء خمس سنوات فلم توضح لهم الا فى سنة ١٩٢٢ أن وعد بلفور لا يعنى سيطرة اليهود على فلسطين (٤١) ولكن هوجارث يستدرك قائلا انه «لم يكن فى استطاعة بريطانيا أن تصدر مثل هذا الايضاح فى سنة ١٩١٧ لأنها لو فعلت ذلك لفقدت تأييد الصهيونية» (٤٢) .

وفى الولايات المتحدة الأمريكية كان وزير الخارجية «روبرت لانسنج» على رأس المعارضين لوعد بلفور ونصح الرئيس ويلسون ألا يخضع لضغط الصهيونية الأمريكية (مثلة فى لوى براندايس) لالزام الحكومة الأمريكية بتأييد الوعد وكان لانسنج يستند فى تقديم هذا النصح الى أسباب قوية منها أن أمريكا لم تكن فى حالة حرب مع تركيا وأنه ليس هناك اتفاق بين اليهود أنفسهم لانشاء وطن خاص بهم وأن وضع الأرض المقدسة تحت السيطرة الكاملة لليهود سوف يثير

League of Nations, op. cit. p. 17 (٣٩)

(٤٠) مقدمة هوجارث لكتاب :

Philip Graves, Palestine, The Land of Three Faiths, London, 1923 p. 5 - 6.

(٤١) يشير المؤلف هنا الى الكتاب الذى اصدره ونستون تشرشل فى عام ١٩٢٢ ولكن الواقع أن وعد بلفور كما فهمته الصهيونية والحكومة البريطانية كان يعنى سيطرة اليهود على فلسطين ولكن فى المدى البعيد عندما يحرز اليهود الكثرة العددية من السكان عن طريق الهجرة .

Philip Graves, op. cit. p. 6. (٤٢)

غضب الطوائف المسيحية<sup>(٤٣)</sup> ولم يكن وزير الخارجية الأمريكي وحده ضد الصهيونية وإنما كان يقف الى جانبه الكولونيل « هاوس » مستشار الرئيس ويلسون ومن أقرب المقربين اليه وهو الذي أقنع ويلسون بالتريث قبل اعلان تأييد الولايات المتحدة لوعده بلفور وحال دون تعيين براندايس نائبا عاما في ادارة الرئيس ويلسون<sup>(٤٤)</sup> .

ورغم المحاولات التي بذلها سوكولوف وجيمس مالكولم مع الحكومة الفرنسية في ابريل سنة ١٩١٧ ومقابلة سوكولوف لوزير خارجية فرنسا « ستيفن بيشون » في ١٩ فبراير ١٩١٨ فان الحكومة الفرنسية لم تلتزم رسميا بتأييد وعده بلفور وأصدرت بيانات اتسمت بكثير من التحفظ والحذر حول سياستها ازاء فلسطين<sup>(٤٥)</sup> ولا شك أن المنافسة بين بريطانية وفرنسا في الهلال الخصيب واتفاقية « سايكس — بيكو » كانت من العوامل الهامة في تحديد موقف الحكومة الفرنسية من وعده بلفور والوطن القومي لليهود . وفي مؤتمر سان ريمو ( ٢٠ ابريل ١٩٢٠ ) أعلن ممثلو الحكومة الفرنسية أن فرنسا لم تصدر أى تأييد رسمي لوعده بلفور<sup>(٤٦)</sup> .

ولم تكن حكومة ايطاليا أقل تحفظا في تأييد الصهيونية من الحكومة الفرنسية ولكنها استجابت أخيرا للضغط الصهيوني الذي استعان بنفوذ بريطانيا والرئيس الأمريكي ويلسون وأصدرت بيانا في مايو عام ١٩١٨ أعدت صياغته على غرار وعده بلفور وكان ذلك بعد الرسالة التي وجهها سوكولوف الى السفير الايطالي في لندن بتاريخ ٢٢ ابريل ١٩١٨ .

إذا كانت المعارضة ضد الحركة الصهيونية قد بلغت هذا المدى من القوة والانتساع بين اليهود أنفسهم قبل اندلاع الحرب العالمية الأولى فكيف تيسر للصهيونية أن تنشق طريقها الى أعلا مواقع النفوذ السياسى في لندن وواشنطن لتحول المعارضة الى تأييد ولتتصور

Stein, op. cit. pp. 593 — 594

(٤٣)

E. Rabinowitz op. cit. pp. 38 — 39

(٤٤)

Stein, op. cit., p. 590

(٤٥)

Stein op. cit. p. 592

(٤٦)

الباطل الصهيوني حقا والحق العربي باطلا ثم تملأ على مؤتمر الصلح في باريس عام ١٩١٩ شروطها لإنشاء الوطن القومي لليهود في فلسطين رغم أنف الكثرة العربية في فلسطين ورغم أنف الكثرة اليهودية التي وقفت ضد الحركة الصهيونية ؟

لا شك أن ظهور وايزمان في لندن وبراندائيس في واشنطن وصلتهما الشخصية بالدوائر السياسية العليا في بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية كان من العوامل الهامة في هذا التحول لمصلحة الحركة الصهيونية . ولكن ما كان لقادة الحركة الصهيونية في لندن وواشنطن أن يحققوا هذا النجاح لو لم تهيب لهم الحرب العالمية الأولى الظروف المواتية . كان الموقف الحربى في الجبهة العربية ينذر بالخطر في عام ١٩١٦ ومطلع عام ١٩١٧ بالنظر للحلفاء وخاصة الجزر البريطانية التي أخذت تواجه خطرا متزايدا من الغواصات الألمانية وحصارا تزداد وطأته يوما بعد يوم وذلك تنفيذا للقرار الذي اتخذته القيادة الألمانية في يناير ١٩١٧ بتوجيه ضربة قاضية <sup>(٤٧)</sup> لبريطانيا قبل أن تهب الولايات المتحدة لنجدتها . ولكن الحلفاء كانوا يعانون مشكلة خطيرة داخل الولايات المتحدة الأمريكية وهي اتجاه الرأسمالية اليهودية في أمريكا الى تأييد ألمانيا في وقت كان الحلفاء يتطلعون فيه الى مزيد من الدعم المالى الأمريكى لتمويل الحرب .

لقد كان النظام المصرفى الأمريكى فى قبضة اليهود انذين ينحدرون من أصل ألماني <sup>(٤٨)</sup> وكان هؤلاء حلفاء لا يستهان بهم لألمانيا . كذلك انحاز عدد كبير من الصحف فى أمريكا وكافة الصحف المسائية تقريبا الى جانب الألمان وكان من أسباب هذا الاتجاه أن ألمانيا تحارب روسيا القيصرية التي أذاقت اليهود مر الاضطهاد وكانت روسيا تحارب فى صف الحلفاء . كان من أشهر الأسر اليهودية الألمانية أسرة « Warburg » وأسرة « Untermeyer » و« Jacob Schiff » <sup>(٤٩)</sup>

D. Thomson, Europe Since Napoleon, p. 527 (٤٧)

Friedman, op. cit. p. 40 (٤٨)

Friedman, op. cit. pp. 42 — 63 (٤٩)



وكان « Herr warburg » أقوى عضو في اتحاد البنوك المركزية الأمريكية ويتمتع بنفوذ عظيم لدى وزارة الخزانة الأمريكية .

وقد أشار « Richard Gotthell » أحد الأساتذة الصهيونيين في جامعة كولومبيا الى أثر النفوذ اليهودي في الولايات المتحدة في رسالته المؤرخة ١١ مارس سنة ١٩١٦ الى « Lucien Wolf » قائلا « ان نفوذ اليهود الألمان من رجال المصارف واسع للغاية وحتى الصهيونيين المقيمين في ألمانيا قاموا بحث رفاقهم هنا — أى في أمريكا — لتأييد القضية الألمانية » (٥٠) وكان « Gotthell » عضوا في لجنة الحقوق الأمريكية التي تسعى الى اغناع الولايات المتحدة للوقوف الى جانب الحلفاء ضد ألمانيا ومن ثم أجرى « جوتيل » اتصالات مع السفير البريطاني في واشنطن ليبدل مساعيه لدى الحكومة البريطانية حتى تمارس نوعا من الضغط على حليفتها روسيا لتخفف من اضطهاد اليهود حرصا على تأييد اليهود الألمان في أمريكا لقضية الحلفاء . وفي الوقت ذاته كان السفير الأمريكي في القسطنطينية « Mr. Oscar Straus » يقوم بنشاط مماثل ، وكان محور تلك المساعي تأمين رؤوس الأموال اليهودية نظرا لأهميتها في تمويل الحرب وخاصة بالنسبة لبريطانيا التي ظل اعتمادها على القروض الأمريكية في نضاد مطرد (٥١) .

لقد بدأ التحول الرسمي لصالح الصهيونية في الولايات المتحدة الأمريكية بانتخاب لوى براندايس — وهو أيضا من أصل ألماني — رئيسا للجنة التنفيذية التمهيدية للشئون الصهيونية عام ١٩١٤ ، وفي عام ١٩١٦ عين قاضيا للمحكمة العليا وباعتلائه منصة القضاء الأمريكي وتوثيق صلته الشخصية بالرئيس ودرو ويلسون كسبت الصهيونية عددا من الشخصيات المرموقة في مراكز قيادية منهم « Felix Frankfurter » أستاذ القانون بجامعة هارفارد و « Julian Mack » القاضي بمحكمة الاستئناف والفيلسوف « Horace M. Kallen » والكاتب « Lincoln Kirstein » ورجل الأعمال « Nathan Straus » وصاحب

Friedman, op. cit. pp. 40 — 41

(٥٠)

Friedman, op. cit. p. 63

(٥١)

دار النشر « Eugene Meyer » ومن ثم أصبحت الصهيونية بفضل نشاط براندائيس ونفوذه الرسمي والشخصي تجمعا سياسيا تفتحت أمامه أوسع منافذ الاتصال بقمة الجهاز السياسى فى الولايات المتحدة الأمريكية (٥٢). وقد وضح أثر العلاقة بين براندائيس وويلسون فى اختيار براندائيس من قبل الرئيس ويلسون ليكون رئيسا للوفد الأمريكى فى مؤتمر الصلح عام ١٩١٩ وكان هذا الاختيار مؤثرا نحو اتجاه ويلسون للوقوف رسميا الى جانب الصهيونية (٥٣) كذلك وضحت علاقة فرانكفورتر وويلسون فى المراسلات التى دارت بينهما والتزم فيها ويلسون — أمام الحاح فرانكفورتر — بادراج وعد بلفور فى معاهدة الصلح .

وعندما كثف وايزمان نشاطه فى لندن مع المسئولين البريطانيين فى النصف الأول من عام ١٩١٧ لاقناعهم بإصدار وعد بلفور كان هناك تنسيق كامل بينه وبين براندائيس ، فقد بعث وايزمان فى ٨ ابريل عام ١٩١٧ بتقرير واف الى براندائيس تناول فيه الصعاب التى تواجهها فكرة الوطن القومى لليهود فى فلسطين وموقف فرنسا منها وناشد براندائيس أن يحصل على تأييد الحكومة الأمريكية ويهود أمريكا لفكرة فلسطين اليهودية تحت الحماية البريطانية (٥٤) .

ولعل اجتماع براندائيس بالرئيس ويلسون فى ٦ مايو سنة ١٩١٧ كان استجابة لرسالة وايزمان ففى ذلك الاجتماع شرح براندائيس للرئيس الأمريكى السياسة الصهيونية والمشاكل القائمة بين فرنسا وبريطانيا حول سوريا وأثرها على مستقبل الوطن اليهودى وقد أكد له ويلسون أنه يؤيد الصهيونية وأنه سيذيع بيانا فى الوقت المناسب بعد أن يعرف وجهة النظر الفرنسية وأنه يترك اعداد الخطوط العامة لليبان وصياغته لبراندائيس نفسه (٥٥) .

Halperin, op. cit. pp. 11 — 12

Rabinowitz, op. cit., p. 61

Weizmann, op. cit. p. 244

Rabinowitz, op. cit., p. 63.

(٥٢)

(٥٣)

(٥٤)

(٥٥)

وعندما صدر وعد بلفور في ٢ نوفمبر عام ١٩١٧ كسبت الصهيونية في الولايات المتحدة مزيدا من التأييد وتوجت مساعي براندائيس بموافقة الكونجرس الأمريكي على وعد بلفور في ٣٠ يونيو عام ١٩٢٢ وكان ذلك في نظر الصهيونيين الأمريكيين انتصارا لفكرتهم على الرأي العام الأمريكي وبشيرا بقرب ميلاد الدولة اليهودية على الرغم من أن زعامة براندائيس للصهيونية اليهودية انتهت بعد ذلك بوقت قصير اثر خلافات داخلية وآلت زعامة الحركة الى وايزمان في لندن بينما أصبحت مهمة الصهيونية الأمريكية قاصرة على جمع الأموال لفلسطين<sup>(٥٦)</sup> وهي مهمة خطيرة .

وجدير بالذكر أن مشروع قرار تأييد وعد بلفور من قبل الكونجرس الأمريكي قوبل بمعارضة قوية من بعض أعضاء لجنة الشؤون الخارجية بمجلس النواب الأمريكي لأن القرار يمثل في نظرهم انتهاكا خطيرا لحقوق الشعب الفلسطيني . وقاد هذه المعارضة السناتور « James A. Reed » في اجتماعات اللجنة التي عقدت في يومي ١٨ و ٢٠ ابريل عام ١٩٢٢ برئاسة « Sterhen G. Porter » لمناقشة قرار مجلس النواب رقم ٥٢ الخاص بانشاء وطن قومي لليهود في فلسطين<sup>(٥٧)</sup> وقد وردت مداولات الأعضاء في اجتماع يوم ١٨ ابريل على النحو التالي :

مستر كوناللي « Mr. Connally » : من البديهي أن النظرية كلها تستند الى ما يدعيه الشعب اليهودي أن له حقا في فلسطين ولكن من الواضح أيضا أن السكان الحاليين لتلك البلاد ظلوا يقطنونها منذ

Halperian op. cit., pp. 12 — 13

(٥٦)

Establishment of a National Home in Palestine, (٥٧)

Hearing Before The Committee on Foreign Affairs House of Representative Sixty — Seventh Congress second Session on H. Con. Res. 52.

Expressing Satisfaction at The Re-creation of Palestine as the National Home of The Jewish Race, Washington, 1922, pp. 36 - 41. Government Printing Office.

قرون كثيرة فهل هناك ما يعطى الأسلاف الأوائل الذين عاشوا فى تلك الأرض حقا أكبر من حق الآباء والأجداد الذين جاءوا من بعدهم ؟  
مستر كوكران « Mr. Cockran » : ليس هناك نزاع بين أهل تلك البلاد • ان اقتراحك يحمل بين طياته الاجابة على سؤالك • ان أولئك اليهود لا يسعون الى امتلاك الأرض الا عن طريق الشراء •  
مستر كوناللى : انهم يودون الحصول عليها بحكم الايثار الذى يريدون الحكومة أن تسبغه عليهم •

مستر ريد « Mr. Reed » : فى اعتقادى أن لنا مبدأ هو المبدأ الأمريكى ولذلك فاننى لا أرضى لكم أن تؤيدوا هذا القرار لأنه قرار لا يشبه أمريكا « Un American » ان جميع الناس سواسية أمام القانون فاذا فضل واحد منهم على الآخرين فقد انتفت المساواة أمام القانون •

الرئيس : يبدو لى من حديثك أنك تعتقد أن وعد بلفور يمثل انتهاكا خطيرا لحقوق شعب فلسطين •  
مستر ريد : لتسعة أعشار شعب فلسطين • واذا لم يكن قصدى واضحا فان وجودى فى هذا الاجتماع يصبح عبثا •  
الرئيس : ان اجازة هذا القرار فى رأيك تعنى ضمنا الموافقة على قرارات عصبة الأمم فى سان ريمو •  
مستر ريد : بالضبط •

الرئيس : هل هذا يعنى — وفى هذه الحدود — أن الحكومة الأمريكية أصبحت ملتزمة بسياسة عصبة الأمم ؟  
مستر ريد : لست خبيرا فى القانون الدولى ولكن مشروع القرار الذى تقدم به السناتور « Lodge » يذكر وعد بلفور بصورة قاطعة وهذه قرارات تسير جنبا الى جنب • اننى أعتقد أن الغرض من هذا العمل هو دفع أمريكا لتتقف مع الدول الأجنبية فى تأييدها لوعد بلفور وهذا فى رأيى أمر جد خطير لأن وعد بلفور ليس أمريكيا (٥٨) •

وفى موضع آخر من المداولات قال مستر ريد : لقد هزنى القرار هزاً عنيفاً لأنى أعتقد أنه من الخطأ أن تؤيد بلادنا وعدا كهذا .  
وانى لأذكر أن « Mr. L. Lipsky » تحدث عن تحويل فلسطين الى وضع شبيه بالوضع فى سويسرا ولكن الفكرة الصهيونية لا تهدف الى ذلك قط . فالوضع فى سويسرا يختلف تمام الاختلاف ، وأضرب مثلاً بما قاله أحد أعضاء المكتب التنفيذى الصهيونى فى فلسطين « Mr. D. Eder » أمام إحدى لجان التحقيق التى شكلها هربرت صمويل ( لعله يعنى لجنة هايكرافت ) ، فقد قال دكتور « Eder » : « انه لن يكون فى فلسطين سوى وطن قومى واحد هو الوطن اليهودى ، وأنه لن يكون هناك مجال لمساواة العرب باليهود باعتبارهم شركاء فى هذا الوطن » (٥٩) .

لم يصدر وعد بلفور بالصيغة المتطرفة التى اقترحتها المنظمة الصهيونية . فقد أرادت الصهيونية أن يشتمل الوعد على نص بإعادة فلسطين لليهود باعتبارها الوطن القومى الخاص بهم وحدهم دون سواهم ومع ذلك فإن الوعد فى صورته التى صدر بها حقق للصهيونية هذه الأمنية لأنه سلب الكتلة العربية فى فلسطين حقوقها السياسية المشروعة ووصفها بالطوائف غير اليهودية ، وامتن عليهم بالقول أن حقوقهم المدنية والدينية لن تضار ، وصمت صمتاً تاماً عن حقوقهم السياسية .

وإذا كانت الصهيونية لم تغفر بالصيغة التى كانت ترجوها لوعده بلفور فقد عبأت كل طاقاتها ومواردها لاعداد وثيقة الانتداب على النحو الذى يحقق أهدافها فى فلسطين وشرعت فوراً فى ايفاد لجنة الى فلسطين للتمهيد لتنفيذ السياسة الرامية الى انشاء الوطن اليهودى وقررت الحكومة البريطانية فى مطلع عام ١٩١٨ تشكيل اللجنة برئاسة وايزمان وعضوية البروفسير « Sylvin Levi » رئيس الحلف الاسرائيلى المناوىء للصهيونية وجيمس روتشيلد وجوزيف كوين ودافيد ايدر و « Levi Bianchini » من ايطاليا وليون سيمون واسرائيل سيف

وقبلت اللجنة على مضمّن « البروفسير ليفى » الذى اختارته الحكومة الفرنسية •

يحدثنا رونالد ستورز الحاكم العسكرى لمدينة القدس فى تلك الفترة عن دهشته لقدم هذه اللجنة الى فلسطين فى وقت لم يتحدد فيه بعد مصير البلاد فيقول : « لقد اطلعت على برقية تلقاها كلايتون فى أوائل شهر مارس عام ١٩١٨ عن قدم لجنة صهيونية من كبار اليهود لتكون حلقة وصل بين اليهود فى فلسطين والادارة العسكرية البريطانية وعجبت وعجب كلايتون معى من هذا التعجل وتساءلنا ألم يكن من الأجدى تأجيل زيارة هذه اللجنة حتى يتقرر مصير ادارة القطر بشكل أوضح ؟ ولكنها أوامر لا بد من تنفيذها » (٦٠) • ويذكر ستورز أنه استقبل اللجنة غداة وصولها مدينة القدس وأن اللجنة كانت تحت رعاية الحكومة البريطانية وأن وايزمان خاطب جمعا من أهل مدينة القدس قائلا ان اليهود لم يتخلوا قط عن حقوقهم فى فلسطين وأنهم اخوة للعرب تجمعهم بهم أوامر القربى وأن اليهود عائدون فقط الى بلادهم وهم ليسوا غرباء عنها ، ثم حذر وايزمان العرب من الاستماع الى الدعاية المغرضة التى تروج أن للصهيونيين مطامع فى السلطة السياسية أو أنهم ساعون اليها (٦١) •

ان وايزمان الذى أدلى بهذه الأحاديث المعسولة لعرب فلسطين عام ١٩١٨ هو نفسه الذى قال :

« ان الذين أصدروا وعد بلفور لم يفكروا قط أن يتقرر مصير فلسطين والعرب يمثلون الكثرة الغالبة ، ولكن يمكن تقرير المصير عندما تصبح لليهود الكثرة العددية » وقال فى موضع آخر من مذكراته : « ان مجلس الحرب البريطانى لم يهدف الى قيام دولة يهودية فورا فى فلسطين دون استشارة أهل البلاد ولكن اذا استجاب اليهود للهجرة وأصبحت لهم الكثرة العددية فيما بعد فان فلسطين سوف تصبح وطننا

Storrs, The Memoirs of Sir Ronald pp. 359—360 (٦٠)

Storrs, op. cit. p. 360 (٦١)

يهوديا • هذا ولم يفكر المسئولون البريطانيون فى تقييد الهجرة بحيث يصبح اليهود فى فلسطين قلة دائمة » (٦٢) •

ويحدثنا ستورز عن سلوك اللجنة الصهيونية فى فلسطين التى كانت تتصرف كأنها هى الحاكمة ، اذ قامت بدفع اعانات مالية لرجال الشرطة والموظفين الصهيونيين فى الادارة البريطانية كما قامت اللجنة بتوجيه عمدة مدينة القدس أن يوظف اليهود فى تشييد الطرق وهذا يعنى — فى رأى ستورز — اعفاء العمال العرب من الأعمال التى كانوا يقومون بها (٦٣) وعندما غادر ستورز مدينة القدس الى حيفا لانجاز بعض الأعمال وعاد الى القدس بعد فترة قصيرة علم من القوائم بأعماله أن اللجنة الصهيونية اتصلت بسكرتيه اليهودى وطلبت منه تقريراً عن عمل المكتب وذلك أثناء غياب ستورز وكان هذا السكرتير على صلة سابقة بوايزمان (٦٤) •

كان سلوك اللجنة الصهيونية فى فلسطين مبعث حرج للمسئولين البريطانيين هناك فقد كانت مهمة هؤلاء المحافظة على الوضع القائم فى فلسطين حتى يتم تقرير مصير البلاد بصفة رسمية ولكن وايزمان كان يريد لهم أداة طيعة يسخرها لتنفيذ البرنامج الصهيونى فوراً لا سيما بعد أن تقدم الى الحكومة البريطانية بمطالب عاجلة للتنفيذ فى فلسطين ولكن الحكومة وجهت نظره الى الصعاب التى تكتنف تلك المطالب (٦٥) وكان وايزمان يطالب بحيازة الخط الحديدى بين يافا والقدس والحصول على المستعمرات الألمانية فى فلسطين وفتح باب الهجرة لليهود الى فلسطين واستقرارهم فيها وتحويل الأراضى غير المستغلة للمنظمة الصهيونية ومنحها امتياز ادارة المرافق العامة من مياه وكهرباء وخدمات

(٦٢) Weizmann, op. cit., p. 266

(٦٣) Ronald Storrs : Laurence of Arabia, Zionism and Palestine, Penguin, U.K. 1941, p. 52

(٦٤) Storrs, op. cit., pp. 51 — 52

(٦٥) Sir L. Mallet to Dr. Weizmann Enc. 2 in 212, July, 1, 1919 . Woodward and Butler, D.O.B.F.P. Vol. 4, pp. 306 / 7 .

( ١٣ — نكبة الامة العربية )

الهاتف والبرق (٦٦) وصب وايزمان جام غضبه على جميع المسؤولين البريطانيين في فلسطين ابتداء من الجنرال اللنبي وتقدم بشكاة الى الحكومة البريطانية قال فيها ان الادارة العسكرية البريطانية في فلسطين تبدي لليهود روحا عدائية واضحة وتغتتم كل فرصة للاضرار بمصالحهم والاساءة اليهم بينما يقوم هؤلاء المسؤولون بتشجيع العرب ضد اليهود ، واتهم وايزمان الجنرال كلايتون بالضعف في معالجة الموقف ووصف اللنبي بأنه مشغول بالقضية المصرية والمسألة السورية الى الحد الذي صرفه عن الاهتمام بأمر فلسطين أما « المقدم ستورز » فقال أوفى نصيب من التهم التي كالمها زعيم الصهيونية للادارة البريطانية وهدد وايزمان الحكومة البريطانية بأن براندايس في طريقه الى فلسطين وأنه سوف يطلع على الحقائق بنفسه وعندئذ سيكون الأثر فاجعا للرأى اليهودى - الأمريكى (٦٧) !! \*

أما وثيقة الانتداب على فلسطين التي أجازها مجلس عصبة الأمم وأصبحت نافذة منذ ٢٩ سبتمبر ١٩٢٣ فقد أعدتها المنظمة الصهيونية وهى في جوهرها تمثل وجهة النظر الصهيونية رغم التعديلات الشكلية التي أدخلت عليها قبل اجازتها في صورتها النهائية . ومن ثم فان القول بأن مجلس عصبة الأمم هو الذي حدد شروط الانتداب على فلسطين (٦٨) ليس صحيحا ، الا اذا كان المقصود بالتحديد الموافقة على الشروط التي وضعتها المنظمة الصهيونية بعد اخضاعها لبعض التعديل الشكلى .

Dr. Weizmann to Sir L. Mallet, Enc. 1 in 212, De- (٦٦)  
legation Sioniste, Paris, June 18, 1919.

Woodward and Butler, op. cit., pp. 303 — 305

No. 213 Note by Sir R. Graham of Conversa- (٦٧)  
tions with Mr. Samuel and Dr. Weizmann 98082/2117/44, For-  
eign Office, July 2, 1919 Woodward and Butler op. cit., pp. 307—  
308.

Treaty Series No. 54 (1925) Convention Between (٦٨)  
United Kingdom and the United State of America Respecting the  
Rights of the Two Countries and Their Respective Nationals in  
Palestine, Signed, at London, Dec. 3, 1924, p. 2 . H.M.S.O., London,  
1925.



ففى شهر يوليو عام ١٩١٩ فوض مستر بلفور المختصين فى الادارة السياسية للوفد البريطانى فى مؤتمر الصلح فى باريس وعلى رأسهم « Eric Forbes Adam » أن يبحثوا مع وايزمان وفرانكفورتير وكوهين ، وهم يمثلون المنظمة الصهيونية ، مشروع وثيقة الانتداب على فلسطين وقد أعدت هذه الادارة مشروعا تمهيدا استندت اليه المنظمة الصهيونية فى اعداد مشروعها الخاص للانتداب وأهم ما نلاحظه فى مقترحات المنظمة الصهيونية التى قدمها « Ben V. Cohen » فى ٢٤ سبتمبر عام ١٩١٩ أنها أكدت العلاقة التاريخية بين اليهود وفلسطين التى تخول لليهود المطالبة باعادة بناء فلسطين باعتبارها وطنهم القومى وليست مجرد وطن قومى <sup>(٦٩)</sup> وهذا ما لم تستطع المنظمة الصهيونية أن تظفر به فى وعد بلفور ، بل كانت المنظمة تسعى الى النص على تأكيد ما سمته « بالحقوق التاريخية » لليهود فى فلسطين بدلا عن « العلاقة التاريخية » !! وقد أجازت عصابة الأمم النص الذى اقترحتته المنظمة الصهيونية ليصبح مقدمة لوثيقة الانتداب ، كما أجازت المادة الرابعة التى أعدتها وصاغتها المنظمة الصهيونية وهى تتعلق بانشاء الوكالة اليهودية فى فلسطين والاعتراف بها . وبما أن وعد بلفور اقترح صهيونى أصلا ونصا رغم ما أجرى فيه من تعديل طفيف فى الصياغة فان المادة التى أدرج بموجبها فى وثيقة الانتداب (المادة الثانية) تعتبر أيضا من وضع المنظمة الصهيونية وينطبق ذلك بالمثل على المادة السادسة من وثيقة الانتداب ( تسهيل الهجرة اليهودية الى فلسطين) لارتباطها بانشاء الوطن اليهودى وتمثل المواد الثلاث المذكورة ، بالإضافة الى الديباجة أهم المرتكزات التى بنيت عليها وثيقة الانتداب على فلسطين <sup>(٧٠)</sup> . بل يرى وايزمان أن الديباجة كانت أهم فقرة على

No. 299 Memo, By Mr. Forbes Adam (Paris) (٦٩)  
385/3/3/19140, September, 26, 1919 Woodward and Butler, op.  
cit., p. 428.

(٧٠) راجع مشروع المنظمة الصهيونية لوثيقة الانتداب ومشروع  
الوفد البريطانى فى :

Appendix to No. 299, Chapter V, Palestine Mandate, Wood-  
ward and Butler op. cit., pp. 429 - 438.

الاطلاق في وثيقة الانتداب (٧١) ، وكانت تلك الوثيقة بمثابة الدستور الذي اهتمت به الادارة البريطانية في حكم فلسطين واستند اليها كتاب الصهيونية في ايهام الرأي العام العالمي أن الصهيونية انما استمدت حق السيادة على فلسطين بموجب الانتداب وهو وثيقة دولية !! وفي ذلك يقول فرانكشتاين « انه لا يحق لأحد غير اليهود ادعاء السيادة على فلسطين بعد اجازة وثيقة الانتداب - لأن أصحاب السيادة السابقين على فلسطين قد انقرضوا أو تخلوا عن حقوق السيادة كما فعلت تركيا بمقتضى المادة ٣٦ من معاهدة لوزان ١٩٢٣ » (٧٢) وقد رأينا أن وثيقة الانتداب كانت من وضع المنظمة الصهيونية كما أن تركيا لم تتخل عن سيادتها على فلسطين للمنظمة الصهيونية . ويوضح أحد رجال القانون الدولي الدكتور محمد طلعت الغنيمى الموقف بصورة أكثر جلاء فيقول « ان سببين من أسباب فقد الاقليم في القانون الدولي قد توافرت بالنسبة لليهود حيال فلسطين ألا وهما : (١) الترك ، (٢) التقادم المسقط . أما حق العرب فهو التقادم المكسب وهو اكتساب الملكية بوضع اليد المدة الطويلة » (٧٣) . ويقول عن الانتداب « ان نظام الانتداب لا يترتب عليه زوال السيادة عن شعب الاقليم الخاضع للانتداب بل ان هذه السيادة باقية للشعب المذكور وأن كل ما للدولة المنتدبة بالنسبة للأقاليم التي سلخت عن تركيا هو تقديم المعونة والنصح فحسب » (٧٤) .

ولكن قبل بدء نفاذ الانتداب كان هربرت صمويل يمارس سلطاته بعد تعيينه مندوبا ساميا على فلسطين وقد تسلم ادارة البلاد رسميا في أول يوليو عام ١٩٢٠ ليواجه شعب فلسطين الثائر بعد أن استنفد كافة الوسائل السلمية لاسترداد حقه المشروع وأخذت الثورات تتفجر

Weizmann, op. cit., p. 348.

(٧١)

Ernst Frankenstein Palestine in the Light of

(٧٢)

International Law, London 1946 p. 13.

(٧٣) محمد طلعت الغنيمى : قضية فلسطين أمام القانون الدولي ،

الاسكندرية ١٩٦١ ص ٦٦ ، ٦٧ ، ٧٤ ، ٧٥ .

(٧٤) الغنيمى : المصدر نفسه ص ١٠١ .

الواحدة تلو الأخرى وشرع صناع وعد بلفور في حصاد ما غرست أيديهم وكلما اندلعت ثورة عربية في فلسطين هبت الحكومة البريطانية لتتقصى الحقائق بتشكيل لجان للتحقيق فيما كانت تسميه الاضطراب وحوادث الشعب •

بدأت الحوادث في عهد الجنرال « Louis Bois » عندما كان العرب يعتزمون الاحتفال بمناسبة دينية في ٤ ابريل ١٩٢٠ وأسفرت المعركة عن ستة قتلى من اليهود وصاح وايزمان : انها مذبحه منظمة « Pogrom » بل سماها المذبحه الأولى تحت العلم البريطانى (٧٥) ، ليعيد الى ذهن القارئ فكرة اضطهاد اليهود والمذابح التى عرفوها فى روسيا القيصرية وربما كان غرض وايزمان من هذا النواح استتدرار العطف على اليهود باعتبار أن حوادث ٤ ابريل سنة ١٩٢٠ كانت امتدادا لموجة اضطهاد اليهود فى مسرح جديد هو الوطن العربى ولكن تقرير لجنة التحقيق التى شكلت لمعرفة الحقيقة لم يؤيد وايزمان بل يحدثنا فيليب جريغز المراسل لجريدة التايمز فى فلسطين أن تقرير اللجنة لم ينشر لأنه كان ينقد المنظمة الصهيونية نقدا لاذعا وينتقد سلوك بعض الضباط البريطانيين (٧٦) وتوالت الأحداث الدامية بين عامى ١٩٢٠ و١٩٢٤ معبرة عن استتكار الشعب العربى فى فلسطين للسياسة البريطانية والتسلط الصهيونى فكانت اضطرابات يافا الأولى ( أول مايو ١٩٢١ ) واضطرابات القدس الثانية ( ٢ نوفمبر ١٩٢١ ) وحوادث يافا الثانية ( مارس ١٩٢٤ ) (٧٧) وكان من نتائج ثورة مايو ١٩٢١ فى يافا تشكيل لجنة قضائية للتحقيق برئاسة القاضى البريطانى توماس هايكرافت « T. Haycraft » وقد جاء فى تقرير اللجنة أن رغبة الصهيونية فى السيطرة (٧٨) على فلسطين كانت سببا واضحا لاثارة العرب وأيدت هذا القول لجنة التحقيق فى حوادث أغسطس عام ١٩٢٩

Weizmann, op. cit., p. 324. (٧٥)

Philip Graves, op. cit., pp. 60 — 61. (٧٦)

(٧٧) انظر تفاصيل هذه الحوادث فى : أمين سعيد — الثورة العربية الكبرى ج ٣ ص ٨٨ — ٩٨ •

Weizmann, op. cit., p. 349. (٧٨)

برئاسة السير والتر شو فذكرت في تقريرها أن السبب الأساسي للاضطراب عداوة العرب لليهود بسبب خيبة آمالهم وعدم تحقيق آمانيهم السياسية والقومية وخوفهم على مستقبلهم الاقتصادي (٧٩) .

وكان من نتائج أحداث مايو ١٩٢١ القرار الذي اتخذته هربرت صمويل وأعلنه على ملا من أعيان العرب في الرملة وهو يقضى بايقاف الهجرة اليهودية الى فلسطين وقد وصف وايزمان هذا القرار وطريقة اعلانه بأنه كان صدمة لليهود في كل مكان (٨٠) .

لقد ساعدت حوادث سنة ١٩٢١ وتقرير لجنة « Haycraft » وعودة اللورد « Northcliffe » « A. C.W. Harmsworth » بعد زيارة قصيرة لفلسطين ، على ايضاح بعض الحقائق للرأى العام البريطانى عن قضية فلسطين اذ كانت دار النشر التى يملكها اللورد نورثكليف أكثر دور النشر نجاحا فى تاريخ الصحافة البريطانية (٨١) ، وبعد عودته من فلسطين قامت الصحف التى يصدرها ومنها « الديلى ميل » و«الايونج نيوز » بحملة ضد الصهيونية ونادت بالغاء وعد بلفور وكان اللورد نورثكليف يرى أن الصهيونية خطر على الامبراطورية البريطانية وأنه من الجنون أن تثير بريطانيا قلق خمسين مليوناً من المسلمين فى سبيل ارضاء خمسمائة ألف يهودى (٨٢) .

ولكن البيان الذى أصدرته الحكومة البريطانية — بيان المستر تشرشل — فى حزيران (يونيو) سنة ١٩٢٢ أكد عزم الحكومة على السير فى سياستها الخاطئة ازاء فلسطين ولم تر الحكومة البريطانية فى كل ما حدث سوى توتر ناجم عن سوء فهم لوعد بلفور !! يقول البيان :

(٧٩) تقرير لجنة التحقيق عن اضطرابات فلسطين التى وقعت فى شهر آب ( أغسطس ) ١٩٢٩ الترجمة الرسمية : مطبعة دير الروم — القدس ١٩٣٠ ص ١٩٧ — ٢٢٠ .

Weizmann, op. cit., p. 342.

(٨٠)

The New Encyclopaedia Britannica Micropaedi, 1976, Vol. 7, p. 401

(٨١)

Weizmann, op. cit., p. 351

(٨٢)

« ان التوتر الذى ساد فلسطين من حين الى آخر يعزى معظمه الى مخاوف أخذت تساور بعض طبقات السكان العرب واليهود . أما مخاوف العرب فبعضها مبنى على تفاسير مبالغ فيها لمعنى التصريح الذى أعطى بالتيابة عن حكومة جلالتة فى اليوم الثانى من شهر تشرين الثانى والذى يجذب انشاء وطن قومى لليهود فى فلسطين . ذلك أنه نشرت بيانات غير رسمية بأن الغاية المنشودة هى جعل فلسطين يهودية برمتها واستعملت عبارات قيل فيها « ان فلسطين ستصبح يهودية كما ان انكلترا انكليزية <sup>(٨٢)</sup> » فحكومة جلالتة تعتبر هذه الآمال غير قابلة للتحقيق وتعلن بأنها لا ترمى الى مثل هذه الغاية <sup>(٨٤)</sup> ثم يمضى البيان مؤكدا التزام الحكومة البريطانية بوعده بلفور وزيادة عدد الطائفة اليهودية فى فلسطين بالمهاجرة <sup>(٨٥)</sup> .

ان بيان المستر تشرشل يثير العجب والراء معا لأنه يؤكد أن الحكومة البريطانية لم تع الدرس بعد .

لقد زار هوبرت اسكويث رئيس الوزراء البريطانى الأسبق فلسطين فى شتاء سنة ١٩٢٤ وأدلى عقب عودته بحديث يجعل بيان تشرشل احدى سخريات هذا القرن قال اسكويث « ان العرب يمثلون ثلاثة أرباع سكان فلسطين ويبلغ عدد اليهود نحو عشر السكان ووصف القول بتحويل فلسطين الى وطن قومى لليهود بأنه لا يعدو أن يكون خيالا جامحا كما كان دائما <sup>(٨٦)</sup> » ولكن وايزمان يشكك فى صحة النتائج التى خلص اليها اسكويث من زيارته لفلسطين استنادا الى أن بلفور قد زار فلسطين أيضا بعد اسكويث ببضعة أشهر واستخلص

(٨٢) هذا التعبير من ابتكار وايزمان فى تعريفه لمعنى الوطن اليهودى فى فلسطين وقد ذكره مرارا فى مذكراته كما أكدته لوزير الخارجيه الامريكية روبرت لاسنج فى مؤتمر الصلح عام ١٩١٩ انظر :

Trial and Error P. 305

(٨٤) بيان الخطة السياسية فى فلسطين الذى أصدره مستر تشرشل فى حزيران سنة ١٩٢٢ ، الذيل الخاص لتقرير لجنة وانتر شو للتحقيق عن اضطرابات آب ١٩٢٩ ص ٢٦٥ .

(٨٥) المصدر السابق ص ٢٦٧ — ٢٦٨ .

Weizmann, op. cit., pp. 193 — 194

(٨٦)

نتائج تختلف تمام الاختلاف (٨٧) • ويعنى وايزمان أن بلفور عاد من فلسطين وهو أكثر ايماناً بإنشاء الوطن القومى لليهود فيها ، وفى هذا القول اشارة الى ما ذكره بلفور لوايزمان بعد انتهاء الزيارة بأنه « كان سعيدا بوجه خاص أن يرى المستعمرات اليهودية المزدهرة التى تنهض دليلا على سلامة وقوة الوطن القومى النامى » (٨٨) ولكن الميجر بولسون نيومان المراسل الحربى الخاص للصحف البريطانية فى القدس والذى شهد زيارة بلفور لفلسطين عام ١٩٢٥ يعطينا صورة تختلف تماما عن تقرير وايزمان • يقول مستر نيومان : ان بلفور وصل اللد فى ٢٥ مارس ١٩٢٥ يرافقه وايزمان وسوكولوف ومندوب عصبة الأمم فقابله العرب بالمقاطعة وتظاهر ضده الطلاب • وأعلن الاضراب العام فى جميع أنحاء فلسطين وكان اضرابا ناجحا وأوصدت المتاجر أبوابها وظهرت الصحف العربية مجللة بالسواد ورفعت الأعلام السوداء احتجاجا على السياسة البريطانية الموالية للصهيونية وأقيمت الصلوات فى مساجد المدن الكبيرة كلها وندد الخطباء فى المساجد بالصهيونية ودعوا الى الاتحاد لمقاطعة وعد بلفور وعمت المظاهرات الأقاليم فامتدت الى نابلس والخليل • وكان بلفور يتحرك فى فلسطين تحت الحراسة المسلحة واستقبلته دمشق بالمظاهرات الصاخبة والمهتاف العدائى ، وحاصرت الجماهير العربية فى فندقه ، ورمته بالحجارة ، وقال نيومان : ان الناظر من نافذة الفندق كان لا يرى غير بحر من الطرابيش الحمراء (٨٩) •

لقد رافق نيومان مستر بلفور فى كل تحركاته فى فلسطين وسوريا ووصف نشاط بلفور واشتراكه فى الاحتفالات الصهيونية خاصة الاحتفال بافتتاح الجامعة العبرية فى أول ابريل سنة ١٩٢٥ وقد أبدى نيومان حسرته على سذاجة بلفور وقال عنه انه غادر فلسطين دون أن يدرك حقيقة الموقف بل خرج بتصور خاطئ بعد أن قضى كل وقته مع

Weizmann, op. cit., p. 194 (٨٧)

Weizmann, op. cit., p. 400 (٨٨)

Major E.W. Polson Newman, The Middle East, (٨٩)  
London, 1926 P. 88

اليهود الصهيونيين ولم ير من الأماكن الا ما راق للصهيونيين أن يأخذوه اليها فلم ير فلسطين العربية ولم يعرف شيئاً عن الحياة العربية هناك ولا عن المسألة العربية بل خرج مقتنعاً بأن القضية العربية ليس لها وجود ، وهذا ما أدهش نيومان لأنه لم يتصور أن يكون رجل في مكانة بلفور بهذا القدر من ضعف الادراك وقد كان رئيساً للوزراء ووزيراً للخارجية في بريطانيا العظمى (٩٠) .

وهكذا أثبتت الصهيونية قدرتها على ربط مصلحتها في فلسطين بمصالح الامبراطورية البريطانية واستغلال ظروف الحرب العالمية الأولى وضعف مركز الحلفاء في عامي (١٩١٦ و ١٩١٧) لتحقيق مآربها حتى استطاعت في أقل من ست سنوات (١٩١٤ - ١٩٢٠) أن تسترد أنفاسها وتدعم مواقفها في وجه معارضة يهودية عاتية ، فحصلت على وعد بلفور وأملت شروط الانتداب على فلسطين وأمنت ظهرها بوضع هربرت صمويل على رأس حكومة الانتداب وألبست الوعد والانتداب معاً ثوباً كاذباً من الشرعية والالتزام الدولي بادراجهما في ميثاق عصبة الأمم ومعهدة سيفرس التي تم التوقيع عليها في ١٠ أغسطس عام ١٩٢٠ (٩١) .

\* \* \*

Newman, op. cit., p. 88 — 89

(٩٠)

(٩١) انظر :

Sevres Treaty, 1920 pp. 161 - 192. Allied Papers Library of Congress Ref. D. 643, T. 8 - 1920 (E).





## خاتمة

● أحداث خطيرة بين عامى ١٨٧٥ - ١٩٢٥ - التنظيمات  
والقضية العربية - آراء حول دعوة الإصلاح - المتابع  
الفكرية للثورة العربية والثورة المهدية - السلطان  
عبد الحميد ودستور مدحت باشا - تركيا الفتاة عهد جديد  
للطفيان - سياسة الأتراك الاتحاديين تمهد للثورة العربية  
- أثر الحرب العالمية الأولى - كتشنر والشريف حسين -  
التمهيد للخديعة الكبرى - الصهيونية تطل براسها -  
وايزمان فى بريطانيا وبراندائيس فى واشنطن وسوكوف  
فى أوروبا - الوطن العربى فى قبضة الصهيونية وحلفائها -  
فترة حاسمة ( ١٩١٩ - ١٩٢٥ ) - القرب وعقدة الذنب  
أمام اليهود - الوطن العربى ضحية العقدة .

\* \* \*



## خاتمة

لقد شهدت الفترة — موضع البحث — نهاية « عصر التنظيمات » وما يسميه مؤرخو الغرب « الاستبداد الحميدى » ( ١٨٧٦ — ١٩٠٨ ) وكان فى حقيقته صمودا حميديا • كذلك شهدت الفترة بداية الاستعمار الصهيونى فى فلسطين ( ١٨٨٢ ) وجهاد الأفغانى ( ١٨٣٨ — ١٨٩٧ ) فى العالم العربى والاسلامى ، وانعقاد المؤتمر الصهيونى الأول فى « بال » ( ١٨٩٧ ) وانفجار الثورة العربية فى مصر ( ١٨٨٢ ) وتوطيد دعائم الحكم البريطانى فى السودان أو ما كان يسمى « الحكم الثنائى » ( ١٨٩٩ ) كما شهدت الفترة ذاتها الانقلاب العثمانى ( ١٩٠٨ ) الذى أطاح بالعهد الحميدى ومهد لدكتاتورية الأتراك الاتصاليين (١) ، واندلاع الحرب العالمية الأولى ( ١٩١٤ ) وانطلاق الثورة العربية فى الحجاز ( ١٩١٦ ) وإعلان وعد بلفور ( ١٩١٧ ) وإثابة العرب على مؤازرتهم للحلفاء فى الحرب بانتزاع فلسطين منهم وإهدائها للصهيونية العالمية وإخضاع بلادهم لمزيد من التمزق والاحتلال الأجنبى باسم « الوصاية » و « الحماية » و « الانتداب » •

وكان لكل من هذه الأحداث أثر مباشر أو غير مباشر فى تشكيل القضية العربية وتحديد اتجاهاتها « فالتنظيمات » هى الذريعة التى اتخذتها الدول الأوروبية الكبرى وعلى رأسها بريطانيا فى القرن التاسع عشر للتدخل فى شئون الدولة العثمانية ، تارة باسم الإصلاح وتارة باسم حماية الأقليات ولكن الدوافع الحقيقية وراءها كانت رعاية المصالح السياسية والاقتصادية لتلك الدول ، لأن وجود الخلافة العثمانية — على ضعفها — فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر كان يمثل خطراً كبيراً على مصالح الدول الكبرى آنذاك ومصدر الخطر — كما تصوره ساسة ذلك العصر — أن ضعف الدولة العثمانية قد يجرى بعض الدول الأوروبية المتنافسة على اقتسام تركة الرجل المريض لتحقيق مطامعها الخاصة على حساب البعض الآخر • فروسيا القيصرية ما فتئت

(١) جمعية الاتحاد والترقى •

تتطلع الى منفذ لها الى البحر المتوسط عبر المضائق التركية ، وفرنسا كانت شديدة الغيرة على ما سمته مصالحها فى شرقى ذلك البحر ثم فى افريقيا بعد احتلال تونس ( ١٨٨١ ) وبريطانيا — لاسيما بعد افتتاح قناة السويس — كانت ترقب بحذر هذه التطلعات من جانب روسيا وفرنسا زاعمة أن انهيار الامبراطورية العثمانية ينفذ بخطر محقق على مصالحها فى الهند وتجارها الخارجية ومن ثم تبنت بريطانيا الدعوة الى المحافظة على سلامة الدولة العثمانية واصلاحها من الداخل وهى دعوة حق أريد بها باطل ، وذلك فى اطار السياسة البريطانية تجاه هذه المسألة التى كانت تعرف « بالمسألة الشرقية » .

وصلة « التنظيمات » بالقضية العربية ، أن دار العروبة فى الشرق كانت جزءا من دار الخلافة العثمانية كما كانت حقل تجارب لعملية التنظيمات التى جلبت وراءها الامتيازات الأجنبية وتغلغل النفوذ الأوروبى فأصبحت مصر مثلاً<sup>(٢)</sup> مسرحاً لأسوأ أنواع التدخل الأوروبى الذى بلغ ذروته فى عهد الخديو اسماعيل وتوفيق عندما اتخذ التدخل أولاً صورة رقابة مالية تحولت الى تدخل سياسى سافر ثم الى احتلال عسكري ( ١٨٨٢ ) وكان أبرز معالم ذلك التدخل اخراج السيد جمال الدين الأفغانى من مصر تحت ضغط الحكومة البريطانية وتعيين بعض الأجانب فى مجلس وزراء مصر ( ريفرز وىلسون ودى بانير )<sup>(٣)</sup> وحرمان مجلس النواب الوطنى حق الرقابة المالية على شئون البلاد ومنح الخديو سلطة مطلقة يمارسها بتوجيه القنصل البريطانى والقنصل الفرنسى .

ولقد سرت مظاهر الظلم وسوء الإدارة التى اتسم بها حكم

(٢) كان لمصر وضع خاص بعد معاهدة لندن ١٨٤٠ — استقلت فيه عن الدولة العثمانية مع بقاء السيادة العثمانية عليها وضمن العرش فيها لمحمد على باشا وأسرته من بعد بالتوارث ، انظر : راشد البراوى ، مجموعة الوثائق السياسية ج ١ ، المركز الدولى لمصر والسودان وقناة السويس القاهرة ١٩٥٢ ، ص ٢٥ — ٣٠ .

(٣) انظر تفاصيل هذا التدخل فى كتاب روتشتين « Egypt's Ruin » ( تاريخ المسألة المصرية ) تعريب عبد الحميد العبادى ومحمد بدران ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٢٣ ص ٦٣ — ٦٩ .

بعض الولاية فى أقاليم الدولة العثمانية ، فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر ، الى أجزاء أخرى من الوطن العربى ، مع ضعف السلطة المركزية فى القسطنطينية واتساع دائرة الصراع بين الدول الأوروبية على مراكز النفوذ الاقتصادى والسياسى والدينى فى الشرق الأوسط لا سيما فى الجزء الغربى من الهلال الخصيب ( الشام ) وكان رد الفعل لهذه الأوضاع دعوة الى الإصلاح الحقيقى تابعة من احساس الشعوب العربية والعثمانية بالحاجة الى التغيير الذى يلبي مطامحها ولا يمسح شخصيتها وقيمها وتراثها فارتفعت الأصوات فى تركيا تنادى بالإصلاح الجذرى ، أصوات محمد نامق كمال ( ١٨٤٠ — ١٨٨٨ ) وضياء باشا كما ارتفعت صيحة الإصلاح فى الشرق العربى على أقاليم جمال الدين الأفغانى ومحمد عبده ورشيد رضا وعبد الرحمن الكواكبي .

وكان على سلاطين آل عثمان ، بعد منتصف القرن التاسع عشر أن يختاروا بين الاستجابة لدعوة الإصلاح المنبثقة من ضمير الشعب الحر أو دعوة الإصلاح التى تبنتها الدول الأجنبية<sup>(٤)</sup> ، وكان السلطان عبد الحميد الثانى الذى اعتلى عرش السلطنة فى عام ١٨٧٦ آخر سلاطين آل عثمان الذين واجهوا هذا الاختيار العسير .

ولكن السلطان عبد الحميد لم يكن يواجه دعوة للإصلاح فحسب وإنما كان يواجه أيضا مدا استعماريا ينذر الخلافة الإسلامية بالفناء ودولا أوروبية متربصة . وكان مفهوم الإصلاح فى عصر التنظيمات — ولعله فى عصرنا هذا أيضا — مرادفا فى نظر الغرب لمعنى «العلمانية» وصياغة الحياة السياسية والاقتصادية فى دار الاسلام على النمط الغربى العلمانى . ومن ثم ، كان السلطان عبد الحميد حذرا فى تقبل الفكرة فلم ينفذ سياسة الإصلاح على النهج الذى أرادت الدول الأوروبية ، فاستغلت تلك الدول هذا الموقف لممارسة مزيد من الضغط على السلطان العثمانى وعلى ولايته فى الأقاليم العربية والعثمانية التى ظلت خاضعة للسلطان خضوعا مباشرا بينما واصلت بريطانيا وفرنسا تدخلهما فى مصر تحت ستار حماية الدائنين الأوروبيين فضعف مسند

(٤) انظر : د. حسين مؤنس : الشرق الإسلامى فى العصر الحديث  
لجنة الجامعيين لنشر العلم ، مطبعة حجازى ، القاهرة ١٩٣٨ ص ٢٦١ .

الخديوية ثم أوعزت بريطانيا الباب العالي بعزل الخديو اسماعيل وأسندت السلطة الى خلفه توفيق الذى أصبح يتصرف بتوجيه القنصلين البريطانى والفرنسى واستشرى التذمر بين الجنود الوطنيين بسبب ما أصابهم من غبن فى عهد عثمان رفقى وأعوانه من الشراكسة وكانت تعاليم الأفغانى قد آتت ثمارها وتجاوبت دعوة المصلحين فى الأزهر مع صحيفة رواد الإصلاح الدستورى أمثال شريف باشا ومحمود سامى البارودى وتهيأ الجو الثورى فانطلقت الثورة فى مصر يقودها أحمد عرابى وعندما التقت جهود القادة الوطنيين والعسكريين من العربيين لم تعد الثورة ضد المظالم التى عانى منها أبناء الفلاحين فى القوات المصرية المسلحة ولكنها أصبحت ثورة وطنية ضد التدخل « البريطانى - الفرنسى » ضد النفوذ الأجنبى أياً كان مصدره وضد مساوىء حكم الخديو توفيق . وانتقلت مظاهر الضعف التى اتسم بها حكم أسرة محمد على خلال الربع الأخير من القرن التاسع عشر الى السودان الذى أصبح منذ عام ١٨٤١ اقليماً تابعاً لحمد على وفقاً لفرمان ولايته الذى ورد فيه « أن سدنقنا الملوكية كما توضح فى فرماننا السلطانى السابق قد ثبتتكم على ولاية مصر بطريق التوارث بشروط وحدود معينة وقد قلدتكم فضلاً عن ولاية مصر مقاطعات الدوبة والدرافور وكردفان جميع توابعها وملحقاتها الخارجة عن حدود مصر » (٥) .

وكما أدى خطأ سياسة الخديو وضعفه أمام التدخل الأجنبى الى اندلاع الثورة العرابية فى مصر ، فان سوء الادارة وتفشى المظالم فى ظل الادارة الخديوية فى السودان ووضوح مظاهر النفوذ الأجنبى كانت من العوامل الهامة التى أذكت ضرام الثورة المهدية فى السودان ولا يستطيع كاتب أن يتحدث عن الثورة العرابية دون أن يذكر الثورة المهدية ، اذ انفجرت الثورتان فى عام واحد (٦) ( ١٨٨١ ) ، احدهما ضد سلطة الخديو فى مصر والأخرى ضد حكمه فى السودان مع

(٥) راشد ابراوى : المصدر نفسه ص ٣٠ .

(٦) اذا اعتبرنا حادثة « ابا » ( ١٢ أغسطس ١٨٨١ ) اعلاناً للثورة

المهدية ومظاهرة عابدين ( ٩ سبتمبر ١٨٨١ ) انطلاقاً للثورة العرابية .

اختلاف طبيعة الثورتين وأهدافهما وتباين الظروف المحلية التي مهدت لهما والظروف العالمية التي أدت الى قمع كل منهما ومع هذا الاختلاف فان المنابع الفكرية التي نهل منها قادة الثورتين كانت مشتركة وهي تتمثل في تعاليم الأفغانى بما تحمله من بعث للشعوب الاسلامية ومناهضة للتنفوذ الأجنبى واستلهاهم للقيم الاسلامية ودعوة المهدى بما تنطوى عليه من اعزاز للدين وجهاد فى سبيل الله وتحرير للأرض التي وطنتها أقدام المعتدين .

واذا كان السلطان عبد الحميد قد اضطر الى قبول دستور مدحت باشا استجابة للضغط الذى واجهه وأعلن ذلك الدستور فى اليوم الثالث والعشرين من شهر ديسمبر سنة ١٨٧٦ فانه ما لبث أن ألغاه وحل البرلمان فى الرابع عشر من شهر فبراير سنة ١٨٧٨ وظل يحكم الدولة بغير دستور حتى انفجرت ثورة تركيا الفتاة فى سنة ١٩٠٨ . ومع أن السلطان عبد الحميد حاول أن يتدارك الموقف بإعلانه دستور سنة ١٨٧٦ ، فى ٢٤ يوليو عام ١٩٠٨ ، فان الزمام أفلت من يده وانتهى عهده ليبدأ عهد جديد من عهود الطفيلان هو عهد تركيا الفتاة الذى انتهى بانتهاء الدولة العثمانية ووقوع البلاد العربية فى قبضة الاستعمار والصهيونية .

ولعل أبعد الأحداث أثرا فى تشكيل القضية العربية وتحديد اتجاهاتها بعد زوال العهد الحميدى كانت سياسة الأتراك الاتحاديين ازاء الأقاليم العربية وظروف الحرب العالمية الأولى . فسياسة جمعية الاتحاد والترقى أو الأتراك الاتحاديين كانت تقوم على الارهاب وتثريك<sup>(٧)</sup> الشعوب العثمانية وارتكاب أنواع من المظالم فاقت كل ما كان يوجه الى العهد الحميدى من تهمة وكان لهذه السياسة أثرها الواضح فى تحويل اتجاه القضية العربية من مجرد دعوة الى الإصلاح واللامركزية فى اطار الدولة العثمانية الموحدة الى حركة سياسية جادة ترمى الى استقلال البلاد ثم الى ثورة مسلحة ضد الأتراك .

(٧) أى تحويل الشعوب العثمانية الى أتراك عن طريق نشره اللغة التركية ومحاربة الاتجاهات الوطنية .

أما ظروف الحرب العالمية الأولى فقد أثرت على القضية من عدة وجوه : منها أن دخول تركيا الحرب الى جانب ألمانيا دفع بريطانيا الى تعديل سياستها المعلنة نحو « المسألة الشرقية » تعديلا جذريا فأصبحت بريطانيا أول دولة تقطع جزءا حيويا - بل أهم جزء - من أقاليم الدولة العثمانية وذلك باعلان الحماية على مصر سنة ١٩١٤ بعد أن كانت تتظاهر بالدفاع عن سلامة الدولة العثمانية وممتلكاتها ، ومع أن اعلان الحماية لم يغير من الواقع شيئا وهو أن مصر كانت خاضعة للاحتلال البريطانى منذ هزيمة عرابى فى معركة التل الكبير ( ١٨٨٢ ) فإن انضمام تركيا الى ألمانيا واعلان الحماية على مصر أعطى بريطانيا الفرصة للظهور بمظهر الدولة الحادية على مصر المدافعة عنها ضد مطامع ألمانيا وحلفائها الأتراك الاتحاديين مستغلة ذلك الشعور العدائى الذى أخذ ينمو عند قادة الحركة العربية ضد سياسة الأتراك لا سيما بعد المذابح التى ارتكبها جمال باشا عندما ولى أمر سوريا فى سنوات الحرب الأولى ومن ثم أخذت بريطانيا تمهد لجذب قادة الحركة العربية الى صف الحلفاء فى الحرب ضد تركيا وأصدرت توجيهاتها الى ممثلها فى القاهرة فى ٢٤ سبتمبر سنة ١٩١٤ <sup>(٨)</sup> ليستطلع موقف شريف مكة الحسين بن على اذا استجابت تركيا لضغط حليفاتها ألمانيا وقامت بتحركات عسكرية معادية لبريطانيا . وكان هذا التوجيه بداية الاتصالات التى انتهت برسائل « حسين - ماكماهون » الشهيرة واعلان الثورة العربية فى الحجاز ضد تركيا ولصالح الحلفاء ( يونيو ١٩١٦ ) وهكذا نرى أن بريطانيا أباحت لنفسها أن تترث السيادة العثمانية على مصر قبل وفاة الرجل المريض ولبست رداء المدافع عن حقوق الأمة العربية جمعاء ضد مطامع تركيا واستبدادها .

ومن ناحية أخرى أتاحت ظروف الحرب العالمية الأولى فرصة نادرة للحركة الصهيونية لتجمع صفوفها بعد الانقسام الخطير الذى أصابها نتيجة اختلاف قادتها حول قبول الاقتراح القاضى بمنحهم وطنًا

(٨) Storrs ( Ronald ) The Memoirs of Sir Ronald. (٨)  
Storrs G.P Putnam's Sons, New York, 1937, P. 163.



قوميا لليهود في شرقي افريقيا وظهر الاختلاف واضحا في المؤتمر الصهيوني السادس (١٩٠٣) ولكن الحرب بعثت في الحركة الصهيونية نشاطا جديدا بقيادة وايزمان في بريطانيا وبراندائيس في الولايات المتحدة الأمريكية وسولوكوف في القارة الأوروبية .

ففي بريطانيا كان حاييم وايزمان على صلة وثيقة بمحرر المانشستر جارديان ، مستر س.ب. سكوت الذي استطاع أن يمهد لاجتماع بين وايزمان ولويد جورج ( وزير المالية آنذاك في حكومة اسكويث ) وهربرت صمويل . وقد سبق هذا الاجتماع اقناع لويد جورج بأن فلسطين اذا دخلت في دائرة النفوذ البريطاني واذا شجعت بريطانيا هجرة اليهود الى فلسطين فانها سوف تصبح في ظرف خمسة وعشرين أو ثلاثين عاما ، موطننا لنحو مليون من المهاجرين اليهود الذين «يعيدون اليها الحضارة ويقفون حراسا أقوى على قناة السويس » وقد حمل هذا الرأي هربرت صميل في رسالة الى لويد جورج مؤرخة في ١٢ نوفمبر ١٩١٤ (٩) .

كذلك أتاحت ظروف الحرب لوايزمان أن ينتقل من جامعة مانشستر حيث كان يعمل محاضرا في الكيمياء ، الى لندن في عام ١٩١٦ حيث التحق بوزارة الحربية ونال حظا وافرا من الاعجاب بسبب ابتكاره الخاص باعداد مادة الآسيتون ، ومن ثم وجد مجالا فسيحا للالتقاء بساسة بريطانيا في الدوائر العليا واقناعهم بتأييد الحركة الصهيونية والتقى نشاطه هناك بنشاط زعيمين آخرين من زعماء الصهيونية هما تشلنوف ( روسيا ) وسولوكوف ( بولندا ) اللذين قدما الى لندن في نهاية عام ١٩١٤ .

وفي الولايات المتحدة الأمريكية انحدر نشاط الصهيونية الى أدنى درجات الهبوط قبيل نشوب الحرب العالمية الأولى لا سيما في عام ١٩١٢ ولكن مع اشتعال نار الحرب ظهر لوى براندائيس زعيما للحركة

---

Mrs. Blanche Dugdale, The Balfour Declaration (٩)  
Jerusalem, 1940, P. 25.

الصهيونية فانتخب رئيسا للجنة التنفيذية الصهيونية التمهيدية فى ٣٠ أغسطس ١٩١٤ (١٠) وعين قاضيا للمحكمة العليا فى أول يناير عام ١٩١٦ ومنذ ذلك التاريخ أتاح له مركزه وصلته الخاصة بالرئيس ويلسون أن يواجه السياسة الأمريكية لخدمة الصهيونية وكان ثمرة نشاط وايزمان فى لندن وبراندائيس فى واشنطن وسوكولوف فى باريس وروما والفاتيكان اعلان وعد بلفور وما تبع ذلك من نشاط انتهى بالانحياز السياسة البريطانية والأمريكية لارادة الصهيونية فى كل المسائل المتعلقة بفلسطين وقد وضع هذا الانحياز فى اصدار وعد بلفور وصيغته كما ظهر فى « معاهدة سيفرس » وفى فرض الانتداب البريطانى على فلسطين وفى صياغة وثيقة الانتداب وادراج وعد بلفور فيها وفى تعيين هربرت صمويل حاكما عاما على فلسطين عام ١٩٢٠ •

وظروف الحرب العالمية الأولى هى التى زينت لبريطانيا أن تقيم سياستها فى الشرق الأوسط على عدد من الوعود والاتفاقات بدأت برسائل «حسين — ماكماهون» (١٤ يوليو ١٩١٥) ثم اتفاق «سايكس — بيكو» (ابريل — مايو ١٩١٦) فوعد بلفور (٢ نوفمبر ١٩١٧) فرسالة هوجارث (يناير ١٩١٨) فالتصريح الموجه للسبعة (يونيو ١٩١٨) فتأكيدات اللنبى للامير فيصل (أكتوبر ١٩١٨) وختمها بالتصريح البريطانى — الفرنسى (٧ نوفمبر ١٩١٨) (١١) •

وقد حسب قادة الحركة العربية آنذاك أنهم قاب قوسين أو أدنى من تحقيق مطالبهم فى الحرية والاستقلال بعد أن تضع الحرب أوزارها استنادا الى تلك الوعود ولكن الواقع المرير أثبت أن بريطانيا لم تحترم من هذه الوعود سوى وعد بلفور واتفاق «سايكس — بيكو» بعد ادخال بعض التعديلات عليه للتوفيق بين المطامع الفرنسية فى سوريا ومطامع

(١٠) Rabinowitz (Ezekel) Justice Louis D. Brandeis New York, 1968 pp. 18 - 38 .

(١١) Woodward and Butler, Documents on British Foreign Policy, First Series 1919 — 1939. H.M. S.O., London, 1952 Vol . 4. p. 241.

الصهيونية في فلسطين وحتى وعد بلفور فان بريطانيا لم تنفذ منه سوى ذلك الجزء الذى يرمى مصالح الصهيونية فى انشاء الوطن القومى لليهود ضاربة عرض الحائط بتعهداتها فيما يتعلق بصيانة الحقوق المدنية والدينية للطوائف غير اليهودية (١٢) المقيمة فى فلسطين . أما الوعود البريطانية الأخرى للعرب فانها لم تكن تتساوى قصاصة الورق التى كتبت عليها .

وتطلع العرب فى مصر والهلال الخصيب الى مؤتمر السلام ( ١٩١٩ ) لانصافهم واستنجزوا بريطانيا وحلفاءها الوعود التى قطعت لهم أثناء الحرب ، ولكن عبثا . وقضى الأمر بعد ابرام معاهدة الصلح فوضعت سوريا ولبنان تحت الانتداب الفرنسى والعراق تحت الانتداب البريطانى وذهبت فلسطين لقمة سائغة للصهيونية تحت قيادة هيربرت صمويل المندوب السامى البريطانى وأحد زعماء الصهيونية (١٣) وظلت مصر فى قبضة الاحتلال البريطانى ، وفاز الشريف حسين بن على بلقب ملك الحجاز ريثما تمنحه بريطانيا حق اللجوء السياسى الى قبرص وتعد له البارجة « دلهى » لتقله الى منفاه فى ١٨ يونيو عام ١٩٢٥ (١٤) وقد سبقه الى المنفى ( ٣ مارس ١٩٢٤ ) آخر سلاطين آل عثمان على اثر ازالة الخلافة الاسلامية من الوجود ، حتى فى مظهرها الروحى ، وظهر مصطفى كمال أتاتورك قائدا لتركيا العلمانية .

وأدرك قادة الأمة العربية — بعد فوات الأوان — مدى الخداع الذى كانت تمارسه بريطانيا فى علاقاتها معهم وعبر الشريف حسين بن على عن حسرته قائلا : « لقد تجاهلت النقد الذى تلقينته من مسلمى تركيا بشأن علاقاتي مع بريطانيا وقد وجدت فى الاستجابة لدعوة بريطانيا لى لاعلان الثورة تجديدا لمجد العرب وارضاء لمشاعر المسلمين وكانت نتيجة ذلك نهاية العرب ونهاية تركيا على السواء » (١٥) .

(١٢) هكذا كان صناع وعد بلفور يسمون الشعب العربى فى فلسطين .

(١٣) لم يكن لهيربرت صمويل منصب رسمى فى المنظمة الصهيونية

ولكنه ظل يخدمها من وراء ستار .

(١٤) امين سعيد : الثورة العربية الكبرى ج ٣ — ص ٢١١ .

(١٥) Woodward and Butler, op. cit., Vol. 13 p. 309.

لقد كانت الفترة ( ١٩١٩ - ١٩٢٥ ) حاسمة في تاريخ القضية العربية لأنها شهدت تقنين الاحتلال البريطاني في العراق والاحتلال الفرنسي في سوريا ولبنان باسم الانتداب تارة وباسم الحماية والوصاية ومعاهدات التحالف تارة أخرى ، بل كانت هذه الفترة - بحق - فترة التمكين للصهيونية في فلسطين واحاطتها بضمانات وصفت بأنها دولية تمثلت في الاعتراف بوعدها بلفور على نطاق عالمي وادراجه في وثيقة الانتداب على فلسطين والنص على الانتداب في المادة الثانية والعشرين من ميثاق عصبة الأمم . وقد حددت تسويات الحلفاء خلال الفترة ( ١٩١٩ - ١٩٢٠ ) معالم المعركة بين الأمة العربية والغرب من ناحية وبينها وبين الصهيونية العالمية من ناحية أخرى طوال النصف الأول من القرن العشرين وكسبت الأمة العربية المعركة ضد الاحتلال البريطاني والفرنسي ولكن معركتها مع الصهيونية ما زالت قائمة وقد تمتد أجيالا بل قرونا لأن طبيعة المعركة اليوم تختلف عنها بالأمس . لقد كانت الأمة العربية بالأمس تواجه احتلالا بريطانيا وفرنسيا موقوتا مهما طال مداه ولكنها اليوم تواجه قوة فرضت عليها بحد السلاح لتهبىء وطنها في قلب العالم العربي لملايين اليهود الذين ظلوا هائمين على وجوههم زهاء ألفي عام يعانون التشرد والاضطهاد وعداء السامية (١٦)

(١٦) نزعة العداء للسامية «Antisemitism» تعبير قصص به - أصلا - وصف الحركة التي تهدف إلى اذلال اليهود واضطهادهم لكن الكلمة بمعناها الحديث يقصد بها الأعمال التي يقوم بها الافراد أو الجماعات لحرمان اليهود من الحقوق المدنية والدينية والسياسية وحظر إقامة صلة طبيعية بين اليهود وبين غيرهم من أعضاء الأسرة البشرية . وقد ظهر التعبير للمرة الأولى في ألمانيا في أعقاب الحرب الألمانية - الفرنسية (٧١/١٨٧٠) وتقول المصادر اليهودية أن « Wilhelm Marr » كان - على الأرجح - أول من ابتكر هذا التعبير واستخدمه في نشرة أصدرها عام ١٨٧٩ وهي نفس السنة التي شهدت ظهور « رابطة معاداة السامية » بقيادة « Adolf Stoecker » وكانت الرابطة تمثل تحالفا للقوى المعادية لليهود استنادا إلى بواعث اقتصادية ودينية وعنصرية . راجع :

— Universal Jewish Encyclopaedia, Vol. I, p. 341.

— J. Parkes, Antisemitism, Valentine Mitchell and Co., Ltd.  
London, 1963 , p. 28.

فى الغرب والشرق الأوروبى ، وهذا وضع لم يشهده الشرق العربى منذ أن حرر صلاح الدين بيت المقدس وتضى على آخر الدويلات الصليبية فيما يسمى « العصور الوسطى » ليعيد الى هذه المنطقة وحدتها العربية الاسلامية . ومما يزيد الأمر خطورة ، أنه عندما تغيرت موازين القوى فى النصف الأول من القرن العشرين عقب حربين عالميتين طاحنتين واتخذت الصهيونية طريقها الى مواقع النفوذ فى العالم الأوروبى ، شرقيه وغربيه ، لم يجد هذا العالم ما يكفر به عن المظالم التى ارتكبها فى حق اليهود عبر القرون الا على حساب الأمة العربية التى كان تسامحها مع اليهود مضرب الأمثال بشهادة مؤرخى اليهود أنفسهم<sup>(١٧)</sup> .

\*\*\*

---

— Ibrahim el Hardallo, Antisemitism, A Changing Concept, University op Khatoum Press, 1970, p. 9.

Salo Wittmayer Baron, A Social and Religious (١٧) History of the Jews, 2nd. Ed. Columbia University Press, New York, 1957 Vol. 3 P. 121.

وراجع ايضا :  
Heinrich Graetz , History of the Jews, Philadelphia, 5117, 1956, Vol. 3 P. 88.



### مصادر أخرى للكتاب

أثبتنا المصادر الأساسية في أماكنها بهوامش الكتاب ، وهناك مصادر أخرى هي :

#### ● المصادر العربية :

- ١ — أحمد أمين : زعماء الإصلاح في العصر الحديث ، مكتبة النهضة المصرية — القاهرة ١٩٥٩ .
- ٢ — عبد العزيز الدوري : الجذور التاريخية للقومية العربية ، دار العلم للملايين — بيروت ١٩٦٠ .
- ٣ — عثمان أمين : محمد عبده ، أعلام الإسلام ، دار إحياء الكتب العربية مصطفى البابي الحلبي وشركاه — القاهرة ١٩٤٤ ( يولييه ) .
- ٤ — شكرى فيصل : حركة الفتح الإسلامي في القرن الأول ، مكتبة الخانجي بمصر — ١٣٧١ هـ ( ١٩٥٢ م ) .
- ٥ — لويس عوض : تاريخ الفكر المصري الحديث ، كتاب الهلال — ٢ الطبعة الثالثة — القاهرة — ١٩٦٩ .
- ٦ — محمد رشيد رضا : تاريخ الأستاذ الإمام محمد عبده ، دار المنار — مصر ١٣٥٠ هـ ( الطبعة الأولى ) .
- ٧ — مكي شبكة : العرب والسياسة البريطانية في الحرب العالمية الأولى دار الثقافة ، بيروت ١٩٧٠ .

#### ● المصادر الأفرنجية :

- 1 — Ahmad ( J.M. ) , The Intellectual Origins of Egyptian Nationalism, Oxford University Press, 1960.
- 2 — Ahmad ( Feroz ) The Young Turks, O.U.P. 1969.
- 3 — Asher Ginzberg ( Ahad Ha' Am ) , Nationalism and the Jewish Ethic, Edt. by Han Kohn, New York, 1962.
- 4 — Atiyah ( Edward ) The Arabs, Penguin Books, London, 1955.
- 5 — Balfour ( J.A ) , Speeches on Zionism, Edt. by Israel Cohen, Arrowsmith, London, 1928.
- 6 — Blunt ( W.S. ) My Diaries ( 1888 - 1914 ) , London, 1932.

- 7 — Ghorbal ( Shafik ) The beginnings of the Egyptian question and the rise of Mehemet Ali George Routledge and Sons Ltd, London, 1928.
- 8 — Hourani ( A ) Minorities in the Arab World, London, 1947.
- 9 — Heller ( Joseph ) The Zionist Idea Schocken Books, New York, 1949.
- 10 — Laqueur ( W.L. ) Communism and Nationalism in the Middle East, Routeledge and Kegan Paul, London, 1957.
- 11 — Newmann ( E. ) The Birth of Jewish Statesmanship, A Story of Theodor Herzl's Life, New York, 1945.
- 12 — Noth ( Martin ) The History of Israel, Second English Edition Adam and Charles Black, London, 1958.
- 13 — Parkes ( James ) : A History of the Jewish People, Penguin 1962, Palestine, Oxford University Press, 1940.
- 14 — Rabinowiz ( Oskar, K. ) Herzl, Architect of the Balfour Declaration, New York, 1958.
- 15 — Rosenthal ( E. I. J. ) Judaism and Islam, Thomas Yoseloff, New York, 1961.
- 16 — Smith ( W.C ) Islam in Modern History ( Nentor Book ) New York, 1963.
- 17 — Tibawi ( A. L. ) Anglo — Arab Relations and the Question of Palestine, 1914 - 1921, Luzac and Co. Ltd., London, 1978.
- 18 — Taylor ( Alan ) Prelude To Isreal , New York, 1959.
- 19 — Weigall ( A. E. P. Brome ) A History of Events in Egypt from 1798 to 1914, Edinburgh - London , 1915.

\* \* \*



### الوثائق

- ١ - رسائل « حسين - ماكماهون » ( ١٩١٥ - ١٩١٦ ) .
- ٢ - البلاغ الانجليزى الرسمى فى شأن العرب والسلطة الاسلامية  
( ٢٨ يوليو ١٩١٦ ) .
- ٣ - رسائل « فرانكفورت - ويلسون » . ( ٨ مايو ١٩١٩ -  
٢١ مايو ١٩١٩ ) .
- ٤ - الاحصاء الرسمى لسكان فلسطين . ( ١٩٢٢ - ١٩٣٦ ) .

\* \* \*



( ١ ) رسائل « حسين — مكامهون » (\*)

من ١٩ شوال سنة ١٣٣٣ هـ الموافق ٣٠ أغسطس عام ١٩١٥ الى  
جمادى الأولى سنة ١٣٣٤ هـ الموافق ١٠ مارس عام ١٩١٦ .  
( عن مجلة المنار ج ٨ م ٢٣ ، ص ٦١٦ — ٦٢٣ )

### الكتاب الأول

« من نائب ملك الانكليز بمصر الى أمير مكة فى شأن الثورة الحجازية »  
« فى ١٩ شوال سنة ١٣٣٣ الموافق ٣٠ أغسطس سنة ١٩١٥ »  
كتاب من السر آرثر مكامهون نائب ملك الانكليز بمصر  
فى ١٩ شوال سنة ١٣٣٣ — ٣٠ أغسطس سنة ١٩١٥

الى السيد الحسيب الحسيب سلاله الاشراف ، وتاج الفخار ،  
وفرع الشجرة المحمدية ، والدوحة القرشية الاحمدية ، صاحب المقام  
الرفيع والمكانة السامية السيد ابن السيد الشريف ابن الشريف  
السيد الجليل المبجل دولتو الشريف حسين سيد الجميع أمير مكة  
المكرمة قبله العالمين ، ومحط رجال المؤمنين الطائعين ، عمت بركته  
الناس أجمعين .

بعد رفع رسوم واقر التحيات العاطرة ، والتسليمات القلبية  
الخالصة من كل شائبة . نعرض أن لنا الشرف بتقديم واجب الشكر  
لاظهاركم عاطفة الاخلاص وشريف الشعور والاحساسات نحو الانجليز ،  
وقد يسرنا علاوة على ذلك أن نعلم أن سيادتكم ورجالكم على رأى  
واحد ، وأن مصالح العرب هى نفس مصالح الانكليز . والعكس  
بالعكس . ولهذه النية فنحن نؤكد لكم أقوال فخامة اللورد كيتشنر التى

(\*) لقد نشرت هذه الرسائل فى عدد من المؤلفات التى صدرت من  
قبل باللغتين العربية والانجليزية ولكنى آثرت أن أنشر نماذج منها هنا  
تعميماً للفائدة وتيسيراً لمن لم يتح لهم الاطلاع عليها من قبل .

المؤلف

وصلت الى سيادتكم عن يد على افندى وهى التى كان موضحاً بها  
رغبتنا فى استقلال بلاد العرب وسكانها مع استصوابنا للخلافة العربية  
عند اعلانها . واننا نصرح هنا مرة أخرى أن جلالة ملك بريطانيا العظمى  
رحب باسترداد الخلافة الى يد عربى صميم من فروع تلك الدوحة  
النبوية المباركة .

وأما من خصوص مسألة الحدود والتخوم فالمفاوضة فيها تظهر  
أنها سابقة لاوانها ، وتصرف الاوقات سدى فى مثل هذه التفاصيل فى  
حالة أن الحرب دائرة رحاها ، ولأن الاتراك لا يزالون محتلين لأغلب  
تلك الجهات احتلالاً فعلياً ، وعلى الاخص ما علمناه وهو مما يدهش  
ويحزن أن فريقاً من العرب القاطنين بتلك الجهات نفسها قد غفل وأهمل  
هذه الفرصة الثمينة التى ليس أعظم منها ، وبذل اقدام ذلك الفريق  
على مساعدتنا نراه قد مد يد المساعدة الى الالمان والاتراك .

نعم مد يد المساعدة لذلك السلاب النهاب الجديد وهو الالمان ،  
وذلك الظالم العسوف وهو الاتراك . ومع ذلك فاننا على كمال الاستعداد  
لأن نرسل الى ساحة دولة السيد الجليل ما للبلاد العربية المقدسة والعرب  
الكرام من الحبوب والصدقات المقررة من البلاد المصرية ، ونستصل  
بمجرد اشارة سيادتكم وفى المكان الذى تعينونه ، وقد عملنا الترتيبات  
اللازمة لمساعدة رسولكم فى جميع سفرائه اليينا ، ونحن على الدوام معكم  
قلبا وقالبا ، مستنشقين رائحة مودتكم الذكية ، ومستوثقين بعزى محبتكم  
الخالصة ، سائلين الله سبحانه وتعالى دوام حسن العلائق بيننا . وفى  
الختام أرفع الى تلك السدة العليا كامل تحياتى وسلامى ، وفائق  
احترامى .

المخلص

السير ارثر مكماهون  
نائب جلالة الملك

\* \* \*

وقد أجابه الشريف حسين على هذا الكتاب بكتاب مؤرخ فى ٢٩ شوال يلمح فيه بقبول تلك الحدود المعينة فيما سماه ( مقررات النهضة ) فأجابه بالكتاب التالى :

### كتاب ثان

من نائب الملك السر آرثر مكماهون الى الشريف حسين

فى ١٥ ذى الحجة سنة ١٣٣٣

بسم الله الرحمن الرحيم

الى فروع الدوحة المحمدية ، وسلالة النسب النبوى ، الحسينى ، دولة صاحب المقام الرفيع ، الامير المعظم السيد الشريف ابن الشريف أمير مكة المكرمة صاحب السدة العليا ، جعله الله حرزاً منيعاً للإسلام والمسلمين ، يعونه تعالى آمين وهو دولة الامير الجليل الشريف حسين بن على أعلى الله مقامه .

قد تلقيت بيد الاحتفاء والسرور رقيمكم الكريم المؤرخ بتاريخ ٢٩ شوال سنة ١٣٣٣ وبه من عباراتكم الودية المحضة واخلاصكم ما أورثنى رضاء وحبوراً . انى متأسف أنكم استنتجتم من عبارة كتابى السابق انى قابلت مسألة الحدود والتخوم بالتردد والفتور ، فان ذلك لم يكن القصد من كتابى قط — ولكنى رأيت حينئذ أن الفرصة لم تكن قد حانت بعد للبحث فى ذلك الموضوع بصورة نهائية . ومع ذلك فقد أدركت من كتابكم الاخير أنكم تعتبرون هذه المسألة من المسائل الهامة الحيوية المستعجلة فلذلك فانى قد أسرعت فى ابلاغ حكومة بريطانيا العظمى مضمون كتابكم وانى بكمال السرور أبلغكم بالنيابة عنها التصريحات الآتية التى لا شك فى أنكم تتزولونها منزلة الرضى والقبول .

ان ولايتى مرسين واسكندرونة وأجزاء من بلاد الشام الواقعة فى الجهة الغربية لولايات دمشق الشام وحمص وحماه وحلب لا يمكن أن يقال انها عربية محضة ، وعليه يجب أن تستثنى من الحدود المطلوبة .

مع هذا التعديل وبدون تعرض للمعاهدات المعقودة بيننا وبين بعض رؤساء العرب نحن نقبل تلك الحدود •

وأما من خصوص الاقاليم التي تضمها تلك الحدود حيث بريطانيا العظمى مطلقا التصرف (١٩) بدون أن تمس مصلحة حليفتها فرنسا (٢٠) فإني مفوض من قبل حكومة بريطانيا العظمى أن أقدم الموائيق الآتية وأجيب على كتابكم بما يأتي :

(١) انه مع مراعاة التعديلات المذكورة أعلاه فبريطانيا العظمى مستعدة بأن تعترف باستقلال العرب وتؤيد ذلك الاستقلال في جميع الاقاليم الداخلة في الحدود التي يطلبها دولة شريف مكة •

(٢) ان بريطانيا العظمى تضمن الاماكن المقدسة من كل اعتداء خارجي وتعترف بوجوب منع التعدي عليها •

(٣) وعندما تسمح الظروف تمتد بريطانيا العظمى العرب بنصائحهم وتساعدهم على ايجاد هيئات حاكمة ملائمة لتلك الاقاليم المختلفة •

(٤) هذا وان المفهوم أن العرب قد قرروا طلب نصائح وارشادات بريطانيا العظمى وحدها وأن المستشارين والموظفين الاورباويين تشكيل هيئة ادارية قوية يكونون من الانكليز •

(٥) أما من خصوص ولايتي بغداد والبصرة فان العرب تعترف أن مركز ومصالح بريطانيا العظمى الموطدة هناك تستلزم اتخاذ تدابير ادارية مخصصة لوقاية هذه الاقاليم من الاعتداء الاجنبي وزيادة خير سكانها وحماية مصالحنا الاقتصادية المتبادلة •

وانى متيقن بأن هذا التصريح يؤكد لدولتكم بدون أقل ارتياب ميل بريطانيا العظمى نحو رغائب أصحابها العرب وتنتهي بعقد محالفة (٢١) دائمية ثابتة معهم • ويكون من نتائجها المستعجلة طرد الاتراك من بلاد العرب وتحرير الشعوب العربية من نير الاتراك الذي أثقل كاهلهم السنين الطوال •

ولقد اقتصر في كتابي هذا على المسائل الحيوية ذات الاهمية

الكبرى وان كان هناك مسائل فى خطاباتكم لم تذكر هنا فنعود الى البحث فيها فى وقت مناسب فى المستقبل .

واقدر تلقيت بمزيد السرور والرضى خبر وصول الكسوة الشريفة وما معها من الصدقات بالسلامة وانها بفضل ارشاداتكم السامية قد أنزلت الى البر بلا تعب ولا ضرر رغما عن الاخطار والمصاعب التى سببتها هذه الحرب المحزنة . ونرجو الحق سبحانه وتعالى أن يعجل بالصلح الدائم والحرية لاهل العالم .

انى لمسل خطابى هذا مع رسولكم النبيل الامين الشيخ محمد بن عارف بن عريفان وسيعرض على مسامعكم بعض المسائل المفيدة التى هى فى الدرجة الثانية من الاهمية ولم أذكرها فى كتابى هذا . وفى الختام ابث دولة الشريف . ذا الحسب المنيف ، والامير الجليل ، كامل تحييتى ، وخالص مودتى ، وأعرب عن محبتى له ولجميع أفراد أسرته الكريمة ، راجيا من ذى الجلالة أن يوفقنا جميعا لما فيه خير العالم ، وصالح الشعوب . ان بيده مفااتيح الامر والغيب يحركها كيف شاء ونسأله تعالى حسن الختام والسلام .

نائب جلالة الملك  
السير آرثر مكماهون

\*\*\*

### كتاب ثالث

« من نائب ملك الانكليز بمصر الى الشريف حسين أمير مكة »

( فى ٨ صفر سنة ١٣٣٤ )

الى صاحب الاصاله والرفعة وشرف المحتد سلالة بيت النبوة والحسب الطاهر ، والنسب الفاخر ، دولة الشريف المعظم السيد حسين ابن على أمير مكة المكرمة قبله الاسلام والمسلمين أدامه الله فى رفعة وعلاء .

( ١٥ — نكبة الأمة العربية )

وبعد فقد وصلنى كتابكم الكريم بتاريخ ٢٤ ذى الحجة سنة ١٣٣٣  
وسرنى ما رأيت فيه من قبولكم اخراج ولايتى مرسين وأضنة من  
حدود البلاد العربية • وقد تلقيت أيضا بمزيد السرور والرضى تأكيدكم  
ان العرب عازمون على السير بموجب تعاليم الخليفة عمر بن الخطاب  
رضى الله تعالى عنه وغيره من السادة الخلفاء الاولين — التعاليم التى  
تضمن حقوق كل الاديان وامتيازاتها على السواء • هذا وفى قولكم :  
ان العرب مستعدون أن يحترموا ويعترفوا بجميع معاهدتنا مع رؤساء  
العرب الآخرين يعلم منه طبعاً ان هذا يشمل البلاد الداخلة فى حدود  
المملكة العربية لان حكومة بريطانيا العظمى لا تستطيع أن تنقض اتفاقات  
قد أبرمت بينها وبين أولئك الرؤساء •

أما بشأن ولايتى حلب وبيروت فحكومة بريطانيا العظمى قد فهمت  
كل ما ذكرتم بشأنهما ودونت ذلك عندها بعناية تامة • ولكن لما كانت  
مصالح حليفتها فرنسا داخلة فيهما فالمسئلة تحتاج الى نظر دقيق ،  
وسنخاطبكم بهذا الشأن مرة أخرى فى الوقت المناسب •

ان حكومة بريطانيا العظمى كما سبقت فأخبرتكم مستعدة لان  
تعطى كل الضمانات والمساعدات التى فى وسعها الى المملكة العربية  
ولكن مصالحها فى ولاية بغداد تتطلب إدارة ودية ثابتة واننا نستصوب  
تماماً رغبتكم فى اتخاذ الحذر ولسنا نريد أن ندفعكم الى عمل سريع  
ربما يعرقل أغراضكم ولكننا فى الوقت نفسه نرى من الضرورى جداً  
أن تبذلوا كل مجهوداتكم فى جمع كلمة الشعوب العربية الى غايتنا  
المشتركة وان تحثوهم على أن لا يمدوا يد المساعدة لاعدائنا بأى وجه  
كان • فانه على نجاح هذه المجهودات وعلى التدابير الفعلية التى يمكن  
للعرب أن يتخذوها لأسعاف غرضنا عندما يجرى وقت العمل نتوقف قوة  
الاتفاق بيننا وثباته • وفى هذه الاحوال فان حكومة بريطانيا العظمى  
قد فوضت لى أن أبلغ دولتكم أن تكونوا على ثقة من أن بريطانيا العظمى  
لا تنوى ابرام أى صلح كان الا اذا كان من ضمن شروطه الاساسية  
حرية الشعوب العربية وخلاصها من سلطة الالمان والاتراك •



هذا وعربونا على صدق نيتنا ولاجل مساعدتكم فى مجهوداتكم  
فى غايتنا المشتركة فانى مرسل مع رسولكم الامين مبلغ عشرين ألف جنيه .

وأقدم فى الختام عاطر التحيات القلبية ، وخالص التسليمات  
الودية ، مع مراسم الاجلال والتعظيم المشمولين بروابط الالفة والمحبة  
الصرفة لمقام دولتكم السامى ولافراد أسرته المكرمة مع فائق الاحترام .

المخلص

نائب جلالة الملك بمصر  
السير آرثر هنرى مكماهون

\*\*\*

وقد رد الشريف على هذا الكتاب حامدا شاكرا راضيا واعدا بالقيام  
بجمع كلمة العرب على قتال الترك طالبا بعض الاسلحة والذخائر  
والاقوات . فأجابه نائب الملك بالكتاب الآتى :

### كتاب رابع

« من نائب ملك الانكليز بمصر الى الشريف حسين أمير مكة »

( فى جمادى الاولى سنة ١٣٣٤ يوافق ١٠ مارس سنة ١٩١٦ )

بسم الله الرحمن الرحيم

الى ساحة ذلك المقام الرفيع ذى الحسب الطاهر والنسب الفاخر  
قبلة الاسلام والمسلمين معدن الاشرف وطيب المحتد سلالة مهبط الوحي  
المحمدى الشريف ابن الشريف، صاحب الدولة السيد الشريف حسين بن  
على أمير مكة المعظمة زاده الله رفعة وعلاء .. آمين .

بعد ما يليق بمقام الامير الخطير من التجلة والاحتشام وتقديس  
خالص التحية والسلام وشرح عوامل الالفة وحسن التفاهم والمودة  
المزوجة بالمحبة القلبية أرفع الى دولة الامير المعظم اننا تلقينا رقيمكم  
المؤرخ ١٤ ربيع الآخر من يد رسولكم الامين وقد سررنا لموقفنا على

التدابير الفعلية التي تنوونها وانها لموافقة في الاحوال الحاضرة وان حكومة جلالة ملك بريطانيا العظمى تصادق عليها وقد سرنى أن أخبركم بأن حكومة جلالة الملك صادقت على جميع مطالبكم<sup>(١)</sup> وان كل شيء رغبتكم الاسراع فيه وفي ارساله فهو مرسل مع رسولكم حامل هذا والاشياء الباقية ستحضر بكل سرعة ممكنة وتبقى في بورت سودان تحت أمركم احين ابتداء الحركة وابلاغنا اياها بصورة رسمية كما ذكرتم وبالمواقع التي يقتضى سوقها اليها والوسائل التي سيكونون حاملين الوثائق بتسليمها اياهم .

ان كل التعليمات التي وردت في محرركم قد أعلمنا بها محافظ بورت سودان وهو سيجريها حسب رغبتكم وقد عملت جميع التسهيلات اللازمة لارسال رسولكم حامل خطابكم الاخير الى جيزان حتى يؤدي ماأموريته التي نسأل الله أن يكفلها بالنجاح وحسن النتائج ؟ وسيعود الى بورت سودان وبعدها يصلكم بحراسة الله ليقتص على مسامع دولتكم نتيجة عمله .

وننتهز الفرصة لنوضح لدولتكم في خطابنا هذا ما ربما لم يكن واضحاً لديكم أو ما عساه أن ينتج سوء تفاهم ألا وهو يوجد في بعض المراكز أو النقاط العسكرية فيها بعض العساكر التركية على سواحل بلاد العرب<sup>(٢)</sup> يقال انهم يجاهرون بالعداء لنا والذين هم يعملون على ضرر مصالحنا الحربية البحرية في البحر الاحمر وعليه نرى انه من الضروري أن نأخذ التدابير الفعالة ضدهم ولكننا قد أصدرنا الاوامر الفعالية انه يجب على جميع بوارجنا أن تفرق بين عساكر الاتراك الذين يبدؤون بالعداء وبين العرب الابرياء الذين يسكنون تلك الجهات لانا لا نقدم للعرب أجمع الا كل عاطفة ودية . وقد أبلغنا دولتكم ذلك حتى تكونوا على بينة من الامر اذا بلغتم خبراً مكذوباً عن الاسباب التي تضطرننا الى عمل من هذا القبيل .

(١) المراد بهذه المطالب الاسلحة وعتاد الحرب .

(٢) لعله سقط من هنا ذكر من وصفوا بانهم يجاهرون بالعداء للانجليز .

وقد بلغنا اشاعات مؤداها أن أعداءنا الالقاء باذلون جهدهم فى اعمال السفن ليبيثوا بها الالغام فى البحر الاحمر ولالحاق الاضرار بمصالحنا فى ذلك البحر وانا نرجوكم سرعة اخبارنا اذا تحقق لديكم ذلك .

وقد بلغنا ان ابن الرشيد قد باع للاتراك عدداً عظيماً من الجمال وقد أرسلت الى دمشق الشام ونأمل أن تستعملوا كل ما لكم من التأثير عليه حتى يكف عن ذلك واذا هو صمم على ما هو عليه أمكنكم عمل الترتيب مع العربان الساكنين بينه وبين سوريا أن يقبضوا على الجمال حال سيرها ولا شك ان فى ذلك صالح لمصلحتنا المتبادلة .

وقد يسرنى أن أبلغ دولتكم ان العربان الذين ضلوا السبيل تحت قيادة السيد أحمد السنوسى وهم الذين أصبحوا ضحية دسائس الالمان والاتراك قد ابتدأوا يعرغون خطأهم وهم يأتون الينا وحدائنا وجماعات يطلبون العفو عنهم والتودد اليهم وقد أخذت العرب تبصر العشى والخديعة جمعها هؤلاء الدسائسون ضدها وقد أخذت العرب تبصر العشى والخديعة التى حاقت بهم . وان لسقوط أرضروم من يد الاتراك وكثرة انهزاماتهم فى بلاد القوقاس تأثير عظيم (١) وهو فى مصلحتنا المتبادلة وخطوة عظيمة فى سبيل الامر الذى نعمل له واياكم . ونسأل الله عز وجل أن يكلل مساعيكم بتاج النجاح والفلاح ، وأن يمهّد لكم فى كامل أعمالكم أحسن السبيل والمناهج . وفى الختام أقدم لدولتكم ولكامل أفراد اسرتكم الشريفة عظيم الاحترامات وكامل ضروب المودة والاخلاص مع المحبة التى لا يزعزعها كر العصور ومرور الايام .

كتبه المخلص

السير آرثر مكماهون

نائب جلالة الملك بمصر

\*\*\*

( ٢ ) البلاغ الانكليزي الرسمي في شأن العرب والسلطة الاسلامية

مصر في ( ٢٨ يوليو ١٩١٦ )

( عن مجلة المنار ج ٣ م ١٩ ص ١٨٨ - ١٨٩ )

### البلاغ الانكليزي الرسمي في شأن العرب والسلطة الاسلامية

أرسل قلم المطبوعات البلاغ الآتي الى الجرائد في القطر المصري :

مصر في ٢٨ يوليو سنة ١٩١٦

نشر في لندن انيوم البلاغ التالي :

« منذ سنين والعرب المعذبون بسوء الحكم التركي ينتظرون اليوم الذي يتمكنون فيه من استرجاع حريتهم السابقة وقد قاموا في الماضي بثورات عديدة ضد الاستبداد التركي في البلاد العربية •

« وقد أدى سوء تصرف الحكومة الحالية في الآستانة وخضوعها التام لسلطة الالمان الى دخول تركيا مضطرة في حرب مشؤومة أوصلت الاحوال فيها الى حد النهاية ، فرأى شريف مكة وغيره من الزعماء في البلاد العربية أن الاوان قد آن لخلع النير التركي عن أعناقهم والمناداة باستقلالهم •

« وكانت بريطانيا العظمى تعطف دائما على العرب في أمانيتهم ولكن صداقتها التقليدية لتركيا اضطرتها في الماضي الى البقاء على الحياد • أما الآن وقد انضمت تركيا الى صف الدول الوسطى فقد أصبحت بريطانيا العظمى حرة في اظهار عطفها على أولئك العرب الذين انخرطوا في جانب الحلفاء ضد العدو والمشترك •

« على أن بريطانيا العظمى ستبقى محافظة على سياستها الثابتة في الابتعاد عن أية مداخل في الشؤون الدينية ، وعلى بذل جهدها في بقاء الاماكن المقدسة آمنة من كل طارئ خارجي •

« ومن النقط التي لا تقبل التغيير والتبديل في سياسة بريطانيا العظمى وهو أن تبقى هذه الأماكن المقدسة في أيدي حكومة إسلامية مستقلة » .

« ولا يخفى أن أحوال الحرب الحاضرة تلقى العقبات الكثيرة والاضطراب في سبيل الراغبين في القيام بفريضة الحج ولكن العمل الذي قام به شريف مكة يجعل الأمل كبيراً في اتخاذ التدابير اللازمة التي تمكن الحجاج في المستقبل من زيارة الأراضي المقدسة بسلام واطمئنان » اهـ

\* \* \*

( ٣ ) رسائل « فرانكفورتر - ويلسون »

وهي الرسائل المتبادلة بين فيليكس فرانكفورتر عضو الوفد الصهيوني الأمريكي في باريس والرئيس الأمريكي وودرو ويلسون حول اتخاذ فلسطين وطنًا قوميًا لليهود \*

Franfurter - Wilson Correspondence Reproduced From Documents on British Foreign Policy, First Series. 1919 — 1939 Vol. 4.

By Courtesy of Her Majesty's Stationery Office, Atlantic House, Holborn Viaduct London, EC. 1P. 1BN. England.

No. 180

*Mr. Balfour (Paris) to Earl Curzon (Received June 2)*

No. 861 [82739/1051/44]

PARIS, May 31, 1919

Mr. Balfour presents his compliments to Lord Curzon and transmits herewith copies of the under-mentioned papers:

| Name and Date   | Subject   |
|---|---|
| Correspondence communicated by Mr. Frankfurter, 1 May 21. | Establishment of Palestine as Jewish National Home. |

ENCLOSURE 1 IN NO. 180<sup>a</sup>

*Mr. Frankfurter to President Wilson*<sup>a</sup>

ORGANISATION SIONISTE, PARIS, May 8, 1919

My dear Mr. President,

Conscious of the duty of every American not to take from your time and energy, I am nevertheless compelled to bring to your attention the conditions that now confront Jewry, above all Eastern Jewry.

You are familiar with the problems and have stated their solution. The controlling Jewish hope has been—and is—your approval of the Balfour Declaration and your sponsorship of the establishment of Palestine as the Jewish National Home. The appointment of the Interallied Syrian Commission and the assumed postponement for months, but particularly beyond the time of your stay here, of the disposition of Near Eastern questions, have brought the deepest disquietude to the representatives of the Jewry of the world. As a passionate American I am, of course, most eager that the Jew should be a reconstructive and not a disruptive force in the new world order. I have reassured their leaders, with the conviction born of knowledge of your purposes. They have faith; I venture to think no people in Paris have more faith, the faith of 2,000 years. But they also have the knowledge of the suffering of millions of Jews; and the hopes of Jews the world over, which nothing

<sup>a</sup> Member of the American Zionist Delegation at Paris.

will assuage except the rededication, at last, of Palestine as a Jewish Homeland.

Moreover it is not merely a Jewish question. An extended delay in the Near Eastern settlement is bound to intensify the existing unrest by giving dangerous opportunities to Young Turk intrigue and to the stimulation of religious animosities.

The English authorities are eager to have Dr. Weizmann<sup>2</sup> and me go to Palestine to assure moderation in the Jewish population. We are doing all that can be done and I am confident the Jewish population will maintain restraint. But I dare not leave here while the Turkish issues are undetermined and while you are still in Paris to decide them.

You will forgive me for writing, but circumstances have made me the trustee of a situation that affects the hopes and the very life of a whole people. Therefore I cannot forbear to say that not a little of the peace of the world depends upon the disposal before your return to America of the destiny of the people released from Turkish rule.

Faithfully yours,<sup>3</sup>

ENCLOSURE 2 IN No. 180.

*President Wilson to Mr. Frankfurter*

PARIS, May 13, 1919

My dear Mr. Frankfurter,

Just a line to acknowledge your important letter of May 8th,<sup>4</sup> and to say how deeply I appreciate the importance and significance of the whole matter.

Cordially and sincerely yours,

WOODROW WILSON

ENCLOSURE 3 IN No. 180

*Mr. Frankfurter to President Wilson*

May 14, 1919

My dear Mr. President,

You know how profoundly words, even familiar words, move people today—how their hopes and their faith are sustained or saddened, by what you say or fail to say. Therefore I know you will want me to inform you, in all candour, that your note of acknowledgement to my letter of May 8th has occasioned almost despair to the Jewish representatives now assembled in Paris, who speak not only for the Jews of Europe but also for the American Jewish Congress, the democratic voice of three million American Jews. I do not fail to appreciate the forces which confront you here, and the circumstance which conditions impose upon you. On our side the task is to keep literally millions of Jews in check. Uncertainty, indefinite delay, seeming change of policy, bring a feeling of hopelessness which only those in intimate

<sup>1</sup> President of the Zionist Federation of Great Britain and Ireland.

<sup>2</sup> Signature lacking in original copy.

<sup>3</sup> Enclosure 1 above.

contact with the people whose fate is at stake can fully gauge. We are bending every energy to prevent the slow attrition of the spirit of such a people.

Therefore, you will forgive me for submitting to you the wisdom and justice of a reassuring word, written or spoken, even though it be repetitive—that you are purposing to have the Balfour Declaration written into the Treaty of Peace, and that you are aiming to see that declaration translated into action before you leave Paris.

Faithfully yours,<sup>1</sup>

ENCLOSURE 4 IN NO. 180

*President Wilson to Mr. Frankfurter*

My dear Mr. Frankfurter,

PARIS, May 16, 1919

I have your letter of May 14.<sup>5</sup> I never dreamed that it was necessary to give you any renewed assurance of my adhesion to the Balfour Declaration, and so far I have found no one who is seriously opposing the purpose which it embodies. I was very much taken by surprise that you should deem anything I wrote you discouraging. I see no ground for discouragement and every reason to hope that satisfactory guarantees can be secured.

In haste,

Sincerely yours,

WOODROW WILSON

ENCLOSURE 5 IN NO. 180

*Mr. Frankfurter to President Wilson*

My dear Mr. President,

May 20, 1919

I wish I could convey to you the feeling of relief and contentment that your letter of generous reassurance that the Balfour Declaration will eventuate into effective guarantees, has aroused. We are very grateful indeed.

May I ask you to have word sent me that I may show the letter to all those who are interested—not to be published of course—and that I may cable its contents to Mr. Justice Brandeis?<sup>6</sup>

Faithfully yours,<sup>3</sup>

ENCLOSURE 6 IN NO. 180

*Mr. Close to Mr. Frankfurter*

My dear Mr. Frankfurter,

PARIS, 21 May, 1919

The President asks me to say in reply to your note of May 20<sup>7</sup> that he is entirely willing that you should show his letter to those who are interested and use it in the way that you suggest.

Sincerely yours,

GILBERT F. CLOSE

Confidential Secretary to the President

<sup>1</sup> Enclosure 3 above.

<sup>2</sup> <sup>6</sup> In 1914 Mr. Brandeis had been appointed Chairman of the American Provisional Executive Committee for Zionist Affairs.

<sup>7</sup> Enclosure 5 above.



( ٤ ) الاحصاء الرسمي لسكان فلسطين ( ١٩٣٦ - ١٩٣٢ )

Growth of Population Palestine Royal Commission Memoranda,  
Prepared by The Government of Palestine, P. 2, 1937.

By Courtesy of Her Majesty's Stationery Office, London E.C.  
11, IBN. England.

PALESTINE ROYAL COMMISSION.

1. GROWTH OF POPULATION.

8.—A census of population was taken in October, 1922, and again in November, 1931. In the intervening period statistics of births and deaths and of migration were used to estimate mid-year populations. A discrepancy arose at the census of 1931 between the expected and the enumerated population due to incomplete recording of births and deaths and of migration, and possibly to faulty enumeration of suspicious and primitive people. In the case of Jews the discrepancy was about two thousand. The growth of population between the two census years and since 1931 is shown in Table I below.

9.—The Moslem population at the census of 1922 numbered 589,177, or 78.5 per cent. of the total population. There has been a steady increase, equivalent to a rate of 2.6 per cent. per year over the whole period until 1936. At this rate of increase a population would double itself in about 27 years. The Moslem population reached 848,342 in 1936, representing nearly 61 per cent. of the total population.

10.—The Jewish population at the census of 1922 numbered 83,790, or 11 per cent. of the total population at that date. The Jewish population rose rapidly to 150,040 in 1928, remained practically stationary until 1928, emigration nullifying the effect of natural increase, and then rose steadily to 172,028 in 1931. Thus the number of Jews more than doubled in the nine years from 1922 to 1931, the gain being equivalent to a rate of increase of 8.4 per cent. per year.

In the period from the 30th June, 1932 to the 30th June, 1936, the Jewish population again doubled, an average rate of increase of 10.7 per cent. per year. It reached the figure of 370,483 in mid-1936, representing 27.7 per cent. of the total population of the country.

There has been unrecorded illegal immigration both of Jews and of Arabs in the period since the census of 1931, but it is clear that, since it cannot be recorded, no estimate of its volume is possible.

11.—The Christian population at the census of 1922 numbered 71,464, representing 9.5 per cent. of the total. It increased steadily to 106,474 in 1936, equivalent to a rate of increase of 3.9 per cent. per year over the fourteen years. At this rate of increase a population would double itself in 21 years. The proportion of Christians to total population in mid-1936 was 7.96 per cent.

12.—The allocation of the total increase in the period from the census of 1922 to the 30th June, 1936, to natural increase and increase by migration is shown in Table II below.

The table indicates that all three main religious communities have gained by migration, the smallest proportional gain being that of the Moslems. It is of interest that the Jewish increase by migration in the fourteen year period is very nearly the same as the Moslem natural increase in the same period, about 237,000.

TABLE I.

Population of Palestine (excluding members of His Majesty's Forces) at the Census of 1922, and as estimated at the 30th June in each of the years 1923-1936, by religions

| Year | Total     | Muslims | Jews    | Christians | Others |
|------|-----------|---------|---------|------------|--------|
| 1922 | 752,048   | 589,177 | 83,700  | 71,164     | 7,017  |
| 1923 | 778,050   | 609,351 | 89,060  | 72,060     | 7,599  |
| 1924 | 801,962   | 627,660 | 94,015  | 74,004     | 8,263  |
| 1925 | 817,238   | 641,491 | 121,725 | 75,512     | 8,507  |
| 1926 | 868,002   | 663,613 | 150,040 | 76,467     | 8,782  |
| 1927 | 917,316   | 680,725 | 149,789 | 77,880     | 8,921  |
| 1928 | 935,951   | 695,280 | 151,656 | 79,812     | 9,203  |
| 1929 | 960,013   | 712,343 | 156,481 | 81,776     | 9,413  |
| 1930 | 992,550   | 733,149 | 164,706 | 84,660     | 9,628  |
| 1931 | 1,023,734 | 752,642 | 172,028 | 87,879     | 10,024 |
| 1932 | 1,052,879 | 771,174 | 180,792 | 90,624     | 10,281 |
| 1933 | 1,104,884 | 789,980 | 209,207 | 95,165     | 10,532 |
| 1934 | 1,171,169 | 807,180 | 253,700 | 99,532     | 10,746 |
| 1935 | 1,261,082 | 825,467 | 320,358 | 102,371    | 10,886 |
| 1936 | 1,325,618 | 848,342 | 370,483 | 106,474    | 11,219 |

TABLE II.

Increase in population of Palestine (excluding members of His Majesty's Forces) in the period October, 1922 to 30th June, 1936, by religion, allocated to natural increase and to increase by migration.

| Population:—                     | Total     | Muslims | Jews    | Christians | Others |
|----------------------------------|-----------|---------|---------|------------|--------|
| at Census of 1922                | 752,048   | 589,177 | 83,700  | 71,164     | 7,017  |
| at 30th June 1936<br>(Estimated) | 1,325,618 | 848,342 | 370,483 | 106,474    | 11,219 |
| Total Increase                   | 573,470   | 259,165 | 286,783 | 35,310     | 3,992  |
| Natural Increase                 | 215,413   | 226,630 | 49,626  | 28,462     | 2,905  |
| Increase by Migration            | 269,457   | 32,535  | 237,038 | 6,848      | 386    |

\* Includes a number of persons, estimated at 10,000, living on land transferred from Syria to Palestine in 1928.

## الفهارس

- فهرس الاعلام . .
- فهرس الأماكن والبلدان . .
- محتويات الكتاب . .

1  
2  
3  
4  
5  
6  
7  
8  
9  
10  
11  
12  
13  
14  
15  
16  
17  
18  
19  
20  
21  
22  
23  
24  
25  
26  
27  
28  
29  
30  
31  
32  
33  
34  
35  
36  
37  
38  
39  
40  
41  
42  
43  
44  
45  
46  
47  
48  
49  
50  
51  
52  
53  
54  
55  
56  
57  
58  
59  
60  
61  
62  
63  
64  
65  
66  
67  
68  
69  
70  
71  
72  
73  
74  
75  
76  
77  
78  
79  
80  
81  
82  
83  
84  
85  
86  
87  
88  
89  
90  
91  
92  
93  
94  
95  
96  
97  
98  
99  
100  
101  
102  
103  
104  
105  
106  
107  
108  
109  
110  
111  
112  
113  
114  
115  
116  
117  
118  
119  
120  
121  
122  
123  
124  
125  
126  
127  
128  
129  
130  
131  
132  
133  
134  
135  
136  
137  
138  
139  
140  
141  
142  
143  
144  
145  
146  
147  
148  
149  
150  
151  
152  
153  
154  
155  
156  
157  
158  
159  
160  
161  
162  
163  
164  
165  
166  
167  
168  
169  
170  
171  
172  
173  
174  
175  
176  
177  
178  
179  
180  
181  
182  
183  
184  
185  
186  
187  
188  
189  
190  
191  
192  
193  
194  
195  
196  
197  
198  
199  
200  
201  
202  
203  
204  
205  
206  
207  
208  
209  
210  
211  
212  
213  
214  
215  
216  
217  
218  
219  
220  
221  
222  
223  
224  
225  
226  
227  
228  
229  
230  
231  
232  
233  
234  
235  
236  
237  
238  
239  
240  
241  
242  
243  
244  
245  
246  
247  
248  
249  
250  
251  
252  
253  
254  
255  
256  
257  
258  
259  
260  
261  
262  
263  
264  
265  
266  
267  
268  
269  
270  
271  
272  
273  
274  
275  
276  
277  
278  
279  
280  
281  
282  
283  
284  
285  
286  
287  
288  
289  
290  
291  
292  
293  
294  
295  
296  
297  
298  
299  
300  
301  
302  
303  
304  
305  
306  
307  
308  
309  
310  
311  
312  
313  
314  
315  
316  
317  
318  
319  
320  
321  
322  
323  
324  
325  
326  
327  
328  
329  
330  
331  
332  
333  
334  
335  
336  
337  
338  
339  
340  
341  
342  
343  
344  
345  
346  
347  
348  
349  
350  
351  
352  
353  
354  
355  
356  
357  
358  
359  
360  
361  
362  
363  
364  
365  
366  
367  
368  
369  
370  
371  
372  
373  
374  
375  
376  
377  
378  
379  
380  
381  
382  
383  
384  
385  
386  
387  
388  
389  
390  
391  
392  
393  
394  
395  
396  
397  
398  
399  
400  
401  
402  
403  
404  
405  
406  
407  
408  
409  
410  
411  
412  
413  
414  
415  
416  
417  
418  
419  
420  
421  
422  
423  
424  
425  
426  
427  
428  
429  
430  
431  
432  
433  
434  
435  
436  
437  
438  
439  
440  
441  
442  
443  
444  
445  
446  
447  
448  
449  
450  
451  
452  
453  
454  
455  
456  
457  
458  
459  
460  
461  
462  
463  
464  
465  
466  
467  
468  
469  
470  
471  
472  
473  
474  
475  
476  
477  
478  
479  
480  
481  
482  
483  
484  
485  
486  
487  
488  
489  
490  
491  
492  
493  
494  
495  
496  
497  
498  
499  
500  
501  
502  
503  
504  
505  
506  
507  
508  
509  
510  
511  
512  
513  
514  
515  
516  
517  
518  
519  
520  
521  
522  
523  
524  
525  
526  
527  
528  
529  
530  
531  
532  
533  
534  
535  
536  
537  
538  
539  
540  
541  
542  
543  
544  
545  
546  
547  
548  
549  
550  
551  
552  
553  
554  
555  
556  
557  
558  
559  
560  
561  
562  
563  
564  
565  
566  
567  
568  
569  
570  
571  
572  
573  
574  
575  
576  
577  
578  
579  
580  
581  
582  
583  
584  
585  
586  
587  
588  
589  
590  
591  
592  
593  
594  
595  
596  
597  
598  
599  
600  
601  
602  
603  
604  
605  
606  
607  
608  
609  
610  
611  
612  
613  
614  
615  
616  
617  
618  
619  
620  
621  
622  
623  
624  
625  
626  
627  
628  
629  
630  
631  
632  
633  
634  
635  
636  
637  
638  
639  
640  
641  
642  
643  
644  
645  
646  
647  
648  
649  
650  
651  
652  
653  
654  
655  
656  
657  
658  
659  
660  
661  
662  
663  
664  
665  
666  
667  
668  
669  
670  
671  
672  
673  
674  
675  
676  
677  
678  
679  
680  
681  
682  
683  
684  
685  
686  
687  
688  
689  
690  
691  
692  
693  
694  
695  
696  
697  
698  
699  
700  
701  
702  
703  
704  
705  
706  
707  
708  
709  
710  
711  
712  
713  
714  
715  
716  
717  
718  
719  
720  
721  
722  
723  
724  
725  
726  
727  
728  
729  
730  
731  
732  
733  
734  
735  
736  
737  
738  
739  
740  
741  
742  
743  
744  
745  
746  
747  
748  
749  
750  
751  
752  
753  
754  
755  
756  
757  
758  
759  
760  
761  
762  
763  
764  
765  
766  
767  
768  
769  
770  
771  
772  
773  
774  
775  
776  
777  
778  
779  
780  
781  
782  
783  
784  
785  
786  
787  
788  
789  
790  
791  
792  
793  
794  
795  
796  
797  
798  
799  
800  
801  
802  
803  
804  
805  
806  
807  
808  
809  
810  
811  
812  
813  
814  
815  
816  
817  
818  
819  
820  
821  
822  
823  
824  
825  
826  
827  
828  
829  
830  
831  
832  
833  
834  
835  
836  
837  
838  
839  
840  
841  
842  
843  
844  
845  
846  
847  
848  
849  
850  
851  
852  
853  
854  
855  
856  
857  
858  
859  
860  
861  
862  
863  
864  
865  
866  
867  
868  
869  
870  
871  
872  
873  
874  
875  
876  
877  
878  
879  
880  
881  
882  
883  
884  
885  
886  
887  
888  
889  
890  
891  
892  
893  
894  
895  
896  
897  
898  
899  
900  
901  
902  
903  
904  
905  
906  
907  
908  
909  
910  
911  
912  
913  
914  
915  
916  
917  
918  
919  
920  
921  
922  
923  
924  
925  
926  
927  
928  
929  
930  
931  
932  
933  
934  
935  
936  
937  
938  
939  
940  
941  
942  
943  
944  
945  
946  
947  
948  
949  
950  
951  
952  
953  
954  
955  
956  
957  
958  
959  
960  
961  
962  
963  
964  
965  
966  
967  
968  
969  
970  
971  
972  
973  
974  
975  
976  
977  
978  
979  
980  
981  
982  
983  
984  
985  
986  
987  
988  
989  
990  
991  
992  
993  
994  
995  
996  
997  
998  
999  
1000

1000

1000

1000

1000

## فهرس الاعلام

( ١ )

- الاخضرى : ٢٠٠  
 ادب اسحاق : ٤٣  
 اريك فوريس : ١٩٥  
 اسحاق ( عليه السلام ) : ٣٧  
 اسحاق موسى الحسينى : ٢٨  
 اسد « قبيلة » : ٢١  
 اسكندر بك عمون : ٧٨  
 اسكويث ( هربرت ) : ١٨١  
 ١٨٢ ، ١٩٩ ، ٢١١  
 اسعاف النشاشيبى : ١٣٧  
 اسعد داغر : ١٠ ، ٥٩ ، ٨٠  
 ١٠١  
 اسماعيل ( الخديوى ) : ٧٢  
 ٢٠٨ ، ٢٠٦  
 اسماعيل صدقى باشا : ١٤١  
 اسماعيل ( عليه السلام ) : ٣٧  
 اسيد بن عبد اعزى : ٢٢  
 الافغانى : انظر « جمال الدين الافغانى »  
 اللنبى : ١٢٦ ، ١٣٥ ، ١٤١  
 ١٤٢ ، ١٤٣ ، ١٤٦ ، ١٤٧ ، ١٤٨  
 ١٥١ ، ١٥٢ ، ١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٥٥  
 ١٥٦ ، ١٥٨ ، ١٥٩ ، ١٦٢ ، ١٦٣  
 ١٦٦ ، ١٦٧ ، ١٩٤ ، ٢١٢  
 الفريد اوف باث : ٤٥  
 الكسند ( دافيد ) : ١٨٠  
 امين حداد : ٤٣  
 امين اريحانى : ٢٥  
 امين سنعيد : ١٤ ، ١١٠ ، ١١١  
 ١٣٣
- ابا ابيان : ١٦٩ ، ١٧٨  
 ابراهيم باشا : ٤١  
 ابراهيم جمعة : ٣٦ ، ٣٧  
 ابراهيم الحارذلو : ٥ ، ٢٦  
 ابراهيم ( عليه السلام ) : ١٨٣ ، ٣٧  
 ابرهة : ٣٦  
 ابن جلول : ٣٠  
 ابن خلدون : ١٧ ، ٣١ ، ٥١ ، ٥٢  
 ابن الرشيد : ٢٢٩  
 ابو بكر « الصديق » : ١٧ ، ٥٣  
 ابو تراب : ٥٧  
 اثاتورك : ١٧ ، ٣٥ ، ٢١٣  
 احدها عام ( اثر جنزيرج ) : ٩  
 ١٢٤ ، ١٦٩ ، ١٧٥ ، ١٧٧ ، ١٧٨  
 احسان الجابرى : ١٦١  
 احمد امين : ٤٦  
 احمد الحوفى : ٢٣ ، ٢٤  
 احمد جمال باشا : انظر « جمال باشا »  
 احمد حسن الزيات : ٤٦  
 احمد السنوسى : ٢٢٩  
 احمد شوقى : ١٠٨  
 احمد طيارة : ٤٨ ، ١١٠ ، ١١١  
 احمد طريبن : ٩٤  
 احمد عرابى باشا : ٤٢ ، ٩٨  
 ٩٩ ، ١٠٣ ، ١٤١ ، ٢٠٨ ، ٢١٠  
 احمد عزت عبد الكريم : ١٤  
 احمد غازى مختار : ٩٦  
 احمد مؤاد ( الملك ) : ١٦٧  
 احمد لطفى السيد : ٩٩  
 احمد محمد صالح : ٢٤ ، ٢٥  
 احمد مدحت باشا : انظر « مدحت »

|                                |                      |
|--------------------------------|----------------------|
| انطونيوس : انظر « جورج         | أية : ٢٠ ، ٢٦        |
| انطونيوس »                     | أنتر ماير : ١٨٦      |
| أنور باشا : ٨٦ ، ٩٦ ، ٩٧ ، ١١٧ | الأوس « قبيلة » : ٢٩ |
| أوكونور : ٩٠ ، ٩١              | انطون سمادة : ٣٢     |
| أيدر (دافيد) : ١٩١             |                      |

( ب )

|                                |                                   |
|--------------------------------|-----------------------------------|
| ١٨٥ ، ١٨٨ ، ١٨٩ ، ١٩٠ ، ١٩١ ،  | بانزاريا أفندي : ٨٦               |
| ١٩٢ ، ١٩٥ ، ١٩٧ ، ١٩٨ ، ١٩٩ ،  | بالمرستون : ٨٧ ، ٨٨ ، ١٧٣         |
| ٢٠٠ ، ٢٠١ ، ٢٠٥ ، ٢١٢ ، ٢١٣ ،  | باول ( ٠ ١ ) : ٣٤                 |
| ٢١٤                            | باولي ( بتر ) : ١١١               |
| بلنت ( وفرد ) : ٣٩ ، ٤٥ ،      | براندائيس ( لويس ) : ٩ ، ١٠ ، ١٠٥ |
| ٧١ ، ٩٨                        | ١٠٩ ، ١٢٨ ، ١٣٢ ، ١٦٩ ، ١٧٥ ،     |
| بنتويش ( هريوت ) : ١٢٤ ،       | ١٧٦ ، ١٧٩ ، ١٨٠ ، ١٨٤ ، ١٨٥ ،     |
| ١٨٠                            | ١٨٦ ، ١٨٧ ، ١٨٨ ، ١٨٩ ، ١٩٤ ،     |
| بنسكر ( ليو ) : ١٦٩ ، ١٧٢ ،    | ٢٠٣ ، ٢١١ ، ٢١٢                   |
| بن جوريون ( دافيد ) : ٨        | برنارد لويس : ١٣ ، ١٧ ، ١٩ ،      |
| بنى غنم ( قبيلة ) : ٢٢         | ٣١ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٥٠ ، ٥١ ، ٥٣ ،     |
| بورتر ( ستروين ) : ١٨٩         | ٥٤ ، ٥٩ ، ٧١ ، ٨٥                 |
| بولس ( لويس ) : ١٩٧            | بروفنسال : ٤٥                     |
| بونسوني : ٨٨                   | بروكلمان ( كارل ) : ٤٥            |
| بياتشيني ( ليفي ) : ١٩١        | بشارة تقلا : ٤٣                   |
| بيشرون ( ستيفن ) : ١٨٥         | بطرس البستاني : ٤٠ ، ٤٤ ، ٤٧      |
| بيكر ( س . ه . ) : ٤٥          | بافور ( آرثر ) : ٩ ، ٢٦ ، ٤١ ،    |
| بيكو : ١٠٥ ، ١١٦ ، ١٢٠ ، ١٢١ ، | ١٠٥ ، ١٠٩ ، ١١٦ ، ١٢١ ، ١٢٣ ،     |
| ١٢٢ ، ١٢٣ ، ١٢٤ ، ١٢٦ ، ١٢٧ ،  | ١٢٤ ، ١٢٩ ، ١٣١ ، ١٣٢ ، ١٣٤ ،     |
| ١٢٩ ، ١٣٢ ، ١٣٣ ، ١٤٩ ، ١٨٥ ،  | ١٣٥ ، ١٤٠ ، ١٤١ ، ١٤٩ ، ١٥٩ ،     |
| ٢١٢                            | ١٦٩ ، ١٧٥ ، ١٧٦ ، ١٧٧ ، ١٧٨ ،     |
| ببر الجميل : ٣٣                | ١٧٩ ، ١٨١ ، ١٨٢ ، ١٨٣ ، ١٨٤ ،     |

( ت )

|                               |                          |
|-------------------------------|--------------------------|
| توفيق الحكيم : ٤٦             | تاج السر حران : ٥        |
| توفيق ( الخديوي ) : ٥٦ ، ٩٨ ، | تركي رابع : ٣٠           |
| ٢٠٨ ، ٢٠٦                     | تشرشل ( ونستون ) : ١٨٤ ، |
| توفيق علي برو : ١٤            | ١٩٨ ، ١٩٩                |
| توفيق الناطور : ٧٨            | تشلنوف : ١٨٠ ، ٢١١       |
| تويني ( أرنولد ) : ١٦٩ ، ١٧٨  | تميم « قبيلة » : ٢٠      |

(ث)

ثوين : ١٤١

ثروت باشا : ١٦٧

(ج)

٢٠٨ ، ٢٠٩

جمع « قبيلة » : ٢٠

جميل مردم : ٧٥

جميل معلوف : ٧٥

جنكيز خان : ٨٢

جوتيل ( رتشارد ) : ١٨٧

جودت الحايي : ١٣٧

جور ( ارمسي ) : ١٨٣

جورج انطونيوس : ١٤ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٥٨ ، ٧٢

١١٢

جورج ( لويد ) : ١٠٤ ، ١٢٩ ، ٢١١

١٦١ ، ١٧٤ ، ١٨٢ ، ١٥٨ ، ٢١١

جورجي زيدان : ٤٣ ، ٩٥

جورست ( الدون ) : ١٠٤

جولد شميدت : ١٠٢

جولييت آدم : ١٠٣

جاستر : ١٢٤ ، ١٨٠

جالين ( ملك ) : ١٨٧

جاويد بك : ٨٦

جب ( ه . ر . ) : ٤٤

جبرائيلي : ١٤

جراي ( ادوارد ) : ٩٣ ، ٩٤

جريتز ( هينريش ) : ٩

جريجور ( ملك ) : ٩٤

جريفز ( فيليب ) : ٨٥ ، ٨٦ ، ١٩٧

جمال باشا ( احمد جمال ) : ٥٩

٦٧ ، ٨٣ ، ٩٦ ، ١٠٥ ، ١٠٩

١١٠ ، ١١١ ، ١٢١ ، ١٤٥ ، ١٥٠

٢١٠

جمال الدين الافغانى : ٤٦ ، ٤٨

٤٩ ، ٥٥ ، ٥٦ ، ٥٧ ، ٥٩ ، ٦٨

٦٩ ، ١٠٢ ، ٢٠٥ ، ٢٠٦ ، ٢٠٧

(ح)

حسان بن ثابت : ٣٣

حسن صدقي دجاني : ١٣٦ ، ١٣٧

حسن عبد الله الترابي : ٥

حسن عوني باشا : ٦٣ ، ٦٤

حسين بن عاي « الشريف » : ٦٥

٨٣ ، ٨٤ ، ١٠٥ ، ١٠٩ ، ١١٢

١١٣ ، ١١٤ ، ١١٥ ، ١١٦ ، ١١٧

١١٨ ، ١١٩ ، ١٢٠ ، ١٢١ ، ١٢٢

١٢٥ ، ١٢٨ ، ١٤٣ ، ١٤٥ ، ١٤٦

١٥٠ ، ١٥٦ ، ٢٠٣ ، ٢١٠ ، ٢١٢

٢١٩ ، ٢٢١ ، ٢٢٣ ، ٢٢٥ ، ٢٢٧

حسين رشدي : ١٣٩ ، ١٤٠

حسين كامل « السلطان » : ١٠٥

١٠٧ ، ١٠٨

حمد الباسل : ١٤١

حمير « قبيلة » : ٢١

(خ)

خالد بن الوليد : ٢٦ ، ٣٣

خدوري ( ايلي ) : ٥٥ ، ٥٦

٥٧ ، ٧١ ، ٧٢ ، ١٤١

الخزرج « قبيلة » : ٢٩

خليل ثابت : ٤٣

خليل الخوري : ٤٧

خليل سرقيس : ٤٧

خيوان « قبيلة » : ٢١

( ١٦ - نكبة الامة العربية )

(د)

|                             |                          |
|-----------------------------|--------------------------|
| داری : ۱۶۰                  | دی بانیر : ۲۰۶           |
| داوود برکات : ۱۱۱           | دی پرونییر ( هنری ) : ۴۰ |
| داوود ( علیه السلام ) : ۱۷۸ | دی ساکی : ۴۵             |
| دباس ( شارل ) : ۷۵          | دیکسون ( جون ) : ۸۹      |
| دریفوس : ۱۷۴                |                          |

(ر)

|                               |                               |
|-------------------------------|-------------------------------|
| الرسول (صلی الله علیه وسلم) : | روتشتین : ۲۰۶                 |
| ۵ ، ۲۲ ، ۲۶ ، ۳۶              | روتشیلد : ۱۲۳                 |
| رشدی الشیمة : ۱۱۰             | روتشیلد ( آدموند ) : ۱۲۴ ، ۹۲ |
| رشید الخطیب : ۱۳۷             | ۱۷۷ ، ۱۷۹                     |
| رشید رضا : انظر (محمد رشید    | روتشیلد ( جیمس ) : ۱۹۱        |
| رضا ) :                       | روسو : ۱۷ ، ۵۰ ، ۵۱           |
| الرشید (هارون الرشید) : ۱۵ ،  | ریاض الصلح : ۱۱۱              |
| ۲۴ ، ۲۱                       | ریاض باشا : ۴۸                |
| رضا ارکابی باشا : ۱۵۱         | رید ( جیمس ) : ۱۶۹ ، ۱۸۹ ،    |
| رفیق رزق سلوم : ۱۱۰           | ۱۹۰ ، ۱۹۱                     |
| رفیق العظم : ۱۰ ، ۱۱۰         | رینان ( ارنست ) : ۴۶          |

(ز)

|                             |                               |
|-----------------------------|-------------------------------|
| زکی المحاسنی : ۱۴           | زید « الأمير » : ۱۵۰          |
| الزهرای : انظر ( عبد الحمید | زید بن عمرو بن نفیل : ۲۲      |
| الزهرای ) :                 | زین نور الدین زین : ۱۴ ، ۶۲ ، |
| زهرة « قبيلة » : ۲۱         | ۷۸                            |

(س)

|                               |                                     |
|-------------------------------|-------------------------------------|
| ساطع الحمیری : ۳۵ ، ۱۶۱       | ۱۰۷ ، ۱۰۹ ، ۱۱۳ ، ۱۱۷ ، ۱۱۹ ،       |
| سالمسبوری : ۶۴ ، ۹۰           | ۱۲۲ ، ۱۴۷ ، ۱۸۲ ، ۱۹۲ ، ۱۹۳ ،       |
| سایکس (مارک) : ۱۰۵ ، ۱۰۹      | ۱۹۴                                 |
| ۱۱۶ ، ۱۲۰ ، ۱۲۱ ، ۱۲۲ ، ۱۲۳ ، | ستویکیر : ۲۱۴                       |
| ۱۲۴ ، ۱۲۶ ، ۱۲۷ ، ۱۲۹ ، ۱۸۵ ، | سشیف ( جاکوب ) : ۱۸۶                |
| ۲۱۲                           | سعد زغلول : ۱۱ ، ۱۰۵ ، ۱۰۸ ،        |
| سیندر : ۱۶۲                   | ۱۳۸ ، ۱۳۹ ، ۱۴۰ ، ۱۴۱ ، ۱۴۲ ،       |
| سبیتا (ویاهلم) : ۱۷ ، ۳۴      | ۱۴۳ ، ۱۴۷ ، ۱۴۸ ، ۱۴۹ ، ۱۶۱ ، ۱۶۲ ، |
| ستورز (رونالد) : ۱۰ ، ۱۰۵ ،   | ۱۶۳ ، ۱۶۵ ، ۱۶۶ ، ۱۶۷ ، ۱۶۸ ،       |



|                           |                                   |
|---------------------------|-----------------------------------|
| سكوت : ١٢٤ ، ٢١١          | سوكولوف ( ناحوم ) : ١٢٤ ، ٩٠      |
| سلامة موسى : ١٧ ، ٣٣ ، ٢٤ | ١٣٤ ، ١٧٥ ، ١٨٠ ، ١٨٥ ، ٢٠٠ ، ٢٠٣ |
| ٣٥                        | ٢١٢ ، ٢١١ ، ٢٠٣                   |
| سليم البستاني : ٤٧        | سهم « قبيلة » : ٢٠                |
| سليم تقلا : ٤٣            | سيد نوفل : ٢٨ ، ٣٧                |
| سليم « السلطان » : ٦١     | سيف ( اسرائيل ) : ١٩١             |
| سليم عبد الهادي : ١١٠     | سيمون ( ليون ) : ١٩١              |
| سبيث ( ايلي ) : ٤٠        | سينوت حنا : ١٦٤                   |
| سواع « صنم » : ٢١         |                                   |

( ش )

|                         |                                 |
|-------------------------|---------------------------------|
| شاخت : ٢٨               | شكري العسلي : ١١٠ ، ١١١         |
| شتاين ( ليونارد ) : ٤١  | شكري غانم : ٧٥                  |
| شتراوس ( اوسكار ) : ١٨٧ | شوقي ضيف : ٢٠ ، ٢٣              |
| شتراوس ( نانان ) : ١٨٧  | شيتام ( ملن ) : ١٠٧ ، ١٤٠ ، ١٤١ |
| شريف باشا : ٢٠٨         |                                 |
| شكري الايوبي : ١٢٦      |                                 |

( ص )

|                               |                             |
|-------------------------------|-----------------------------|
| صالح حيدر : ١١٠               | ١٤٧ ، ١٥٧ ، ١٥٨ ، ١٥٩ ، ١٨١ |
| صلاح الدين الايوبي : ٢٦ ، ٢١٥ | ١٩١ ، ١٩٦ ، ١٩٨ ، ٢٠١ ، ٢١١ |
| صمويل ( هربرت ) : ١٠٥         | ٢١٢ ، ٢١٣                   |
| ١٠٩ ، ١٢٤ ، ١٣٤ ، ١٣٥ ، ١٤٣   |                             |

( ض )

ضياء باشا : ٢٠٧

( ط )

|                           |                        |
|---------------------------|------------------------|
| طلعت باشا : ٨٦ ، ٩٦ ، ١٠٩ | طه حسين : ٢٢ ، ٢٣ ، ٣١ |
|                           | ٣٢ ، ٤٦                |

( ع )

|   |                                  |
|---|----------------------------------|
| عباس حلمي الثاني « الخديوي » : ٧١ ، ٧٣ ، ٩٩ ، ١٠٨             | ٦٣ ، ٦٤ ، ٦٥ ، ٦٦ ، ٧٠ ، ٧٤ ، ٧٣ |
| عباس فرحات : ٣٠ ، ٣١  | ٧٥ ، ٧٩ ، ٨٣ ، ٨٧ ، ٨٨ ، ٨٩      |
| عباس محمود العقاد : ٤٦ ، ١٣٨                                  | ٩٠ ، ٩٢ ، ٩٤ ، ٩٦ ، ٩٧ ، ٩٨      |
| ١٦٧   | ٢٠٣ ، ٢٠٧ ، ٢٠٩                  |
| عبد الحميد بن باديس : ٣٠                                      | عبد الرحمن الزافعي : ٤٨ ، ٩٩     |
| عبد الحميد الثاني « السلطان » : ٩٠ ، ١٠٩ ، ١١١ ، ٤٩ ، ٥٩ ، ٦٢ | ١٠٢                              |
|   | عبد الحميد الزهراوي : ١٠         |
|   | ٧٦ ، ٧٧ ، ٧٨ ، ١١٠ ، ١١١         |

عبد الرحمن شهبندر : ١١٠  
عبد الرحمن فهمي : ١١ ، ١٤٢ ،  
١٦٣ ، ١٦٤ ، ١٦٥ ، ١٦٦  
عبد الرحمن الكواكبي : ١٧ ، ٤٧ ،  
٤٩ ، ٥٧ ، ٥٨ ، ٥٩ ، ٦٨ ، ٧٠ ،  
٧١ ، ٧٢ ، ٧٣ ، ٢٠٧  
عبد العزيز الثعالبي : ٢٤  
عبد العزيز « السلطان » : ٦٣  
عبد العزيز فهمي : ١٣٩  
عبد العزيز كامل : ٥  
عبد الغني العريسي : ٧٥ ،  
١١١ ، ١١٠  
عبد القادر الجزائري « الأمير » :  
٨٠ ، ٤٥  
عبد الكريم الخليل : ١١٠ ، ١١١  
عبد الله بن الحسين « الملك » :  
١١٣ ، ١١٤ ، ١٤٥ ، ١٤٦ ، ١٥٥  
عبد الله التمايشي : ٦٦  
عبد الله جودت : ٧١  
عبد الله التديم : ٤٩  
عبد المطلب : ٣٦  
عبد الوهاب الانكليزي : ١١٠

عبد بدران : ٤٣  
عبيد الله أفندي : ٨٢  
عبيد الله بن جحش : ٢٢  
عثمان بن الحويرث : ٢٢  
عثمان رقتي : ٦٧ ، ٢٠٨  
عثمان سيد أحمد اسماعيل : ٥  
عدلي يكن : ١٣٩ ، ١٦٦  
عدنان : ٢٦ ، ٣٢  
عدي : ٢٠  
العزى « صنم » : ٢٢  
عراي : انظر (أحمد عراي باشا).  
عزيز المصري : ٧٧ ، ٨١ ، ١١٣  
على أفندي : ٢٢٢  
على البزاز : ١١٣  
على الجارم : ٢٣ ، ٢٤  
على شعراوي : ١٣٩  
على عبد الرازق : ١٦ ، ٣٢  
على يوسف : ٤٨  
عمر بن الخطاب : ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٢٦  
عمرو زعاني البيروتي : ١٣٦ ، ١٣٧  
عوني عبد الهادي : ٧٥  
عيسى (عاه السلام) : ٣٧

### ( غ )

غورو : ١٤٣ ، ١٥٠ ، ١٥٧ ، ١٦٠ ، ١٦١

### ( ف )

فارس نمر : ٤٠ ، ٤٣ ، ٤٧ ،  
١١٠ ، ١١١  
فاندايك (كونتيروس) : ٤٠  
فرانكشتاين : ١٩٦  
فرانكفورت (فيلكس) : ١٠٥ ،  
١٠٩ ، ١٢٨ ، ١٣٠ ، ١٣١ ، ١٣٢ ،  
١٨٧ ، ١٨٨ ، ١٩٥ ، ٢١٩ ، ٢٣٢  
فرينش : ١٣٠ ، ١٣٥

فورد (هنري) : ٣٣  
فولتير : ٥٠  
فوليريس : ٣٤  
فيتوري : (الفيري) : ٧١  
فيصل بن الحسين «الملك» : ١٢ ،  
١٠٥ ، ١١٢ ، ١٢٠ ، ١٢٥ ، ١٢٦ ،  
١٢٨ ، ١٢٩ ، ١٣٢ ، ١٣٣ ، ١٣٧

١٤٣ ، ١٤٦ ، ١٤٨ ، ١٤٩ ، ١٥٠ ، ١٥١ ، ١٥٢ ، ١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٥٥ ، ١٥٦ ، ١٥٧ ، ١٥٨ ، ١٥٩ ، ١٦٠ ، ١٦١ ، ٢١٢ ،  
 فيفان : ٥٦ .

( ق )

قريش : « قبيلة » : ٢٠ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٩ ، ٣٦ .  
 قحطان : ٣٢ .

( ك )

كالمين ( هورسي ) : ١٨٧  
 كامب : ١٣٦ ، ١٣٧ ، ١٥٩  
 كامبون : ١٤٨ .  
 كاشغر : ١٠٤ ، ١٠٥ ، ١٠٩  
 ١١٣ ، ١٥٦ ، ٢٠٣  
 كرستيان ( لفيكون ) : ١٨٧  
 كرومر ( ايفلن بيرنج ) : ٤٩ ، ٥٦ ، ٧٣ ، ٩٧ ، ١٠٢ ، ١٠٤  
 ١١٧ .  
 كرين ( شارلز ر . ) : ١٢٩ ، ١٣٠ ، ١٣٢  
 كلايتون ( جلبرت ) : ١٠٥ ، ١٠٩ ، ١١٣ ، ١١٧ ، ١١٨ ، ١١٩ ، ١٢٢ ، ١٢٩ ، ١٣٢ ، ١٣٣ ، ١٣٤ ، ١٣٧ ، ١٤٩ ، ١٩٢ ، ١٩٤  
 كلب « قبيلة » : ٢١  
 كلوس ( جلبرت ) : ١٣٢  
 كلينمنسو : ١٢٧ ، ١٢٨  
 كنج ( هنري شرشل ) : ١٢٩ ، ١٣٠ ، ١٣٢  
 الكواكبي : انظر ( عبد الرحمن )  
 كورنواليس : ١٣٣  
 كوكران : ١٩٠  
 كوناللي : ١٨٩ ، ١٩٠  
 كوهين : ١٩٥  
 كوين ( جوزيف ) : ١٢٤ ، ١٨٠  
 كيدي ( ن . ) : ٥٧  
 كيزون : ١١٧ ، ١٢٩ ، ١٣٠  
 ١٣٢ ، ١٣٥ ، ١٣٧ ، ١٤١ ، ١٤٣ ، ١٤٧ ، ١٤٨ ، ١٤٩ ، ١٥١ ، ١٥٢ ، ١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٥٥ ، ١٥٧ ، ١٥٨ ، ١٥٩ ، ١٦٢ ، ١٦٦ .  
 كيلكوك ( وليام ) : ٣٤ .

( ل )

لورنس : ١٤٨ ، ١٤٩  
 لويد جورج : ١٢٤ ، ١٢٧ ، ١٢٨ ، ١٥٠  
 لويس صابونجي : ٤٧  
 لويس عوض : ١٧ ، ٣٤  
 ليبسكي : ١٩١  
 ليفي ( سلفين ) : ١٩١ ، ١٩٢  
 لين ( ب . و . ) : ٤٥  
 اللات « صنم » : ٢١ ، ٢٢  
 لاكتور ( جان ) : ٣٠  
 لامانس ( هنري ) : ٤٤  
 لانسنج ( روبرت ) : ٤١ ، ١٨٤ ، ١٩٩  
 لبيب جريديني : ٤٣  
 لوثر ( جيرارد ) : ٩٣  
 لودج : ١٩٠

(م)

|   |   |
|---|---|
| ماتزينى : ٥٠                                    | ماتزينى : ٥٠                                    |
| ماسينون (لوى) : ٤٥                              | ماسينون (لوى) : ٤٥                              |
| ماكبايون (هنرى) : ٨٤ ، ٦٥                       | ماكبايون (هنرى) : ٨٤ ، ٦٥                       |
| ١١٤ ، ١١٣ ، ١١٢ ، ١٠٩ ، ١٠٥                     | ١١٤ ، ١١٣ ، ١١٢ ، ١٠٩ ، ١٠٥                     |
| ١٢١ ، ١٢٠ ، ١١٧ ، ١١٦ ، ١١٥                     | ١٢١ ، ١٢٠ ، ١١٧ ، ١١٦ ، ١١٥                     |
| ١٤٥ ، ١٤٣ ، ١٣٨ ، ١٢٣ ، ١٢٢                     | ١٤٥ ، ١٤٣ ، ١٣٨ ، ١٢٣ ، ١٢٢                     |
| ٢١٩ ، ٢١٢ ، ٢١٠ ، ١٥٦ ، ١٤٦                     | ٢١٩ ، ٢١٢ ، ٢١٠ ، ١٥٦ ، ١٤٦                     |
| ٢٢٧ ، ٢٢٥ ، ٢٢٣ ، ٢٢٢ ، ٢٢١                     | ٢٢٧ ، ٢٢٥ ، ٢٢٣ ، ٢٢٢ ، ٢٢١                     |
| ٢٢٩   | ٢٢٩   |
| مانكولم (جيمس) : ١٨٥ ، ٩                        | مانكولم (جيمس) : ١٨٥ ، ٩                        |
| ماليت : ٩٤                                      | ماليت : ٩٤                                      |
| المأمون : ١٥                                    | المأمون : ١٥                                    |
| ماير (أوجين) : ١٨٨                              | ماير (أوجين) : ١٨٨                              |
| ماينتراجن : ١٣٧ ، ١٣٨                           | ماينتراجن : ١٣٧ ، ١٣٨                           |
| ١٥٥   | ١٥٥   |
| محمد أنيس : ١٣ ، ١٢٢                            | محمد أنيس : ١٣ ، ١٢٢                            |
| ١٤٢   | ١٤٢   |
| محمد بديع شريف : ١٤                             | محمد بديع شريف : ١٤                             |
| محمد بن عارف بن عريفان : ٢٢٥                    | محمد بن عارف بن عريفان : ٢٢٥                    |
| محمد حسين هيكل : ٤٦                             | محمد حسين هيكل : ٤٦                             |
| محمد الخامس (الامير رشاد) : ٨٣                  | محمد الخامس (الامير رشاد) : ٨٣                  |
| محمد رفعت : ٩٤                                  | محمد رفعت : ٩٤                                  |
| محمد رشيد رضا : ٤٩ ، ١٠                         | محمد رشيد رضا : ٤٩ ، ١٠                         |
| ٥٥ ، ٥٩ ، ٦٨ ، ٧٢ ، ٧٣ ، ٧٤                     | ٥٥ ، ٥٩ ، ٦٨ ، ٧٢ ، ٧٣ ، ٧٤                     |
| ٧٥ ، ٧٨ ، ٧٩ ، ٨٠ ، ٨٤ ، ١١٠                    | ٧٥ ، ٧٨ ، ٧٩ ، ٨٠ ، ٨٤ ، ١١٠                    |
| ٢٠٧ ، ١١١                                       | ٢٠٧ ، ١١١                                       |
| محمد سميد باشا : ١٦١                            | محمد سميد باشا : ١٦١                            |
| محمد شاكرا الطيب : ٤٨                           | محمد شاكرا الطيب : ٤٨                           |
| محمد طلعت الغنيمى : ١٩٦                         | محمد طلعت الغنيمى : ١٩٦                         |
| محمد عبده : ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٩                        | محمد عبده : ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٩                        |
| ٥٥ ، ٥٦ ، ٥٩ ، ٦٨ ، ٦٩ ، ٧٠                     | ٥٥ ، ٥٦ ، ٥٩ ، ٦٨ ، ٦٩ ، ٧٠                     |
| ٢٠٧ ، ١٠٢ ، ٩٨                                  | ٢٠٧ ، ١٠٢ ، ٩٨                                  |
| محمد عثمان العوضى : ٥                           | محمد عثمان العوضى : ٥                           |
| محمد على باشا : ٢٩ ، ٤١                         | محمد على باشا : ٢٩ ، ٤١                         |
| ٤٢ ، ٧٢ ، ٧٤ ، ٨٧ ، ٨٨ ، ١٧٢                    | ٤٢ ، ٧٢ ، ٧٤ ، ٨٧ ، ٨٨ ، ١٧٢                    |
| ٢٠٨ ، ٢٠٦                                       | ٢٠٨ ، ٢٠٦                                       |
| محمد فريد : ١٠٤                                 | محمد فريد : ١٠٤                                 |
| محمد فؤاد شكرى : ٩٨                             | محمد فؤاد شكرى : ٩٨                             |
| محمد كرد على : ١١٠                              | محمد كرد على : ١١٠                              |
| محمد محبى : ٧٥ ، ١١٠                            | محمد محبى : ٧٥ ، ١١٠                            |
| محمد محمود : ١٤١                                | محمد محمود : ١٤١                                |
| محمد مدور : ٢٩                                  | محمد مدور : ٢٩                                  |
| محمد يوسف الخطيب (محمد يوسف جمعة الكتانى) : ١٢٦ | محمد يوسف الخطيب (محمد يوسف جمعة الكتانى) : ١٢٦ |
| محمد الثانى «السلطان» : ٧٤ ، ٧٢                 | محمد الثانى «السلطان» : ٧٤ ، ٧٢                 |
| محمود الخالدي : ١٣٦ ، ١٢٧                       | محمود الخالدي : ١٣٦ ، ١٢٧                       |
| محمود سامى البارودى : ٩٨                        | محمود سامى البارودى : ٩٨                        |
| ٢٠٨   | ٢٠٨   |
| محمود شوكت : ٨٦                                 | محمود شوكت : ٨٦                                 |
| محمود يوسف العلوى : ١٢٧                         | محمود يوسف العلوى : ١٢٧                         |
| مخزوم «قبيلة» : ٢٠                              | مخزوم «قبيلة» : ٢٠                              |
| مذخر عبد الرحيم : ٥ ، ٣٠                        | مذخر عبد الرحيم : ٥ ، ٣٠                        |
| مدحت باشا : ٦٣ ، ٦٤ ، ٦٥                        | مدحت باشا : ٦٣ ، ٦٤ ، ٦٥                        |
| ٧٤ ، ٢٠٣ ، ٢٠٩                                  | ٧٤ ، ٢٠٣ ، ٢٠٩                                  |
| مذبح «قبيلة» : ٢١                               | مذبح «قبيلة» : ٢١                               |
| مراد «السلطان» : ٦٣                             | مراد «السلطان» : ٦٣                             |
| مرجليوث : ٤٥                                    | مرجليوث : ٤٥                                    |
| مسلم عابدين : ١١٠                               | مسلم عابدين : ١١٠                               |
| مصطفى رشيد باشا : ٧٤                            | مصطفى رشيد باشا : ٧٤                            |
| مصطفى صادق الرافعى : ٤٦                         | مصطفى صادق الرافعى : ٤٦                         |
| مصطفى كامل : ٣٢ ، ٤٦ ، ٥٠                       | مصطفى كامل : ٣٢ ، ٤٦ ، ٥٠                       |
| ٥٩ ، ٩٩ ، ١٠٠ ، ١٠١ ، ١٠٢                       | ٥٩ ، ٩٩ ، ١٠٠ ، ١٠١ ، ١٠٢                       |
| ١٠٣ ، ١٠٤                                       | ١٠٣ ، ١٠٤                                       |
| مصطفى كمال : انظر (أتاتورك).                    | مصطفى كمال : انظر (أتاتورك).                    |

|                              |                            |
|------------------------------|----------------------------|
| مماوية بن ابي سفيان : ٢٣     | موسى ( عليه اتسلام ) : ٢٧  |
| معروف الرصافي : ٢٤           | موسى هس : ١٦٩ ، ١٧١        |
| مكي شبيكة : ١٤               | مونتاجو : ١٨١ ، ١٨٢ ، ١٨٣  |
| ملتر : ١٤٣ ، ١٦١ ، ١٦٢ ، ١٦٤ | مونتسكيو : ٥٠ ، ٥١         |
| ١٦٦ ، ١٦٥                    | مونتفيور : ١٧٣ ، ١٧٩ ، ١٨٠ |
| مناة « صنم » : ٢١            | ميخائيل عبد السيد : ٤٨     |
| المهدى : ٦٦ ، ٢٠٩            | ميليران : ١٥٧              |

( ن )

|                            |                               |
|----------------------------|-------------------------------|
| ناتنج ( انتوني ) : ١٢١     | ندرة مطران : ٧٥               |
| ناردو ( ماكس سيمون ) : ١٧٤ | نسر « صنم » : ٢١              |
| ناصريف اليازجي : ٤٠        | نسيم مازلياح : ٨٦             |
| ناظم باشا : ٩٦             | نفوسة زكريا سعيد : ٣٥         |
| نامق كمال : ٥٠ ، ٥١ ، ٥٣   | نورثكليف : ١٩٨                |
| ٥٤ ، ٥٥ ، ٧٤ ، ٢٠٧         | نورى السيد : ١٢٥ ، ١٥١ ، ١٦١  |
| نجيب الحداد : ٤٣           | نوفل : ٢١                     |
| نجيب عازورى : ١٧ ، ٣٢ ، ٥٧ | نيومان ( بولسون ) : ١٦٩ ، ٢٠٠ |
| ٥٨                         | ٢٠١                           |
| نخلة مطران : ١١١           |                               |

( هـ )

|                           |                             |
|---------------------------|-----------------------------|
| هاشم : ٢٠                 | ١٦٩ ، ١٧٢ ، ١٧٣ ، ١٧٤ ، ١٧٥ |
| هاشم المعطار : ٤٧         | ١٧٧ ، ١٧٩ ، ١٨٠             |
| هاشم الكلبى : ٢١          | هشام شارابى : ٢٧            |
| هاوس : ١٨٥                | هوجارث : ١٠٥ ، ١٠٩ ، ١١٩    |
| هايكرافت ( توماس ) : ١٩١  | ١٨٤ ، ٢١٢                   |
| ١٩٧ ، ١٩٨                 | هوجو : ٥٠                   |
| هيل « صنم » : ٢٢          | هودجكن : ٣٥                 |
| هذيل « قبيلة » : ٢١       | هولت : ١٣ ، ٥٧ ، ٥٨ ، ٦٧    |
| هربرت صمويل : ( انظر      | هيرست : ١٦٢                 |
| صمويل )                   |                             |
| مرتزل ( تيودور ) : ٩ ، ٩٢ |                             |

( و )

|                           |                     |
|---------------------------|---------------------|
| واربورج : ١٦٩ ، ١٨٦ ، ١٨٧ | والترشو : ١٩٨ ، ١٩٩ |
| واطسون : ١٤٠              | وايت ( وليام ) : ٨٩ |

|                             |                             |
|-----------------------------|-----------------------------|
| وولف (لوسين) : ١٨٠ ، ١٨٧    | وايزمان (حاييم) : ٩ ، ١٠٥   |
| ويتمانير : ٩                | ١٢٤ ، ١٣٤ ، ١٣٥ ، ١٣٨ ، ١٦٩ |
| ويلسون (ريفرز) : ٢٠٦        | ١٧٥ ، ١٧٦ ، ١٧٩ ، ١٨٠ ، ١٨٢ |
| ويلسون (ودرو) : ٤١ ، ١٠٥    | ١٨٦ ، ١٨٨ ، ١٨٩ ، ١٩١ ، ١٩٢ |
| ١٢٥ ، ١٢٧ ، ١٢٨ ، ١٣٠ ، ١٣١ | ١٩٣ ، ١٩٤ ، ١٩٥ ، ١٩٧ ، ١٩٨ |
| ١٣٢ ، ١٤٥ ، ١٥١ ، ١٦٩ ، ١٧٦ | ١٩٩ ، ٢٠٠ ، ٢٠٣ ، ٢١١ ، ٢١٢ |
| ١٨٤ ، ١٨٥ ، ١٨٧ ، ١٨٨ ، ٢١٢ | ود « صنم » : ٢١             |
| ٢١٩ ، ٢٣٢                   | ورقة بن نوفل : ٢٢           |
| ويلمور (ج. سيلدون) : ٣٤     | ولكوكس : ١٧ ، ٣٥            |
| وينجت (ريجنالد) : ١٠٥       | ولور : ٣٤                   |
| ١٠٩ ، ١١٧ ، ١١٨ ، ١١٩ ، ١٢١ | وليم مور : ٢١٤              |
| ١٢٢ ، ١٢٨ ، ١٣٩ ، ١٤١ ، ١٤٢ | وليم موير : ٤٤              |
| ١٦٢                         | ولهاوزن (يوليوس) : ٤٤       |
|                             | وهيب باشا : ١١٢             |

( ي )

|                      |                            |
|----------------------|----------------------------|
| يوسف فضل حسن : ٥     | يعقوب صروف : ٤٣ ، ٤٧       |
| يوسف الهاني : ١٠     | يعقوب ( عليه السلام ) : ٢٧ |
| يوسف وهبة باشا : ١٦١ | يعقوب « صنم » : ٢١         |
| ١٦٣ ، ١٦٥            | يعقوب « صنم » : ٢١         |



(1)

أيا : ٢٠٨  
أدنة : ١١٤  
أرضروم : ٢٢٩  
أزمير : ٨٦  
أسبانيا : ١٨٣  
الاستانة : ١٥ ، ٧٩ ، ٧٣ ، ٨٥ ، ٨٧ ، ٩٧ ، ١٠٨ ، ١١٠ ، ١١١ ، ١١٢ ، ٢٢٠  
الاسكدرونة : ١١٥ ، ١٢٦ ، ٢٢٣  
الاسكندرية : ٤٢ ، ٤٣ ، ١٦٣  
الاسلامبول : ٦٢  
اضنة : ٢٢٦  
افريقيا : ٢٠٦ ، ٢١١  
المانييا : ٨٥ ، ٨٦ ، ١٠٧ ، ١١٢ ، ١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٤٥ ، ١٧٦ ، ١٨٧ ، ٢١٠ ، ٢١٤

(ب)

باريس : ١٠ ، ٤٦ ، ٧٥ ، ٧٦  
٧٧ ، ٧٨ ، ٩٢ ، ٩٣ ، ١٠٥ ، ١٢٥  
١٢٧ ، ١٢٨ ، ١٣٠ ، ١٣١ ، ١٣٣  
١٣٤ ، ١٣٥ ، ١٤١ ، ١٤٢ ، ١٤٦  
١٤٨ ، ١٤٩ ، ١٥٠ ، ١٥١ ، ١٥٥  
١٦٠ ، ١٦٣ ، ١٦٦ ، ١٧٤ ، ١٧٨  
١٨١ ، ١٨٦ ، ١٩٥ ، ٢١٢ ، ٢٣٢  
بال : ٨ ، ٩٢ ، ١٦٩ ، ١٧٢ ،  
١٧٤ ، ١٧٥ ، ١٧٧ ، ٢٠٥  
بتسبرج : ١٧٩  
البحر الاحمر : ١١٤ ، ٢٢٨ ،  
٢٢٩  
البحر المتوسط : ٣١ ، ١١٤

|                             |                          |
|-----------------------------|--------------------------|
| بنغازيا : ٦٤                | ١٨٤٠ ١٨٣٠ ١٨٢٠ ١٨١٠ ١٨٠٠ |
| البلقان : ٩٦ ، ٦٢           | ١٩٨٠ ١٨٨٠ ١٨٧٠ ١٨٦٠ ١٨٥٠ |
| بور سودان : ٢٢٨             | ٢٠٧٠ ٢٠٦٠ ٢٠٥٠ ٢٠٤٠ ٢٠٣٠ |
| بولندا : ٩٠ ، ١٧٢ ، ٢١١     | ٢١٣٠ ٢١٢٠ ٢١١٠ ٢١٠٠ ٢٠٩٠ |
| بيتاح تكماه : ٩٢            | ٢٢٦٠ ٢٢٥٠ ٢٢٤٠ ٢٢٣٠ ٢٢٢٠ |
| بيروت : ١١٠ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٤٣  | ٢٢١٠ ٢٢٠٠ ٢١٩٠ ٢١٨٠ ٢١٧٠ |
| ٤٧ ، ٤٩ ، ٦٥ ، ٦٦ ، ٧٩ ، ٩١ | ٢٢٤٠ ٢٢٣٠ ٢٢٢٠ ٢٢١٠ ٢٢٠٠ |
| ١١٠ ، ١١١ ، ١٢١ ، ١٢٦ ، ١٢٩ | ٢٢٤٠ ٢٢٣٠ ٢٢٢٠ ٢٢١٠ ٢٢٠٠ |
| ١٥٠ ، ٢٢٦                   | ٢٢٤٠ ٢٢٣٠ ٢٢٢٠ ٢٢١٠ ٢٢٠٠ |

(ت)

|                          |                          |
|--------------------------|--------------------------|
| تل ابيب : ٩٥ ، ١٧٧       | ٧٩٠ ٧٦٠ ٧٤٠ ٧٢٠ ٧٠٠      |
| القل الكبير : ٢١٠        | ١١٢٠ ١٠٧٠ ١٠١٠ ٩٨٠ ٩٦٠   |
| تل كرام : ١٢٧            | ١٤٩٠ ١٤٥٠ ١١٩٠ ١١٨٠ ١١٧٠ |
| تونس : ٢٥ ، ٢٨ ، ٣٩ ، ٤٩ | ٢٠٧٠ ١٩٦٠ ١٨٤٠ ١٥٦٠ ١٥٥٠ |
| ٦٢ ، ٢٠٦                 | ٢٣٠٠ ٢٢٩٠ ٢٢٨٠ ٢٢٧٠ ٢٢٦٠ |

(ج)

|                                |                          |
|--------------------------------|--------------------------|
| الجزيرة العربية : ١٦ ، ٢٠ ، ٢١ | ٢٤٠ ٢٣٠ ٢٢٠ ٢١٠ ٢٠٠      |
| ٧٦ ، ٧٢ ، ٥٨ ، ٢٧ ، ٢٢ ، ٢١    | ١٧١٠ ١٦٩٠ ١٦٨٠ ١٦٧٠ ١٦٦٠ |
| ١٢٥ ، ١١٩ ، ١١٤ ، ٨٠           | ١٧٨٠ ١٧٧٠ ١٧٦٠ ١٧٥٠ ١٧٤٠ |
| جنيف : ٩ ، ٧١                  | ١٤٨٠ ١٤٥٠ ١٢١٠ ١٢٠٠ ١١٩٠ |
| جيزان : ٢٢٨                    | ٣٨٠ ٣١٠ ٣٠٠ ٢٩٠ ٢٨٠      |

(ح)

|                             |                          |
|-----------------------------|--------------------------|
| حماة : ٧٦ ، ١١٥ ، ١٢٠ ، ١٥٠ | ١٠٥٠ ٧٢٠ ٦١٠ ٢٤٠ ٢٣٠     |
| ٢٢٣                         | ١٢٠٠ ١١٩٠ ١١٢٠ ١٠٨٠ ١٠٧٠ |
| حمص : ١١٥ ، ١٢٠ ، ١٥٠       | ٢١٠٠ ٢٠٥٠ ١٥٧٠ ١٤٦٠ ١٢٨٠ |
| ١٥٧ ، ٢٢٣                   | ٢١٣٠ ٢١٢٠ ٢١١٠ ٢١٠٠ ٢٠٩٠ |
| حوران : ١٦١                 | ٢٠٠٠ ١٩٩٠ ١٩٨٠ ١٩٧٠ ١٩٦٠ |
| حيدر آباد الدكن : ٥٧        | ١٥٠٠ ١٢٥٠ ١٢٠٠ ١١٥٠ ١١٠٠ |
| حيفا : ٩١ ، ٩٥ ، ١٢٠ ، ١٢٧  | ٢٢٦٠ ٢٢٣٠ ٢٢٢٠ ٢٢١٠ ٢٢٠٠ |
| ١٦١ ، ١٩٣                   | ٢٢٦٠ ٢٢٣٠ ٢٢٢٠ ٢٢١٠ ٢٢٠٠ |



(خ)

|                            |                             |
|----------------------------|-----------------------------|
| الخليج الفارسي : ١١٤ ، ١٥٥ | الخرطوم : ٨ ، ٢٦ ، ٤٣ ، ١١٧ |
| الخليج : ٢٠٠٠              | ١٧١                         |
|                            | خليج البصرة : ١١٤           |

(د)

|                             |                           |
|-----------------------------|---------------------------|
| ١٥٠ ، ١٥٢ ، ١٥٤ ، ١٦١ ، ٢٠٠ | دراغور : ٢٠٨              |
| ٢٢٢ ، ٢٢٩                   | دمشق : ١١ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٤٠  |
| دنشواي : ٥٩ ، ١٠١ ، ١٠٢     | ٤٧ ، ٧٩ ، ١١٠ ، ١١٢ ، ١١٥ |
| ١٦٦                         | ١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٢٩ ، ١٣٣     |
| الدوية : ٢٠٨                |                           |

(ر)

|                             |                             |
|-----------------------------|-----------------------------|
| ١٨٧ ، ١٨٦ ، ١٧٧ ، ١٧٤ ، ١٧٢ | رفع : ٩٣                    |
| ١٩٧ ، ٢٠٦ ، ٢١١             | الرملة : ١٩٨                |
| روما : ١٧١ ، ٢١٢            | روسيا : ٥٦ ، ٦٤ ، ٩٠ ، ٩٢   |
|                             | ١١٣ ، ١٢٠ ، ١٢١ ، ١٢٢ ، ١٤٦ |

(ز)

زفتى : ١٤١

(س)

|                             |                              |
|-----------------------------|------------------------------|
| ١٢٨ ، ١٢٩ ، ١٤٣ ، ١٤٦ ، ١٤٨ | سانونيك : ٨٦ ، ٩٦            |
| ١٥٠ ، ١٥١ ، ١٥٢ ، ١٥٣ ، ١٥٤ | سان ريمو : ١٥٧ ، ١٨٥ ، ١٩٠   |
| ١٥٥ ، ١٥٧ ، ١٥٨ ، ١٥٩ ، ١٦٠ | سبأ : ٢٠                     |
| ١٧٣ ، ١٨٨ ، ٢٠٠ ، ٢١٠ ، ٢١٢ | السودان : ٢٤ ، ٢٩ ، ٦٦       |
| ٢١٣ ، ٢١٤ ، ٢٢٩             | ٧٢ ، ١٠٩ ، ١١٤ ، ١٦٧ ، ٢٠٥   |
| المويس : ١٧١                | ٢٠٦ ، ٢٠٨                    |
| سويسرا : ٨ ، ٩٢ ، ١٧٢ ، ١٩١ | سوريا : ١٢ ، ٣٩ ، ٤١ ، ٤٣    |
|                             | ٤٤ ، ٤٧ ، ٦١ ، ٦٧ ، ٧٢ ، ٧٥٠ |
|                             | ٧٦ ، ٧٨ ، ٨٠ ، ٨٣ ، ٨٤ ، ٨٧  |
| سيشل : ١٤٨ ، ١٦٧            | ٩٣ ، ١٠٧ ، ١٠٨ ، ١٠٩ ، ١١٠   |
| سيفرس : ٢١ ، ٢١٢            | ١١١ ، ١١٢ ، ١١٥ ، ١١٩ ، ١٢٠  |
| سيناء : ١١٤ ، ١١٨           | ١٢١ ، ١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٢٧  |
|                             | ١٢٩ ، ١٣٠ ، ١٣٢ ، ١٣٣ ، ١٣٦  |

(ثي)

|   |  |
|---|--|
| الإسلام : ٢٠٧ ، ٥٨ ، ٢٠ ، ٢٢٣                           | ١٣١ ، ١٢٢ ، ١١٨ ، ١١٧ ، ٨٧ ، ١٤٧ ، ١٨٣ ، ٢٠٧ ، ٢١٢ |
| شرق الاردن : ١٣٦ ، ١٢٦ ، ١٥٧ ، ١٤٥                      |  |
| الشرق الاوسط : ١٣ ، ٩ ، ٨ ، ١٤ ، ١٩ ، ٢٢ ، ٣٩ ، ٦١ ، ٨٥ | شمال افريقيا : ٨                                   |
|   | شيكاغو : ١٧٦                                       |

(ص)

|             |              |
|-------------|--------------|
| البصرب : ٦٤ | الصومال : ٧١ |
| صنعاء : ٢٥  | صيدا : ٤٠    |

(ط)

|             |                              |
|-------------|------------------------------|
| طابّة : ١٠١ | طرابلس الشام : ٤٩ ، ٤٠ ، ١٢٩ |
| الطائف : ١٤ | طرابلس الغرب : ٧٨            |

(ع)

|   |                 |
|---|-----------------|
| عدن : ١١٤   | العريش : ٩٣     |
| العراق : ٢٠ ، ٢٥ ، ٥٨ ، ٦١ ، ٧٦ ، ١٢١ ، ١٢٠ ، ١١٨ ، ١٢٢ ، ١٢٧ ، ١٥٤ ، ١٥٣ ، ١٥٢ ، ١٣٢ ، ٢١٤ ، ٢١٣ ، ١٥٧ ، ١٥٥ | العمقة : ١٠١    |
|   | عكا : ١٢٠       |
|   | عمان : ٢٥ ، ١٣٦ |

(غ)

|                |                |
|----------------|----------------|
| غزة : ٩٣ ، ١٣٧ | غور بيسان : ٩٥ |
|----------------|----------------|

(فا)

|                              |                                   |
|------------------------------|-----------------------------------|
| الفاتيكان : ٢١٢              | ١١٧ ، ١١٦ ، ١١٣ ، ١١١ ، ١٠٣       |
| فاشودة : ١٠٠                 | ١٢٨ ، ١٢٧ ، ١٢٦ ، ١٢١ ، ١٢٠       |
| الفرات « نهر » : ٢٥          | ١٤٣ ، ١٣٨ ، ١٣٢ ، ١٣٠ ، ١٢٩       |
| فرانكفورت : ١٧٩              | ١٤٦ ، ١٤٨ ، ١٤٩ ، ١٥٠ ، ١٥٣       |
| فرساي : ١٢٧                  | ١٥٤ ، ١٥٥ ، ١٥٧ ، ١٦٠ ، ١٦٩       |
| فرنسا : ٣٠ ، ٣١ ، ٣٩ ، ٤١    | ١٧٤ ، ١٧١ ، ١٧٩ ، ١٨٥ ، ١٨٨ ، ٢٠٦ |
|                              | ٢٢٦ ، ٢٢٤ ، ٢٠٧                   |
| ٤٢ ، ٧٨ ، ٨٧ ، ٨٩ ، ٩٨ ، ١٠٠ |                                   |

|                              |                         |
|------------------------------|-------------------------|
| ١٦٠، ١٥٩، ١٥٨، ١٥٧، ١٥٥، ١٥٤ | فلادلفيا : ١٧٩          |
| ١٧٥، ١٧٤، ١٧٣، ١٧١، ١٦٩      | فلسطين : ٨، ٩، ١٠، ١١   |
| ١٨١، ١٧٩، ١٧٨، ١٧٧، ١٧٦      | ١٢، ١٤، ١٦، ٢٥، ٢٦، ٣٨  |
| ١٨٨، ١٨٦، ١٨٥، ١٨٤، ١٨٣      | ٥٩، ٧٤، ٨٣، ٨٧، ٨٨، ٨٩  |
| ١٩٣، ١٩٢، ١٩١، ١٩٠، ١٨٩      | ٩٠، ٩١، ٩٢، ٩٣، ٩٤، ٩٥  |
| ١٩٨، ١٩٧، ١٩٦، ١٩٥، ١٩٤      | ٩٧، ١٠٥، ١٠٩، ١١١، ١١٦  |
| ٢١١، ٢٠٥، ٢٠١، ٢٠٠، ١٩٩      | ١٢٠، ١٢١، ١٢٢، ١٢٣، ١٢٤ |
| ٢٣٢، ٢٢٩، ٢١٤، ٢١٣، ٢١٢      | ١٢٥، ١٢٦، ١٢٧، ١٢٨، ١٢٩ |
| ٢٣٥                          | ١٣٠، ١٣١، ١٣٢، ١٣٣، ١٣٤ |
| ٩٢ : نيبينا                  | ١٣٥، ١٣٦، ١٣٧، ١٣٨، ١٤٣ |
|                              | ١٤٦، ١٤٧، ١٤٨، ١٥٢، ١٥٣ |

(ق)

|                              |                          |
|------------------------------|--------------------------|
| ٩٧، ٩٤، ٩٣، ٨٩ : القدس       | القاهرة : ٢٨، ٣٢، ٤٣، ٤٥ |
| ١٩٣، ١٩٢، ١٧١، ١٦٩، ١٣٦، ١٣٥ | ٦١، ٦٥، ٧١، ٨٦، ٩٣، ٩٨   |
| ١٩٧، ١٩٨، ٢٠٠                | ١٠٣، ١٠٥، ١٠٧، ١١١، ١١٣  |
| ٧٤، ١٥، ١٣ : القسطنطينية     | ١١٤، ١١٧، ١١٨، ١١٩، ١٢١  |
| ٩١، ٩٠، ٨٩، ٨٨، ٨٥، ٧٧       | ١٣٠، ١٣٢، ١٣٥، ١٣٦، ١٣٧  |
| ٩٣، ٩٤، ٩٦، ٩٧، ١٨٧          | ١٤٠، ١٤١، ١٤٢، ١٤٨، ١٥١  |
| ٢٠٧                          | ١٥٤، ١٥٥، ١٦٤، ٢١٠       |
| قناة السويس : ١٠١، ١٢٤       | ٢١٣ : قبرص               |
| ٢١١، ٢٠٦، ١٤٧                | ٢٠ : قتيان               |
| ٢٢٩ : القوتاز                |                          |

(ك)

|                    |                |
|--------------------|----------------|
| ١٦١ : كومو         | ٢٠٨ : كرسفان   |
| ١٥٠، ١٢٧ : كليكييا | ٢٠ : كعدة      |
|                    | ١٨٧ : كولومبيا |

(ل)

|                         |                         |
|-------------------------|-------------------------|
| ١٣٦، ١٣٥، ١٣٤، ١٣٣، ١٢٩ | اللاذقية : ١٢٦، ١٢٩     |
| ١٤٨، ١٤٦، ١٤١، ١٤٠، ١٣٩ | لبنان : ٢٥، ٣٣، ٤١، ٦٦  |
| ٢٥٥، ١٥٤، ١٥٢، ١٥١، ١٤٩ | ١٢٠، ١٢٦، ١٢٩، ١٥٤، ١٥٥ |
| ١٦٧، ١٦٦، ١٥٩، ١٥٧، ١٥٦ | ٢١٣، ٢١٤                |
| ١٨٨، ١٨٦، ١٨٥، ١٨١، ١٧٣ | اللذ : ٢٠٠              |
| ٢٣٠، ٢١٢، ٢١١، ٢٠٦، ١٨٩ | لنجن : ٨، ٩، ٤١، ٦٥، ٨٥ |
| لوزان : ١٩٦             | ١١٨، ١١٣، ١٠٩، ١٠٣، ١٠٠ |
| ليبيا : ٣٩، ٩٦، ١٠٤     | ١١٩، ١٢٣، ١٢٤، ١٢٧، ١٢٨ |

(م)

|                                  |                                |
|----------------------------------|--------------------------------|
| ١٠.١ ، ١٠.٣ ، ١٠.٤ ، ١٠.٥ ، ١٠.٧ | ما بين النهرين : ٧٦ : ١٢٠      |
| ١٠.٨ ، ١٠.٩ ، ١١.٠ ، ١١.١ ، ١١.٣ | مالطة : ٤٢ ، ١٤١ ، ١٤٢         |
| ١١.٧ ، ١١.٨ ، ١٢.١ ، ١٢.٨ ، ١٣.٨ | ١٤٨                            |
| ١٣.٩ ، ١٤.٠ ، ١٤.١ ، ١٤.٢ ، ١٤.٣ | مانشستر : ١٢٤ ، ٢١١            |
| ١٥.٦ ، ١٦.١ ، ١٦.٢ ، ١٦.٣ ، ١٦.٥ | المحيط الهندي : ٢١ ، ١١٤       |
| ١٦.٦ ، ١٦.٧ ، ١٦.٨ ، ١٨.١ ، ١٨.٣ | المدينة المنورة : ١٤ ، ١٥ ، ٢٠ |
| ٢٠.٥ ، ٢٠.٦ ، ٢٠.٧ ، ٢٠.٨ ، ٢١.٠ | ١١٩                            |
| ٢١.٣ ، ٢٢.١ ، ٢٢.٥ ، ٢٢.٧ ، ٢٢.٩ | مرج دابق : ٦١                  |
| ٢٣.٠                             | مرسيليا : ١٢٨ ، ١٤٢            |
| معان : ١٠.١                      | مرسين : ١١٤ ، ١١٥ ، ٢٢٣        |
| ممسين : ٢٠                       | ٢٢٦                            |
| مكة : ١٤ ، ٢٠ ، ٢٩ ، ٦٥          | مصر : ٨ ، ١١ ، ١٣ ، ١٧         |
| ٧١ ، ١.٤ ، ١.٥ ، ١.٩ ، ١.١٥      | ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٣٢    |
| ١١٦ ، ١١٨ ، ١١٩ ، ١٢١ ، ١٤٥      | ٣٤ ، ٣٥ ، ٣٨ ، ٣٩ ، ٤١ ، ٤٢    |
| ١٤٧ ، ٢١.٠ ، ٢٢.١ ، ٢٢.٣ ، ٢٢.٥  | ٤٣ ، ٤٥ ، ٤٧ ، ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٥    |
| ٢٢٧ ، ٢٣.٠ ، ٢٣.١                | ٥٦ ، ٥٧ ، ٥٨ ، ٥٩ ، ٦١ ، ٦٢    |
| المنيا : ١٤١                     | ٦٦ ، ٦٩ ، ٧٢ ، ٧٣ ، ٧٥ ، ٧٧    |
| الموصل : ١٢٧ ، ١٥٢ ، ١٥٥         | ٧٨ ، ٨٤ ، ٩٧ ، ٩٨ ، ٩٩ ، ١٠٠   |
| ميسلون : ١٤٣ ، ١٦١               |                                |

(ن)

|                         |                   |
|-------------------------|-------------------|
| نهر الاردن : ١٢٦        | نابلس : ١٣٧ ، ٢٠٠ |
| النيل « نهر » : ٢٤ ، ٢٥ | نجد : ٢٠          |
| نيويورك : ١٣٠           | النمسا : ٩٠       |

(هـ)

|                             |                           |
|-----------------------------|---------------------------|
| ٢٠.٦ ، ١٨٢ ، ١١٨ ، ١١٧ ، ٦٩ | الهند : ٤٧ ، ٤٩ ، ٥٦ ، ٥٧ |
|-----------------------------|---------------------------|

(و)

|                              |                             |
|------------------------------|-----------------------------|
| ٢١٢                          | وادي الاردن : ٧٦            |
| الولايات المتحدة الامريكية : | وادي النيل : ٣٩ ، ٤٣ ، ٤٧   |
| ١٧٩ ، ١٧٦ ، ١٢٩ ، ١٢٤ ، ٨٩   | ٦٦                          |
| ١٨٧ ، ١٨٦ ، ١٨٥ ، ١٨٤ ، ١٨٠  | واشنطن : ٨ ، ٤١ ، ١.٩       |
| ٢١٢ ، ١٨٩ ، ١٨٨              | ١٨١ ، ١٨٥ ، ١٨٦ ، ١٨٧ ، ٢.٣ |

(ي)

|                    |                             |
|--------------------|-----------------------------|
| اليمن : ٦١         | يانا : ٩٥ ، ١٢٩ ، ١٣٧ ، ١٩٣ |
| البرموك : ٩٥       | ١٩٧                         |
| اليونان : ٨٠ ، ١.٣ | يقرب : ٢٢ ، ٢٩              |

# محتويات الكتاب

## الصفحات

|            |        |
|------------|--------|
| شكر وتقدير | ٥ - ٦  |
| تمهيد      | ٧ - ١٢ |

## مقدمة

رصد مسار القضية في خمسين عاما - تحولات سياسية  
في المنطقة العربية - دراسات حول القضية - ابعادها  
ومقوماتها التاريخية - الصعاب التي تكتنف الدراسة -  
الوجود العربي قبل الاسلام - المد العربي بعد الاسلام -  
مسيرة الاسلام بعد العرب - الأتراك العثمانيون -  
القسطنطينية حاضرة الاسلام - أوروبا أمام تحدى العثمانيين  
- الدولة العثمانية تحتضر - العرب على مفترق الطرق -  
عناصر الصراع الفكري والسياسي - انبثاق القضية العربية ١٣ - ١٦

## الفصل الأول : مقومات الأمة العربية

فكرة القومية ومضمونها - الأمة الاسلامية - الوطن  
العربي القلب النابض للعالم الاسلامي - بين العروبة والاسلام  
- اسراف وغموض في تعريف القومية العربية - التراث  
الاسلامي ولغة القرآن قوام الأمة العربية - وحدة الأمة  
ووحدة الدولة - تيارات فكرية تشكك في عروبة مصر  
والجزائر - الاقتتان بالغرب ونظرية ابن خلدون - سببنا  
وولكوكس وسلامة موسى ولويس عوض - ألتورك والاستلتان  
- الاسلام يحطم العنصرية - الاخوة الاسلامية - ايمان  
بالكتب المنزل من عند الله - الأمة العربية والخلافة العثمانية  
- ظهور القومية في الوطن العربي - الاستشراق والتبشير -  
اصالة الفكر الاسلامي - تحدى الاستشراق - الصحافة  
الاسلامية - العقد الاجتماعي والبيعة في الاسلام - روسو  
وابن خلدون - برنارد لويس يخطئ الطريق - الحرية  
السياسية في الاسلام - بيعة أبي بكر - الكواكبي ونجيب  
المازوري ١٧ - ٥٨

### الفصل الثاني : عرب عثمانيون

عرب وأتراك في ظل الاسلام — بل عرب عثمانيون —  
 اسطورة الاستعمار التركي — تربص الدول الغربية بالخلافة  
 العثمانية — السلطان عبد الحميد المفترى عليه — الفوائل  
 المحيطة بالدولة العثمانية — عبد الحميد والخلافة العربية  
 — عبد الحميد وائوحد الاسلام — الخلافة العثمانية ملاذ  
 الاقطار العربية والاسلامية — ضعف مركز الخلافة — الدعوة  
 الى الاصلاح — العرب لا يفكرون في الانفصال — دعاة  
 الاصلاح : الافغانى — محمد عبده — رشيد رضا — الكواكبي  
 والاستبداد — رشيد رضا والسعد داغر يؤكدان الوحدة العربية  
 العثمانية — سوء العلاقات العربية التركية في عهد تركيا  
 الفتاة — بوادر الانفصال — ظهور الجمعيات الاصلاحية  
 والسياسية — المؤثر العربي الاول — الدعوة الطورانية —  
 كتاب « قوم جديد » — التهم على الاسلام — جمال باشا  
 السفاح — وضوح الاتجاه العربى نحو الاستقلال — جمعية  
 الاتحاد والترقى تكثر عن نابها — طبيعة الجمعية ودور اليهود  
 فيها — وزراء صهيونيون — الجمعية وبرنارد لويس —  
 الجمعية تفتح الهجرة اليهودية الى فلسطين — مصر العثمانية  
 — الاحتلال البريطانى — دنشواى — مصطفى كامل — الخلافة  
 العثمانية عضد مصر — نذر الحرب — تشديد قبضة الاحتلال  
 نحو الخديعة . . . . . ٥٩ — ١٠٤

### الفصل الثالث : الخديعة الكبرى

القضية العربية في طور جديد — ارهاب جمال باشا  
 يعجل بالثورة العربية — بريطانيا صديقة العرب ضد الأتراك!!  
 — اعلان الحماية في مصر — السلطان حسين كامل — الملك  
 فيكم آل اسماعيل — الاتصالات الاولى بشريف مكة من القاهرة  
 — تطويق الحركة انعرية — كتشنر — ماكماهون — ستورز  
 — وينجت — هوجارث — كلايتون — الوجه لآخر للسياسة  
 البريطانية : بلفور — سايكس — صمويل — وايزمان —  
 محور (براندليس — ويلسون — وايزمان) — مراسلات حسين  
 ماكماهون — اعادة الخلافة الى العرب — ثقة الشريف حسين  
 في الشرف البريطانى — اتفاق سايكس / بيكو — اعلان الثورة  
 العربية في الحجاز — الاهمية الحربية للثورة العربية —

الصفحات

وعد بلفور — وعود أخرى — تناقض الوعود البريطانية —  
مؤتمر الصلح في باريس — لجنة كنج كرين — رسائل ( وياسون  
فرانكفورت ) — فلسطين تتأهب لاحباط المشروع الصهيوني —  
الصهيونية توجه وزارة الخارجية البريطانية — لجنة صهيونية  
تزور فلسطين — الاعداد لتنفيذ المشروع الصهيوني —  
ثورة ١٩١٩ — زغلول وفيصل امام مؤتمر الصلح في باريس  
١٤٢—١٠٥

#### الفصل الرابع : قبض الريج

مؤتمر الصلح — تفاؤل واستبشار — بيعة في المسجد  
الصرام — الشريف حسين ملكا — لا حق للعرب في تقرير  
مصيرهم — الحلفاء اصحاب القرار — بريطانيا اول من ينكر  
البيعة — بريطانيا وفرنسا لا تعترفان بالحسين ملكا للأمة  
العربية — سوريا تباع فيصلا — اصديقاء العرب ينددون بقرار  
العرب — كيرزون يبعد فيصلا وسعدا عن مؤتمر الصلح —  
لا حق للعرب في بسط قضيتهم — اللنبي يحذر كيرزون —  
بريطانيا تحنث بوعدها — ذهبت وعود ماكماهون ادراج الرياح  
— بريطانيا توقف اعانتها المالية لفصيل — مؤتمر الصلح يؤازر  
الصهيونية ضد العرب — الانتداب البريطاني على فلسطين —  
تعيين هربرت صمويل — كيرزون لفصيل : صمويل صديق  
العرب !! — فرنسا تغزو سوريا — ميسلون — الجنرال  
غورو — اخراج فيصل عنوة — اللنبي في مصر — فشل  
لجنة ملنر — تصريح ٢٨ فبراير — سعد رئيسا لوزراء  
الشعب الاولى — سعد : لقد صدقنا اننا مستقلون . . .  
١٦٨—١٤٣

#### الفصل الخامس : الصهيونية

ترقب اليهود للمعجزة — المركز الروحي لليهود المنفى  
«Diaspora» — جبل صهيون — احلام اليهود في العودة الى  
فلسطين — الصهيونية السياسية فكرة حديثة — البحث عن  
أسس فلسفية — موسى هس — المسألة اليهودية — هرتزل  
والدولة اليهودية — خلاف يهودي حول الصهيونية — بنسكر  
والحل الاقليمي — التحرر النفسي — الاحتماء بالنفوذ  
البريطاني — مؤتمر بال — وايزمان يضمن على الصهيونية  
( ١٧ — نكبة الأمة العربية )

الصفحات

|   |         |
|---|---------|
| طابعاً فلسفياً — براندايس — أحدها عام — كثرة يهود العالم  |         |
| ضد الصهيونية — توينبى وأبا إيبان — معارضة عاتية ضد        |         |
| الصهيونية في بريطانيا وفرنسا — تحالف الصهيونية والاستعمار |         |
| البريطاني — وزارة الخارجية الأمريكية ضد وعد بلفور —       |         |
| الحرب العالمية الأولى ترجح كفة الصهيونية — النظام المصرفي |         |
| الأمريكي في قبضة اليهود الألمان — ابتزاز صهيوني — أسرة    |         |
| «Warburg» — أسرة «Herr Warburg Untermeyer»                |         |
| — التنسيق بين براندايس ووايزمان والرئيس ويلسون —          |         |
| تحول أمريكي رسمي لصالح الصهيونية — السناتور               |         |
| «J.A. Reed» يعارض وعد بلفور — الصهيونية تعد وثيقة         |         |
| الانتداب البريطاني على فلسطين — اللجنة الصهيونية في       |         |
| القدس — وايزمان يهدد — ثورة شعب فلسطين — لجان             |         |
| التحقيق — بنفور في فلسطين يرافقه بولسون نيومان :          |         |
| بلفور يتحرك في فلسطين تحت الحراسة المشددة —               |         |
| المتظاهرون يرمون بلفور بالحجارة — عصبة الأمم تجيز وعد     |         |
| بلفور ووثيقة الانتداب على فلسطين — الصهيونية تحقق         |         |
| أهدافها . . . . .   | ١٦٩—٢٠٢ |

خاتمة

|  |         |
|--|---------|
| أحداث خطيرة بين عامي ١٨٧٥ / ١٩٢٥ — التنظيمات               |         |
| والتضحية العربية — آراء حول دعوة الإصلاح — المنابع الفكرية |         |
| للثورة العربية والثورة المهدية — السلطان عبد الحميد        |         |
| ودستور مدحت باشا — تركيا الفتاة عهد جديد للطغیان —         |         |
| سياسة الأتراك الاتحاديين تمهد للثورة العربية — أثر الحرب   |         |
| العالمية الأولى — — ككتشنر والشريف حسين — التهديد          |         |
| للخدعة الكبرى — الصهيونية تظل برأسها — وايزمان في          |         |
| بريطانيا وبراندايس في واشنطن وسوكولوف في أوروبا —          |         |
| الوطن العربي في قبضة الصهيونية وحلفائها — فترة حاسمة       |         |
| ( ١٩١٩ — ١٩٢٥ ) — الغرب وعقدة الذنب أمام اليهود —          |         |
| الوطن العربي ضحية العقدة . . . . .                         | ٢٠٣—٢١٦ |
| مصادر أخرى للكتاب . . . . .                                | ٢١٧—٢١٨ |



الصفحات

**الوثائق**  
( ٢١٩ — ٢٢٦ )

- ١ — رسائل « حسين — مكاهاون » . . . . . ٢٢٩—٢٢١
- ٢ — البلاغ الانجليزى الرسمى فى شأن العرب والسلطة  
الاسلامية . . . . . ٢٣١—٢٣٠
- ٣ — رسائل « فرانكفوتر — ويلسون » حول اتخاذ فلسطين  
وطناً قومياً لليهود . . . . . ٢٣٤—٢٣٢
- ٤ — الاحصاء الرسمى لسكان فلسطين . . . . . ٢٣٦—٢٣٥

**الفهارس**  
( ٢٢٧ — ٢٥٩ )

- فهرس الاعلام . . . . . ٢٤٨—٢٣٩
- فهرس الأماكن والبلدان . . . . . ٢٥٤—٢٤٩
- محتويات اكتاب . . . . . ٢٥٩—٢٥٥

\* \* \*

رقم الايداع بدار الكتب ٨٥/٤٣٥٩  
الترقيم الدولي ٩٧٧-٣٠٧-٠٠٥٣-٠

دار التوفيق النورية  
للطباعة والجمع الآلي  
الأنزهر: ٣ صحنه الموصلة  
بجدة جامعة الرياض